١٠١٩
دار النحاس
روايات عبير
1019
Harlequin
سلسلة قصص رومانسية

اللقاء السعيد

بتي نيلز

www.rewity.com

روايات عبير

اللقاء السعيد

بتي نيلز

لم يكن لدى كريسيدا أي انسان تلتجيء إليه في هذا العالم، في حال احتاجت للمساعدة.

ولهذا كانت ممتنة عندما أبدى ألدريك ڤان درلينوس، اهتماماً بشؤونها، وسرّت جداً عندما دبّر لها عملاً في هولندا، من دون أن يبدي، باعتقادها، أي اهتمام بها كامرأة. لم تستطع كريسيدا لومه على عدم اعارتها انتباهاً، وهو في الوقت نفسه متورط في علاقة مع المرأة الفاتنة، نيكولا ڤان جرمرت. ولكن ذلك لم يمنعها من الوقوع في حبه...

www.rewity.com

بتي نيلز

أمضت بتي نيلز طفولتها وشبابها في ديڤون شاير، قبل أن تتدرب على التمريض والتوليد. عملت ممرضة في الجيش، خلال الحرب العالمية الثانية، وتزوجت من رجل هولندي، وعاشت معه في بلده مدة أربع عشرة سنة. تقيم، في الوقت الحاضر، مع زوجها في دورست. عندها ابنة وحفيد. هواياتها، المطالعة، تربية الحيوانات الأليفة، مشاهدة الأبنية الأثرية والكتابة. بدأت بتي الكتابة عندما تقاعدت من مهمة التمريض، وعندما سمعت سيدة في مكتبة، تشتكي من قلة الروايات العاطفية.

١٠١٩

روايات

Riwayat Abir 1019

اللقاء السعيد

بتي نيلز

مؤسسة النحاس
لتوزيع الصحف و المطبوعات
بيروت - لبنان

www.rewity.com/vb
RAYAHEEN

الفصل الأول

كان يوماً دافئاً في أوائل تشرين الأول ـ اكتوبر. لكن الشمس انحدرت الآن في الأفق وهبّت نسمة باردة. وغطّت الظلال الطريق الريفي المنساب بين الأشجار. فبعد ساعة أو أقل يحلّ الظلام. ارتعشت الفتاة الجالسة على العشب، وطوّقت بذراعها حيواناً هزيلاً جالساً بقربها: كلباً صغيراً بحالة مزرية يتدلى من عنقه الحبل الذي كان موثقاً به إلى شجرة. منذ أقلّ من ساعة وجدته الفتاة وحاولت أن تحرره، فرماها أرضاً، ولوت كاحلها، مما جعل وصولها إلى الطريق العام عملاً شاقاً ارتاحت منه بصعوبة، وها هي تجلس الآن بصبر آملة في العثور على عون من أحد المارة. لقد مرّت سيارتان منذ أن سحبت نفسها ومعها الكلب إلى الطريق. وعلى الرغم من نداءاتها واستغاثاتها لم تتوقف أية واحدة منهما. عاينت كاحلها على الضوء الخافت فوجدته منتفخاً، فلم تتمكن من خلع حذائها. لم يكن باستطاعتها فعل شيء سوى انتظار مساعدة. وبما أن الطريق لم تكن سوى درب ريفي يصل قريتين ببعضهما بعضاً، لم يكن لها أمل في ايجاد أحد قبل الصباح الباكر حين تبدأ جرّارات المزارعين عملها.

«قد نضطر لقضاء الليل هنا.» قالت للكلب الجاثم قربها، وكأن سماعها صوتها يريحها بطريقة ما. «لكني سأعتني بك، برغم أني لست متأكدة كيف.» اقترب الكلب منها وشعرت بملامسة أضلاعه لجسمها، فربتت عليه بلطف وأكدت: «مهما يكن، من الحسن أن نحظى برفقة.»

www.ibtesama.com/vb
YAHEEN

كان الظلام قد خيّم، حينما سمعت صوت سيارة قادمة، وقد تخطتهما انوار مصابيحها وهي تمرّ.

«قضي الأمر.» علّقت الفتاة. «لا تستطيع أن تلوم أحداً لعدم توقفه...»

لكن السيارة توقفت وعادت أدراجها ببطء حتى أصبحت في موازاتهما. وخيل لعينيها المتعبتين أن مارداً ترجل من السيّارة فأحسّت برغبة في الهرب، لكنها لم تستطع. اتجه نحوها ببطء، وعندما تكلم كان صوته هادئاً ومطمئناً.

سألها بنبرة لطيفة: «أيمكنني المساعدة؟ هل أنتِ مصابة؟»

وقف للحظة ينظر إليها: فتاة صغيرة عادية، وضعيفة جداً، لكن على الرغم من الظلمة الحالكة كانت عيناها جميلتين.

أجابته، وهي تنظر إليه متفحصة وقد أعجبت بما رأت أمامها: «لست متأذية كثيراً، لكنني لويت كاحلي ولم يعد في استطاعتي السير.» لم يكن شاباً خارجاً في نزهة مسائية، بل كان رجلاً رصيناً وأنيقاً تخطى مرحلة الشباب ولمع شعر رماديّ على صدغيه. أيقنت أنه وسيم أيضاً مع أن ذلك لم يكن مهماً الآن. فاردفت: «أكون شاكرة لك إذا أوصلتني حتى منتون كراكنل إنها تبعد ميلين فقط عن الطريق. فأنا أقطن هناك.»

أجابها: «بالتأكيد! إنما يجب أن ألقي نظرة على كاحلك أولاً. فأنا طبيب، ويبدو أنك بحاجة للمعالجة.»

انحنى بقربها وعندما نبح الكلب مدّ يده إليه ليشمّها. وقال: «يجب خلع هذا الحذاء.» وسحب سكيناً من جيبه وقطع شريط حذائها.

أضاف قائلاً: «سوف أؤلمك، لكنك فتاة طيبة. تمالكي نفسك ريثما أحضر ضماداً من السيارة.»

ذهب وعاد قبل أن تستطيع مسح الدموع عن وجنتيها: لم تتفوّه بكلمة عندما خلع حذاءها، لكنها لم تتمكن من حبس دموعها. قدم لها منديلاً وقال لها بمرح: «ستشعرين بتحسن كبير حالما أضمدها، عليك أن تأخذي لها صورة أشعة غداً وأن ترتاحي يوماً أو إثنين.»

سأل وهو يقف: «هل هذا كلبك؟»

أجابته: «لا. قد سمعت نباحه وأنا أمشي على الطريق. كان مقيداً إلى شجرة ومتروكاً لينفق جوعاً، فتعثرت به وأنا أحاول تحريره.»

علّق الطبيب برويّة تاركاً لها الفرصة لتستجمع نفسها. «حيوان مسكين، لكنه محظوظ لأنك سمعته. هل ستحتفظين به؟»

«لا أعتقد... فزوجة أبي لا تحب الكلاب... لكنني سآويه وأرى إن كان أحد في القرية...»

قاطعها بلطف قائلاً: «لننقلك إلى المنزل.» وحملها إلى السيارة ونادى الكلب الذي لم يكن بحاجة للحث كي يعتلي المقعد الخلفي بعد أن جلست الفتاة على المقعد الأمامي.

اعتذرت قائلة: «يعبث بداخل السيارة. إنها من نوع بنتلي. أليس كذلك؟»

قال مازحاً: «أعتقد أنه لن يترك ضرراً مستديماً. أين تسكنين بالتحديد؟»

«إذا عبرت القرية فستجد المنزل على جهة اليمين خلف حائط مرتفع. إنه يدعى الابرشية القديمة. وقد ورثه والدي عن والده. فهو مُلك للعائلة منذ زمن بعيد.»

نظرت إليه نظرة جانبية، وقالت: «كنت لطيفاً جداً.»

www.rewity.com RAYAHEEN

«يسرني أن صادف مروري، يا آنسة...؟»

«بريس، كريسيدا بريس.» وأضافت بخجل: «أنت لست انكليزياً. أليس كذلك؟»

بادرها قائلاً: «هولندي، اسمي فان درلينوس ـ ألدريك فان درلينوس.»

علّقت بتهذيب: «لكنتك الانكليزية ممتازة. آه، ها هي القرية.»

كان الدرب الضيّق في تلك المحلّة شاغراً. إنه وقت احتساء الشاي. والأضواء تشع من نوافذ المنازل الممتدة على طول الطريق.

«إنه هنا، خلف الكنيسة...»

ظهر المنزل ورفعت الأضواء المنبعثة من السيارة على جدار من القرميد وبوابة مفتوحة. كانت الرحلة قصيرةً انتهت بهما إلى منزل قديم. ليس كبيراً لكنه متين. ترجل الرجل وقبل أن يصل إلى باب المنزل ظهرت امرأة قاسية المظهر، شعرها رمادي مربوط في مؤخرة رأسها، وجهها صارم نحيف، وعيناها داكنتان. كانت ترتدي ثوباً رثّاً تحت مئزر أبيض.

نظرت إلى الرجل نظرة حادة تجاهلها.

قال: «لقد اصطحبت الآنسة بريس إلى المنزل. فقد أصيب كاحلها. أرشديني إلى غرفتها، سأنقلها إلى الداخل. لا أعتقد أن الاصابة بليغة لكن الراحة ضرورية لبضعة أيام.»

لم تجبه المرأة وتجاوزته متجهة إلى السيارة.

«آنسة كريسيدا، ماذا جرى؟ أنت مصابة؟ يجب أن تخلدي إلى الفراش...»

أجابت الفتاة بواقعيّة: «عزيزتي موغي، إنني بخير، لويت

كاحلي فقط. ألم تعد أمي؟» كان في صوتها شيء من القلق فعبس الرجل الذي كان قد توقف قرب السيارة.

ردّت موغي: «لا، حمداً لله لم تأتِ. سننقلك إلى الداخل.» عندها سمعت نباحاً خافتاً منبعثاً من المقعد الخلفي فهتفت: «ما هذا؟ حيوان...؟»

أجابتها كريسيدا وهي تحلّ حزام الأمان: «إنه كلب، وجدته موثوقاً إلى شجرة. يجب أن نخبئه الليلة، وغداً أذهب إلى القرية لأبحث له عن مأوى. يجب أن يأكل، إنه خائر.»

غضبت موغي: «لن تسمح أمك بذلك. سأطعمه بعد أن أضعك في غرفتك وآخذه للسيد فلوز العجوز ليحفظه في زريبته.»

قاطعهما الرجل بلطف قائلاً: «من المستحسن نقل الآنسة بريس إلى فراشها. وبما أن الكلب غير مرغوب فيه هنا سآخذه معي. إنني ذاهب إلى يوفيل حيث يوجد طبيب بيطري جيد.»

«بيطري؟» اعترضت كريسيدا بحدّة: «يجب ألا يقضي عليه!»

«بالطبع لا. والآن لو سمحت سأحملك إلى الداخل. بعدها يمكننا أن نعطي هذا الكلب وجبة خفيفة.» وأضاف مؤكداً، وقد لاحظ نظراتها المشككة: «أعطيك وعداً بأنني سأعتني به.»

وتراجعت موغي مفسحة له المجال ليحمل كريسيدا إلى الداخل.

قالت، ترشده بخشونة: «اصعد إلى فوق عبر الممر خلف صحن الدرج.»

ارتقى السلالم الخشبية بترو حاملاً كريسيدا من دون عناء. وانتظر حتى فتحت موغي لهما باباً عند نهاية الممر.

كانت الغرفة صغيرة وأثاثها متواضعاً. وعبس الدكتور فان درلينوس مجدداً، إذ بدا له أن الغرفة تصلح لخادمة وليس

www.rewity.com
RAYAHEEN

لابنة صاحب البيت. وضعها في السرير برفق وألقى نظرة على كاحلها.

ثم علّق قائلاً: «أقترح أن تأخذي قرصين من البراسيتامول قبل النوم. تأكدي من قدوم طبيبك غداً ليكشف عليه ويعيد تضميده ويعطيك علاجاً. وقد تحتاجين إلى رفع قدمك لبضعة أيام، لكنه سيفعل ما هو ضروري.» وقف ينظر إليها سائلاً: «ألديك براسيتامول؟ خذي حبتين مع شراب بأسرع ما يمكن.»

أمسك يدها بيده الكبيرة. «حادث مؤسف، لكنك ستكونين بخير عمّا قريب. لا تقلقي بشأن الكلب، سأحرص على ألا يصاب بأذى. وداعاً، يا آنسة بريس.»

لا تريد أن يذهب؛ فهي فتاة حساسة، اعتادت قبول أمور الحياة كما هي، رغبت بقوّة بأن يبقى بجانبها إنما ذلك كان مستحيلاً؛ فهو شخص غريب صادف مروره عندما كانت بأمسّ الحاجة إليه. شكرته بصوت مهذب مكتوم من الألم. ونظرت إليه بأسف وهو يخرج من الباب. ثم واست نفسها بأن الكلب سيكون في أمان، وأن زوجة أبيها كانت خارج البيت.

نزل الدكتور ڤان درلينوس السلّم ببطء تتقدمه موغي. توقف في الردهة قائلاً لها: «اعتني بالآنسة بريس؟ إنها تتألم جداً. ضعيها في الفراش واعطيها شراباً ساخناً. وحبوب البراسيتامول كي تنام. سيصف لها طبيبها علاجاً مناسباً.» وأضاف مبتسماً لذلك الوجه القاسي: «أيمكنني أن أزعجك بطلب بعض الماء وقطعة من الخبز للكلب؟» وعندما أومأت برأسها سألها: «أيمكنني أن أعرف اسمك؟»

«آنسة موغفورد، لكن الآنسة كريسي اعتادت منذ حداثة سنها أن تناديني موغي.» وتقدمته قائلة: «لدي بعض الحساء

على الفرن، ربما أن قليلاً منه يفيد هذا الحيوان. بعدها سأذهب وأرى الآنسة كريسيدا.»

أرشدته إلى المطبخ حيث سكبت الحساء في وعاء وفتّت فيه بعض كسرات الخبز. وطلبت منه بقلق: «لا تتأخر، فالسيّدة بريس لا تحتمل الحيوانات. لحسن الحظ أنها ليست هنا... سيكون هناك ما يكفي من المضايقات للآنسة كريسيدا.»

علّق الدكتور ڤان درلينوس بلين: «نعم. أنا أكيد من أن سيدتك تنزعج.»

«تنزعج؟ آه، ستنزعج بالتأكيد.» ونظرت إلى الساعة. «عليك أن تسرع، ستعود خلال دقائق.»

أومأ برأسه قائلاً: «أشكر لك اهتمامك. لقد كنت كريمة جداً.»

أغلقت الباب الأمامي خلفه، فتوجّه إلى السيارة ووضع الكلب داخلها بعدما تركه يأكل ويشرب في الخارج. بعد حوالى ميلين، كان قد وصل تقريباً إلى تمبلكومب حين تجاوزته سيّارة تقودها امرأة. لعلها السيدة بريس، فكّر في نفسه وهو ينعطف عن الطريق ليأخذ طريقاً مختصراً إلى يوقيل حيث يتواجد البيطري.

نهض ذلك السيد المحترم عن كرسيه المريح قرب النار، ورمق الكلب البائس المقيّد بالحبل. «عزيزي ألدريك، ماذا لديك هنا؟»

«إنه كلب، يا جون، أخذته من منقذه الذي لم يتمكن من اطعامه وايوائه. لقد وجده موثوقاً إلى شجرة في الطرف الآخر من منتون كراكنل.»

«أتريد أن ألقي نظرة عليه؟ إن حالته مزرية!» وربّت على رأس الكلب مضيفاً: «لم أكن أعرف بوجودك هنا. هل تبقى

www.elsewithcouple.com

عند السيدة ميريل؟ يجب أن تأتي للعشاء في إحدى الأمسيات قبل أن تغادر.»

تقدّمه البيطري خارج المنزل إلى باحة خلفيّة عبرا منها إلى عيادته. حيث سأله: «كيف حال السيّدة الكبيرة؟»

«بحالة ممتازة. تكاد الأعوام لا تترك أثراً عليها.» وضع البيطري الكلب المتشنج على طاولة الفحص، وهو يداعبه بيد ثابتة.

عاد يسأل: «أتمضي عطلتك هنا أم تقوم ببعض الأعمال؟»

«قليل من الإثنين. قضيت أسبوعاً في اديمبورغ؛ وسأذهب إلى بريستول لألقي سلسلة من المحاضرات، ومن ثم أعود إلى لندن قبل أن أغادر إلى الوطن.»

«حسناً ابق معنا على العشاء. ستستاء موللي إن لم تفعل. ما رأيك بأمسية في الأسبوع المقبل؟ اختر أي يوم.»

«أحب ذلك. أيمكنني أن أتصل بكم هاتفياً؟»

قال البيطري، وهو ينحني على الكلب: «ليس مصاباً بأي كسر حسبما أرى، لكنه خائر من الجوع وقد أسيئت معاملته. أنظر إلى هذه القروح. أتريدني أن أعالجه لك أم...»

«عالجه لو سمحت. لقد وعدت منقذه: فتاة ذات عينين بنيتين واسعتين.»

رفع جون نظره وعلّق: «قلت إنه وجد قرب منتون كراكنل؟ لعلها كريسيدا بريس، فلقد جلبت لي منذ شهر أو أثنين هرة... بحالة مزرية ودفعت لي كي أشفيها من حروق رديئة سببها لها صاروخ حارق علّقه صبيّ أخرق في ذيلها. وما تزال تدفع لي قسطاً صغيراً كل مرّة.»

«ومع ذلك تعيش في بيت بهيج...»

«نعم، لكني أعتقد بأن حياتها ليست بهذا القدر من البهجة. مات والدها منذ أشهر؛ وهي تعيش مع زوجة أبيها. وللأسف ترك كل شيء للزوجة معتقداً بأنها سوف تدّخره لابنته.»

ربّت الدكتور ڤان درلينوس على رأس الكلب المرتعش وقال: «من المؤكد أن في استطاعة أي فتاة في هذه الأيام أن تترك البيت وتبحث عن عمل.»

«قد يظن الإنسان ذلك، على الرغم من أنها ليست مدرّبة على القيام بأي عمل. ماذا عليّ أن أفعل؟ هل اعالج هذا الحيوان وأعلمها بالأمر؟»

«لا، لقد أعجبني. ساخذه معي عندما أعود إلى هولندا. أمن الممكن أن أتركه معك؟ ستتساءل جدتي من أين حصلت عليه.»

«اتصل بي غداً، لنرى كيف يصبح بعد أن يأكل ويأخذ قسطاً من الراحة.»

صعد الطبيب إلى سيارته وانطلق خارج المدينة شمالاً، ثم انعطف عند تقاطع طرق قاده إلى قرية صغيرة تقع بين التلال. كانت قرية صغيرة، تضم كنيسة، بضعة أكواخ صغيرة، ومنزل جميل للقس وأبرشيته، ومخزن وبركة للبط. عبرها قبل أن ينعطف بين أعمدة مزخرفة بأسود متآكلة رؤوسها، ويكمل بين أشجار كثيفة. انتهت رحلته عند ساحة مرصوفة بالحصى أمام بيت من الطوب الأحمر يرجع بناؤه لعهد الملكة آن، محاطاً بالأشجار، وينساب الضوء من نوافذه. فكر الدكتور ڤان درلينوس في قرارة نفسه، وهو يترجّل من السيارة، هاله هذا المنظر المضياف. كان الباب مفتوحاً عندما وصل إليه. حيّاه رجلٌ مسنٌ وقور، مرتجف الساقين، وتمنى له مساء سعيداً، وأخبره أن الليدي تجلس في قاعة الاستقبال الصغرى.

www.rewity.com RAHEEM

قال الدكتور معتذراً: «تأخرت، يا باكستر... لقد انشغلت. امهلني عشر دقائق قبل أن تعدّ العشاء.» وربت بلطف على كتف العجوز وعبر الردهة إلى أحد الأبواب المفتوحة.

كانت الغرفة مشرقة، طرازها قديم قليلاً، لكنها مضاءة يدخلها النسيم، أثاثها ضخم وسجادها وثير. توجّه الطبيب نحو كرسي قرب المدفأة. فاستدارت السيدة الجالسة على الكرسي وابتسمت له. وهرع إليه كلبان من فصيلة الباكستر فانحنى ليداعبهما قبل أن يقبّل جدته.

«أسف على تأخري، يا عزيزتي، أعاقني حادث مفاجىء.»

«ألم تجر المحاضرة على ما يرام؟»

«أوه، جرت على أحسن ما يكون. لكنني أجبرت على التوقف في الطريق.»

«صب لنفسك شراباً وأخبرني عن ذلك.»

ثم روى القصة لها.

عادت تسأله: «أكانت الفتاة جميلة؟»

«جميلة؟ في الحقيقة لم أعد أذكر شكلها. كانت عيناها جميلتين وصوتها ممتعاً.» بدا من كلامه انه غير مهتم. وما لبثا أن تكلما في أمور أخرى. ولم يفكر بالفتاة مجدداً.

أما كريسيدا، فقد جلست في الفراش بمساعدة موغي. كان كاحلها يؤلمها بشدّة، لكن حبات البراسيتامول بدأت تعطي مفعولاً. كانت موغي قد ركزت لها في السرير مسنداً لقدميها لتقيهما ملامسة الشراشف، وربما في الصباح تتحسن حالتها. كانت ملازمة السرير بمثابة رفاهية لا ترضى زوجة أبيها عنها. كانت تأمل بألا تعود زوجة أبيها باكراً كي لا تعرف شيئاً عن الموضوع قبل صباح الغد. شربت الشاي الذي أحضرته لها

موغي، ثم نامت امتثالاً لالحاحها. استيقظت بعد نصف ساعة، لدى دخول السيدة بريس، امرأة شابة رائعة الجمال، في منتصف العمر، تحتفظ بشخصية رقيقة مزيّفة. كل ذلك بفضل اتباعها نظاماً غذائياً قاسياً، وذهابها إلى أفضل مصففي الشعر للمحافظة على لون شعرها الذهبي، واعتمادها على المعلومات التجميلية التي تقرأ عنها في مجلاتها المفضلة، وأخيراً اختيارها للملابس الفضفاضة التي تضفي عليها أنوثة ورقّة تخفيان وراءهما طبيعة باردة وقاسية كالفولاذ.

سألت مستفسرة: «ما هذا الهراء الذي سمعته من الآنسة موغي؟ ولم أنت في السرير؟ إنها ما تكاد الساعة التاسعة؟ في الحقيقة، يا كريسيدا، لا أتصور أن فتاة متعافية في الرابعة والعشرين تتكاسل هكذا.»

كانت كريسيدا معتادة على تصرّفات زوجة أبيها معها. قالت وهي على فراشها: «أنا في الفراش لأنني لا أستطيع الوقوف على قدمي. إنها تؤلمني! ربما أتحسّن في الصباح.»

«من الأفضل أن يحدث ذلك. فإن آل ورثينغتون قادمون إلى العشاء وأريد أن تنسق الزهور وأن تلمع الفضيات جيداً.» وتنفست بثقل قائلة: «رأسي يؤلمني مما أرغمني على العودة باكراً من الحفلة. كل ما آمل هو أن تحضّر لي الآنسة موغي شراباً ساخناً وتهيء لي الحمام بسرعة.»

خرجت من دون أن تلقي تحيّة المساء. فأوت كريسيدا في فراشها وتمددت بحذر لشعورها بآلام كاحلها.

لم يحن بعد وقت تناول حبوب براسيتامول اضافية. فرتبت وسائد بطريقة مريحة، وسمحت لأفكارها بالشرود.

كان الرجل الذي اصطحبها إلى المنزل لطيفاً. لقد عاملها

Anna Jewitt Collection
RAVENHEWN

كانها شخص مهم. وبما أن مظهرها كان عادياً فقد قدّرت ذلك. لقد فوجيء حين رأى غرفتها وقد لاحظت ذلك على الفور. ولكن بما أنها لن تراه ثانية فكّرت بأن ذلك لا يهم. كانت تعرف أن أصدقاءها القليلين في القرية لا يفهمون لماذا تبقى في المنزل مع أنها ليست موضع ترحيب فيه، خصوصاً بعد موت والدها. لم تخبر أحداً بأنها تبقى بسبب موغي، التي لا تملك منزلاً. لقد عملت طوال حياتها عند أهل كريسيدا، ولم تتمكن من الادخار بسبب أختها المتزوجة رجلاً محطماً بائساً، كانت حياتهما ممكنة فقط بفضل مساعدة موغي الإضافية. وها هي الآن في الثامنة والخمسين من العمر، وما تزال أمامها سنتان من الخدمة قبل أن تتمكن من سحب تعويضها والحصول على الراتب السنوي الذي تركه لها السيد بريس. وحتى يحين ذلك الوقت، ليس في وسعها سوى البقاء عند السيدة بريس، التي أفهمتها بأنها إذا تركت قبل أن تبلغ الستين فإن راتبها التقاعدي سيلغى. إن الآنسة موغفورد وعلى الرغم من مظهرها القاسي، كانت تخشى أن لا يقبل أحدٌ باستخدامها. فضلاً عن أنها كانت تمني نفسها بالعيش مع أختها الأرملة حيث يمكنها أن تنعم بتقاعد مريح. وقد بقيت تدبر المنزل بمساعدة كريسيدا وفتيات القرية. ولأن كريسيدا كانت تعلم ظروف موغي فقد بقيت. وكانت تردد لنفسها بأن السنتين ستنقضيان بسرعة، وحالما تتركز موغي بأمان عند شقيقتها ستشعر بأنها حرّة في المغادرة. لم يكن لديها أدنى فكرة عما ستفعل، لم تكن مدرّبة على القيام بأي عمل، لكنها كانت تساعد في أعمال المنزل، وحتى في هذه الأيام هناك سيّدات مسنّات بحاجة إلى مرافقات. كان كل مبتغاها سقفٌ يقي رأسها وبعض النقود تعيل نفسها بها بانتظار أن تثبت قدميها.

من المؤسف أن والدها الأمين قد ترك كلّ شيء لزوجته معتقداً بأنها ستعطي كريسيدا ما يلزمها. عوضاً عن ذلك، دأبت السيدة بريس على التأكيد من أن ذلك كان أمراً منتهياً. فعلى كريسيدا أن تساعد الآنسة موغفورد لتحصل بالمقابل على المأكل والملبس ومصروف الجيب.

بعد عدّة احتجاجات ساخطة عقدت كريسيدا النيّة على الرحيل، إنما أعاقها معرفتها بظروف موغي، لأنها كانت تتمتع بالإدراك والمروءة. إذ أن موغي مستخدمة محبّة ومخلصة، والتقاعد أصبح في متناول يدها. وهكذا بقيت كريسيدا، وكان كل من يعرفها يفكر سراً بأن عليها أن تظهر شجاعة أكبر.

لم تبح بسرّها لأحد حتى لأقرب صديقاتها. وبما أن السيدة بريس تعاملها بحنان الأم عند حضور أحدٍ ما، فقد ظنّ الجميع أنها تحب طريقة عيشها. كانت دائماً مرحة. ولم تكن تظهر الحسد عندما تخطب إحدى صديقاتها أو تعثر على عمل جيد خارج القرية. ولم يعلم أحد بالساعات الطويلة التي كانت تقضيها في التخطيط لمستقبلها. لم تكن تفكر كثيراً بالأمر لأنها تكره أن ترثي نفسها. لكنّها بين الحين والآخر كانت تتمنى لو أن لديها القليل من حسن المظهر، وجمال الوجه، لكان ساعدها ذلك في ايجاد وظيفة.

غفت، لتستيقظ خلال الليل بسبب الألم في كاحلها.

في الصباح أتت موغي للاطمئنان عليها، فنظرت إلى وجهها الشاحب وأمرتها بالبقاء حيث هي.

«لا أستطيع.» هتفت كريسيدا. «يجب تنسيق الأزهار وتلميع الفضّيات.» ونزلت عن السرير واضعة رجلها المصابة على الأرض. فحدث ما لم يحدث لها من قبل، لقد أغمي عليها.

www.rewity.com

التقطتها موغي ووضعتها على السرير، ثم اتجهت نحو غرفة السيدة بريس. وخلافاً لعادتها، بالدخول عليها في موعد محدد، تحمل إليها شاي الصباح فقد أيقظت سيدتها بسرعة.

قالت لها معنفة: «لقد أغمي على الآنسة كريسيدا وهي تحاول مغادرة الفراش لأنك أمرتها بذلك. من الأفضل أن تستدعي الطبيب.»

جلست السيدة بريس في السرير. وقالت: «أمن أجل كاحل ملتوٍ؟ لا بد أنها لوته بطريقة سيئة. بالطبع لن استدعي الطبيب، لكنني أظن أن من الأفضل لها أن تلازم السرير في الوقت الحاضر. يا لهذا الازعاج. علي أن أعاني من ألم في الرأس لأني استيقظت فجأة. في الحقيقة يجب أن تراعوا أعصابي.»

عادت تستلقي على وسائدها قائلة: «اذهبي واحضري لي الشاي في الوقت المحدد.»

خرجت موغي، وهي تتمتم بغموض بعد أن أغلقت الباب. لا يمكن أن تجري الأمور على هذا النحو: يجب فعل شيء! برغم أنها كانت تجهل ما هو. ذهبت إلى المطبخ وحضّرت إبريقاً من الشاي حملته إلى غرفة كريسيدا، حيث شاركتها في شربه. كان قوياً وساخناً، وشعرت كريسيدا بالتحسن بفضل البراسيتامول.

اقترحت: «بامكاني النهوض بمساعدة عصا...»

«هراء، لن تفعلي شيئاً كهذا. ذاك الطبيب اللطيف الذي اصطحبك بالأمس إلى المنزل سينزعج إذا عرف ذلك.»

«لن يعرف.» قالت كريسيدا، وشعرت بالأسف لذلك. كانت فتاة حساسة تخفي طبيعة رومنسية وراء مظهرها العادي. ما من فائدة في تمني شيء لن يمكنها الحصول عليه. تمكنت من الاغتسال بمساعدة موغي، وسرحت شعرها الطويل

وضفرته. وأخذت تحاول اقناع موغي بأن تأتي بالأواني الفضية إلى غرفتها. وسارعت تقول: «مع جريدة قديمة، ودواء التلميع، وخرقة يمكنني أن أقوم بالمهمة بسهولة وهذا سيشغلني.»

«حسناً.» قالت موغي متذمرة: «لكن بعد أن تتناولي افطارك.»

«لست جائعة...»

«ستاكلين ما أجلب لك!» عقبت موغي.

استيقظ الدكتور فان درلينوس باكراً ليتمشى في الحديقة مع الكلاب، ويتمتع بأشعة الشمس المنعشة. لقد نام جيداً، لكنه يشعر ببعض الاكتئاب. فعلى الرغم من أنه ما يكاد يتذكر شكل الفتاة التي ساعدها في الأمس، إلا أنه غير قادر على طرد شعوره بأن عليه أن يفعل لها شيئاً. لم يعجبه الجو الغامض والقلق الذي كان يسيطر عليها وعلى المرأة التي استقبلتهما. كما أدهشته الغرفة الصغيرة البسيطة، إذ لم تكن تليق بابنة صاحب المنزل. كما أن الخادمة كانت راغبة في رحيله.

دخل ليتناول فطوره. قد تكون فكرة حسنة أن يعرف اسم طبيب القرية وأن يتصل به. من جهة أخرى قد يكون ذلك تدخلاً. تنهد وسكب لنفسه المزيد من القهوة. من الأفضل لو أنه يتصل ويستفسر. كان عليه أن يتغدى مع أصدقاء في كاستل كاري ولم يكن ذلك بعيداً عن طريقه.

صعد فوراً إلى غرفة جدته. كانت تجلس في سريرها وصينية الافطار أمامها.

قالت: «تعال وكل هذه القطعة من الخبز، فالسيدة ويفن

www.kewity.com RAYAHEEN

مواظبة على تغذيتي. ألست ذاهباً إلى كاستل كاري عند آل كوليرز؟ هل جيني في المنزل؟»

ابتسم ببطء. «وساطة زواج يا جدتي؟ لست أعلم إذا كانت في المنزل. على كل حال...» صمت قليلاً. «حان لي أن أتزوّج، لكن ليس من جيني.»

سألته الليدي ميريل بلهفة: «هل وجدت الفتاة؟»

«لست متأكداً، إنها مناسبة لي تماماً، اسمها نيكولا ڤان جرمرت... لقد صادفتها. إنها ابنة أحد الأساتذة في جامعة لايدن. إننا نعرف نفس الأشخاص ونتشاطر طريقة العيش نفسها.»

قضمت الليدي ميريل خبزها وقالت: «أسباب غير كافية للزواج، يا عزيزتي، إنك ناضج وحكيم كفاية لتعرف ماذا تريد.» وأضافت: «معظم الرجال يريدون الحب أيضاً.»

نهض قائلاً: «حسناً، لا أظن أننا كنا محظوظين كفاية في العثور عليه. هل ستكونين في البيت وقت تناول الشاي؟ يمكننا أن نجلس في الحديقة لنتحادث إذا كان الطقس دافئاً.»

انحنى يقبل وجنتها. «البقاء معك هنا شيء أتوق إليه دائماً.»

«وأنا أيضاً، يا عزيزي، لكنك ستشعر بالضياع بعيداً عن عملك. ألم تشتق للمستشفيات والعيادات والمرضى؟»

«أفتقده كثيراً. فهو أهم ما في حياتي، يا جدتي.»

«إنه جزء من حياتك، يا ألدريك، والآن اذهب واستمتع.»

استدار عند الباب، وقال: «أعتقد انني سأعرج لأسأل عن أحوال الفتاة. كما يجب أن أستعلم عن الكلب لأخبرها عنه.»

«قد يكون ذلك لطيفاً.» قالت السيدة ميريل، وهي تنظر إلى ظهره يختفي عبر الباب. ثم فكرت بأنه على الرغم من أن الفتاة

كانت عادية لدرجة أنه لم يعد يتذكر شكلها، إلا أنه كان لطيفاً معها. لكن بالطبع هو رجل كريم النفس.

انطلق فوراً بسيارته البنتلي. لم تكن منتون كراكنل بعيدة، لكن لم يكن هناك طريق مباشر نحوها. كان يجب أن يبتعد عن طريقه ليصل إليها. لما كانت المسافة إلى كاستل كاري أقلّ من عشرة أميال وكلّها طريق رئيسية، فسيجد الوقت الكافي ليقوم بزيارته.

بدا له البيت جميلاً وهو يترجل من سيارته، لكن وجه الخادمة كان يعبر عن غضب وحزن. كان الطبيب معتاداً على التعامل مع كل أنواع الشخصيات. ألقى تحية الصباح بمودّة، لكن نبرته كانت حازمة:

«جئت لأستفسر عن الآنسة بريس. فأنا في طريقي إلى بعض الأصدقاء، وقد مررت قرب الباب.»

«إنها في الفراش وكاحلها متورم. ولا أحب منظره...»

«ألم يأت الطبيب؟»

أومأت برأسها، وتكلمت بصوت خفيض: «السيدة بريس تقول إن ذلك ليس ضرورياً.»

«قد يكون علي أن أكلمها. أعرف أن هذا ليس من شأني، لكنني سأحاول أن أقنعها.»

بدا التجاوب على وجه الآنسة موغفورد العابس. «آه يا سيد، لو تفعل. فأنا لا أدري ماذا أفعل...»

تنحت لتسمح له بالدخول، وتركته في الردهة وذهبت إلى السيدة بريس.

عادت على الفور. «إذا سمحت أن تأتي معي من هنا، يا سيد...»

www.rewity.com RAYAHEEN

كانت السيدة بريس تجلس قرب نار متأججة، وصينية قهوة بجانبها. لم تتحرك عن كرسيها.

قالت بصوت حزين: «أعتذر عن عدم وقوفي، لست قوية كفاية. أفهم انك كنت لطيفاً جداً عند أحضارك كريسيدا إلى المنزل يوم أمس. تفضّل بالجلوس... إنه لطف منك أيضاً أن تأتي للإطمئنان.» وقالت بحدة للآنسة موغفورد، التي كانت تتسكع عند الباب: «احضري المزيد من القهوة. فهذه باردة...»

جلس الطبيب، وقد قبل القهوة التي قدمت له لاحقاً، يستمع بشيء من التعاطف لصوت مضيفته الناعم، وهي تصف عوارض سوء صحتها. وضع فنجانه وقال بصوت لطيف: «أرغب في أن أرى كاحل ابنة زوجك. لأطمئن على الضماد. أتوقع ذهابها لأخذ صورة إشعاعية هذا اليوم؟»

أطلقت السيدة بريس ضحكة رنانة. «بحق السماء، لا، أيها الطبيب، ليس سوى التواء. يجب أن تنهض وتسير خلال وقت قليل. من المزعج أن تلازم الفراش. لكن لم يغم عليها من قبل. هذه الفتاة السخيفة! ولدي ضيوف على العشاء هذا المساء أيضاً.»

سألها الطبيب: «لكنك لا تمانعين رؤيتي لها؟» وكان في صوته نبرة جعلتها تهزّ كتفيها وتوافق بتردد.

قالت له مبتسمة: «شجعها على النهوض... ستكون أفضل على قدميها أليس كذلك؟» في الواقع، لقد فكرت أنه وسيم وساحر، لدرجة تجعل أي شخص يرضخ لكل ما يتلفظ به.

رد الدكتور فان درليندوس: «ستكون حالتها أسوأ.» وكان يتكلم بصوت ساحر وهادىء لم تلاحظ انه يعارض قساوتها.

أضافت السيدة بريس: «حسناً، ستصطحبك الآنسة موغفورد إلى غرفتها. فأنا أجد السلالم متعبة... وعلي أن أكون حذرة.»

بدت ذابلة ومعذبة، ولو أنها انتظرت أن يستفسر الطبيب بتعاطف أكبر عن الأسباب، لكانت أصيبت بخيبة أمل.

لما استدعيت الآنسة موغفورد رافقته على السلالم بسكون. وعندما وصلا إلى باب غرفة كريسيدا وقفت تنظر إليه، لكنها لم تقل شيئاً على الرغم من أنها قرعت الباب وفتحته له كي يدخل.

كانت كريسيدا تجلس على السرير، محاطة بأوراق الصحف الموضوع عليها آنية الفضة التي كانت تلمعها. لم يكن فيها شيء جميل: يتدلى شعرها المضفر على كتف واحدة، وجهها غير معتنى به، يظهر عليه الإجهاد واحدى وجنتيها كانت ملطخة. أما يداها فكانتا ملطختين بمادة تلميع الفضة. الطبيب، رجل لطيف، نظر إليها بالشعور نفسه الذي قد يخالجه إذا صادف هرّاً أو جرواً بحاجة إلى مساعدة.

حيّاها بتهذيب: «صباح الخير، آنسة بريس.» وبما أنها كانت تحدق به فاغرة فاها قال: «صدف أن مررت من هنا، وشعرت أن أقل ما أستطيع فعله هو الاطمئنان على كاحلك.»

أغلقت كريسيدا فاها وقالت بتهذيب: «هذا لطف منك، أنا بخير، شكراً.» وابتسمت له: «أليس صباحاً جميلاً؟»

«رائع. أيمكنني أن أرى كاحلك؟ بالطبع هذا ليس من شأني، لكنني أشعر بأن عليك تصويره.»

بدأت كريسيدا بالقول: «لست متأكدة...» لكن موغي اسكتتها.

وأضافت بحدة: «الطبيب يعرف أفضل منك، استلقي يا آنسة كريسيدا، ودعيه يلقي نظرة.»

انحنى الطبيب بطوله الفارع وتفحص الكاحل. وعندما

www.rewity.com RAYAHEEN

انتهى انتصب وقال: «لست طبيبك وليس بامكاني أن أساعدك كثيراً، لكني سأبذل جهدي لأقنع زوجة أبيك بضرورة سماحها للطبيب أن يكشف عليك. إنه الدواء ردىء سيشفى سريعاً إذا لقي العلاج الصحيح.»

سألت كريسيدا برضوخ: «وإن لم أحصل عليه؟»

«ستعرجين بالم لفترة طويلة.»

«شكراً لك. كان لطفاً منك أن تأتي. أعتقد بانك لا تعلم ما جرى لذلك الكلب المسكين.»

«كان بحاجة للطعام والراحة فقط.» ابتسم لها وأضاف: «سآخذه معي عندما أعود إلى هولندا.»

أشرق وجهها فرحاً: «آه هذا فعلاً رائع، أنا أكيدة من أنه سينمو ليكون حيواناً ظريفاً.»

أخفى الطبيب شكه بطريقة رائعة قائلاً: «ليس لدي أدنى شك بذلك.»

أمسك يديها، فقالت كريسيدا بطريقتها المرهفة: «عليك أن تغسل يدك، لقد غطاها دواء التلميع.» ثم أضافت: «أتمنى لك رحلة موفقة.»

بعد ذهابه جلست على سريرها ناسية الأنية الفضية وتشعر بالوحدة والعنفوان.

لم يبق الطبيب وقتاً طويلاً مع السيدة بريس. اكتفى بابداء رأيه بضرورة أخذ صورة أشعة لكاحل كريسيدا واعتذر بسبب ارتباط طارىء ومهم، ثم رحل.

توقف في القرية، واستعلم عن بيت الطبيب. وقدم عن نفسه أمام باب العيادة. كان الدكتور برادوك يهم بالخروج في جولته. فقال له: «فان درلينوس... أعرف هذا الاسم. لقد كتبت

مقالاً في اللانست الشهر الماضي عن النترو بينيا وكانت نظرية مشوّقة. تفضل بالدخول فأنا مسرور لمقابلتك.»

قال الدكتور فان درلينوس: «إنني أتعدى على حقوقك! دعني أشرح لك ذلك...»

استمع الدكتور برادوك إليه، ثم قال: «سأذهب هذا الصباح فأنا أعرف... والكل يعرف... أن الأشياء لا تسير كما يجب في منزل الأبرشية القديمة. كريسيدا الصغيرة طفلة عزيزة، لكن المرء لا يستطيع أن يتدخل. مع ذلك سأفعل ما في وسعي لأنقلها إلى المستشفى لبضعة أيام. فلن يكون بامكانها الاستراحة كما يجب إذا بقيت في المنزل...»

لاحظ الدكتور فان درلينوس قائلاً: «هذا يذكرني بسندريلا زوجة أبيها.»

أومأ الدكتور برادوك قائلاً: «مهزلة أليس كذلك؟ في هذه الأيام وهذا العصر. لا بد من وجود سبب يبقي كريسيدا في البيت، لكنها لن تبوح به لأحد.»

ذهب الدكتور فان درلينوس في الحال. سوف يتأخر عن الغداء عند آل كوليرز. وبما أنه صديق قديم قد يغفرون له بالإضافة إلى أن جيني رفيقة ممتعة. قال لنفسه إنه فعل كل ما في استطاعته من أجل كريسيدا بريس. فهي امرأة ناضجة وعليها أن تتدبر أمور حياتها.

فكر في طريق عودته إلى بيت جدته بأنها تبدو مقتنعة بما قسم لها. عسى أن تتحسن الأمور. عندها اكتشف انه يجد صعوبة في نسيانها. وتمتم: «هذا عبث. لا يمكنني حتى أن أتذكر كيف تبدو.»

www.rewity.com/vb RAYAHEEN

الفصل الثاني

كانت كريسيدا تضع اللمسات الأخيرة على فضّية المائدة عندما فوجئت بموغي تفتح باب الغرفة وتتقدم الدكتور برادوك. تمنى لها صباحاً سعيداً وربّت على كتفها، مبدياً نيّته في فحص كاحلها.

سألته كريسيدا، محاولة أن لا تنتفض وهو ينخز كاحلها: «كيف عرفت بذلك؟»

«شرح لي الدكتور ڤان درلينوس بدقّة ما بك. من حسن الحظ أنه وجدك، يا عزيزتي. ما كنت لأضمده أفضل من ذلك. لكن يجب أخذ صورة أشعة. سيارتي في الخارج. سآخذك إلى يوڤيل لنسوي الموضوع.»

«أيجب عليك ذلك؟ أعني أن زوجة أبي تقيم حفل عشاء هذا المساء...»

أجاب الطبيب مشاكساً: «ليس من الضروري أن تأتي معك.» ثم استدار نحو الآنسة موغفورد: «أتعتقدين بأنه بامكاننا نقلها على كرسي إلى الأسفل؟ ألبسيها فقط عباءتها.»

سألت كريسيدا بحساسية: «كيف سأعود إلى البيت؟»

«وأنا أيضاً يجب أن أعود إلى البيت، أليس كذلك؟» اتجه نحو الباب، وهو يقول: «سأذهب لأرى زوجة أبيك ريثما تجهّزك الآنسة موغفورد، فلا تضيّعي الوقت!»

«الفضيّة!» هتفت كريسيدا، وهي تنظر إلى موغي فيما كانت تلتقطها: «لم أنته منها كلياً.»

«هراء!» قالت الآنسة موغفورد: «هذا غير مهم. إليك عباءتك.»

عاد الدكتور برادوك فوراً وحمل كريسيدا بمساعدة موغي إلى الممر السفلي عبر الباب، ومن ثم إلى سيارته.

لحقت السيّدة بريس بهم وهي تكاد تبكي. سألت بصوت حزين: «ماذا علىّ أن أفعل؟ يجب تجهيز المائدة والشراب والأزهار أيضاً. بصراحة، يا كريسيدا، أنا أعتقد بانك أنانيّة جداً...»

لم يجبها أحد. فقد كان الطبيب وموغي منشغلين جداً في نقل كريسيدا، محاولين عدم إيلامها، فيما كانت تصر أسنانها من الألم.

انطلق الدكتور برادوك بسيارته. وحالما تمكنت كريسيدا من استعادة صوتها سألت: «هل سأمكث طويلاً؟ بالحقيقة يجب أن أعود بأسرع ما يمكن للمساعدة. ليتني أتمكن من العودة في موعد العشاء؟ أنت لطيف للغاية إذ أقليتني، أيها الدكتور برادوك، إنما أعتقد بأنه عليك العودة للعشاء.»

لم تعد كريسيدا على العشاء، وعوضاً عن ذلك وجدت نفسها في أحد أجنحة المستشفى، ترتاح على سرير، وكاحلها المصاب في الجبس، على أمل أن تتعافى في بضعة أيام.

«لا يمكنني البقاء.» شرحت كريسيدا للطبيب المناوب الذي أتى ليراها، بعد أن أدخلت إلى المستشفى: «ليس معي شياب ولديّ أشياء كثيرة في المنزل لأفعلها...»

«حسناً، إذا لم تريحي هذه القدم لبضعة أيام لن يكون باستطاعتك عمل شيء في المنزل، أو في أي مكان آخر. سيمر الدكتور برادوك على زوجة أبيك في طريق عودته. أجرؤ على القول إنها ستأتي لتراك وتأتيك بكل ما تحتاجين.»

www.rewity.com

أخر شيء قد تفعله هذه السيّدة، لكن ما من داعٍ لقول ذلك، فكرت كريسيدا في سرّها. وبما أن السرير مريح والصباح كان متعباً، فقد أغمضت عينيها ونامت.

جاءت الآنسة موغفورد عند المساء، تحمل معها ما اعتقدت بأنه ضروري لراحة كريسيدا خلال وجودها في المستشفى.

سرّت كريسيدا لرؤيتها، لكنها سألتها بقلق: «موغي، كيف تدبرت أمر خروجك؟ فاليوم حفلة العشاء... هل زوجة أبي غاضبة؟»

أجابتها موغي باختصار: «إنها غاضبة جداً، فقد كان الدكتور برادوك صارماً معها، وذكّرها بأنها مسؤولة عنك ولست أدري ماذا أيضاً... صدف أنني كنت أعبر في الممر ولم يكن الباب مغلقاً... بعد ذهابه اتصلت بالهاتف بشركة لتحضير الطعام، وهاهم هناك الآن يقومون بالضروري. طلبت أن أجلب لك ما تحتاجين. لقد جئت بسيارة الخباز.»

سألتها كريسيدا: «كيف ستعودين؟»

أجابتها موغي: «ستعود السيارة بعد ساعة... فالسائق في إجازة غداً.»

«لست أدري كم سأمكث هنا...»

«سمعت الدكتور برادوك يقول ليومين، لذلك تمتعي بالراحة، يا آنسة كريسيدا. كما عليك أن تأخذي الأمور ببساطة عندما تعودين إلى البيت.»

«هل زوجة أبي مستاءة؟»

أجابتها الآنسة موغفورد متحفظة في أهمية الأمر: «إنها متكدرة.»

كم كان مدهشاً ما فعله يومان في المستشفى بكريسيدا.

فإلى جانب جلسات العلاج الفيزيائي المؤلمة، كانت تمضي قسطاً من اليوم رافعة كاحلها المحساب على كرسي، وهي تقرأ مجلاّت وصحفاً إلى المرضى الآخرين، وتسرح في القصص العاطفية التي كانت تعطيها إياها مسؤولة المكتبة في المستشفى. كذلك لم تكن ترفض الطعام. فمع نهاية اليوم الثاني عاد اللون إلى وجنتيها واكتسبت بعض الوزن.

كان ذلك صباح اليوم التالي، بعد الإفطار، حين جاء مسؤول قسم العظام والمفاصل ليبلغها بأنّها أصبحت جاهزة للعودة إلى المنزل. واوصاها قائلاً: «عليك أن ترتدي جورباً من المطاط لمدّة أسبوعين، وأن تريحي قدمك قدر الإمكان خصوصاً الكاحل. لقد اتصلت الممرّضة بزوجة أبيك التي أكّدت لنا بأنه سيُعتنى بك جيّداً. سوف نرتب كي تقلّك سيارة المستشفى اليوم بعد الغداء.»

شكرته كريسيدا، وفكرت أن الجورب والعصا سيمكنانها من تدبر أمرها بسهولة. بالفعل يجب عليها ذلك...

كانت تجلس مرتدية ثيابها وجاهزة للرحيل، كاحلها مرفوع على كرسي أمامها، عندما فُتح الباب ودخل الدكتور فان درلينوس.

كانت تحيّته لطيفة وقال: «كان لدي مقابلة هنا. ففكرت أن اعرج عليك وأرى كيف أصبحت. لقد اخبروني أنك ذاهبة إلى المنزل؟»

بادرته بابتسامة ثابتة وقالت: «نعم، إني بانتظار السيارة التي ستقلني. لقد تحسنت. وأنا شاكرة لك كل ما فعلته من أجلي.»

«لا تفكري بذلك. سأمر قرب منزلك، سأقلك معي إذا كنت

www.rewity.com/vb
RAYAHEEN

جاهزة. دعيني أكلّم الممرّضة...» تفوّه بذلك، وخرج قبل أن تستطيع الإجابة.

في طريق العودة، أخبرها بأنه سيذهب في الغد إلى لندن، ومن ثم سيعود إلى هولندا. وأضاف قائلاً: «لا أعتقد أني سأعود قبل فترة من الزمن.» وسألها عرضاً: «ألديك أي خطط مستقبلية؟»

أجابته ببرودة ونظرة حزينة: «لا أبداً، على الأقل، لحين.»

قال الطبيب بسهولة: «حسناً، أستطيع القول إن لك أسبابك للبقاء في المنزل.»

أجابته: «أجل لديّ أسباب. ماذا سيحصل للكلب أثناء وجودك في لندن؟»

قبل تغيير الموضوع وأجاب برصانة: «سيبقى عند البيطري. سآخذه معي عندما أترك انكلترا. كما تعلمين إنه ظريف مع أني لست أكيداً من نوعه، ما يزال صغيراً، عمره حوالي ستة أشهر وسوف ينمو.»

«ألديك مكانٌ له في بيتك؟»

«آه، نعم.» أجابها وهو يتوقف أمام بيتها ويترجل ليساعدها.

قالت: «شكراً لك. هل تحب أن تدخل وترى زوجة أبي؟»

ابتسم الطبيب قليلاً. فقد كان من الواضح أنها تتمنى أن يرفض دعوتها. فقال بمرح وهو يلتقط ذراعها: «لم لا؟» وأضاف ناصحاً: «استعملي عصاك، ضعي ثقلك على قدمك السليمة، وبحق السماء لا تقفي عليها. اجلسي متى أمكن وابقي قدمك مرفوعة.»

كانت الآنسة موغفورد تنتظر عودة كريسيدا. فتحت الباب

واسعاً، ولانت قسمات وجهها القاسي فقالت مبتسمة: «هذا أفضل، يا إلهي، يومان في المستشفى أفاداك كثيراً، يا آنسة كرسي... أقسم أنك زدت نصف كيلوغرام أو كيلو غراماً.»

سألتها كريسيدا: «هل زوجة أبي في الداخل، أنا أكيدة من أن الدكتور فان درلينوس...»

قاطعها صوت السيدة بريس عن الكلام: «أهذا أنت، يا كريسيدا؟ ومتأخرة أيضاً. وكل هذه السخافات التي سمعتها عن كاحلك...» فتح الباب نصف المغلق بقوة، وخرجت السيدة بريس إلى الممر. فوقع نظرها على الطبيب الضخم فتابعت بلطف: «أيتها الطفلة المسكينة، أتألمت كثيراً؟ لم آتي لزيارتك، فأنت تعلمين كم أنا حساسة تجاه المرض.» وابتسمت للدكتور فان درلينوس مضيفة: «كما تعلم فأنا ضحيّة أعصابي.» واستدارت نحو كريسيدا قائلة: «اصعدي فوراً، يا عزيزتي، أظن أنك ترغبين في الاستراحة. ستجلب لك الآنسة موغفورد الشاي حالاً.»

أدارت ظهرها لكريسيدا وقالت للطبيب: «الشاي جاهز، شاركني في شرب فنجان، فأنا قلّما أقابل أحداً. كما يجب أن تخبرني كل شيء عن كاحل كريسيدا.»

أجاب بسحر هادىء: «لديّ موعد مسائي وما تزال أمامي مسافة أقطعها. ستكون الآنسة بريس بخير الآن... أسبوع أو اثنين من الراحة مع تجنب إتعاب كاحلها. لكن بالطبع، تعرفين كيف تتصرّفين.»

صافحها مجدّداً ثم استدار نحو كريسيدا الواقفة قربهما بصمت، وقال: «أنا أكيد من أن الدكتور برادوك سيأتي ليراك قريباً. أنا سعيد بأن الإصابة لم تكن أسوأ. سأعتني بالكلب.»

www.lewity.com
RAYAHEEN

ابتسمت كريسيدا قائلة: «أنا أكيدة، من أنك ستفعل، لطف منك أن تحتفظ به. أتمنى لك رحلة موفقة إلى الوطن.» حدّق فيها... وجه عادي وعينان رائعتان، على الرغم من عدم وجود السعادة في ابتسامتها. ليس مستغرباً. فكر في نفسه، أن يأخذ فكرة سيئة عن السيدة بريس.

عبّر، وهو يجلس ذلك المساء في مقابل جدّته، عن قلقه حيال كريسيدا. فقال: «تبدو الفتاة حساسة جداً. من الصعب أن يتوقع الإنسان أن تتصرّف المرأة العصرية مثل سندريلا. إن مطلق انسان عاقل يفرّ من السيّدة بريس وبأسرع ما يمكن.»

أجابت جدّته: «لا بد إذاً من وجود سبب وجيه يجعل الفتاة تبقى. ألديك فكرة عما قد يكون؟»

«ولا واحدة.» ثم أضاف: «أعتقد بأنه ما من سبيل لمعرفة ذلك.»

«بالطبع يوجد! اسألها.»

«ربما أفعل. يجب أن أذهب إلى المدينة غداً، لكنني سأذهب لوداعها قبل أن أسافر إلى هولندا، يا عزيزتي سأجد الوقت لأراها.» عبس، وأضاف: «أتعتقدين بأنني أضخّم الأمور؟ على الأرجح سأحصل على اعتراف وجيز...»

«في هذه الحالة، يجب أن لا تهتم كثيراً. ومن جهة أخرى قد تكون بحاجة لشخص يكتم سرها.»

مضى أسبوع قبل عودته إلى الليدي ميريل. وبدافع فجائي انعطف عن الطريق الرئيسي متّجهاً نحو منتون كراكنل. كان على بعد نصف ميل من القرية، حين رأى كريسيدا تمشي بغرابة مستندةً إلى عصا، وسالكة الاتجاه ذاته الذي كان يقصده. اقترب منها، وفتح الباب. وقال لها بطريقة عارضة: «مرحباً،

أيمكن أن أقلّك؟» عندما استدارت لتنظر إليه حرص على أن يكون طبيعياً. مع أنها ابتسمت وشكرته بتهذيب، فقد كانت تبكي.

قالت له: «هذا لطف منك، لكنني أمشي قليلاً كل يوم، فكما تعلم... هذا يفيدني.»

قال الطبيب بصوت ناعم شعرت معه كريسيدا بأن عليها الطاعة: «اصعدي، يا كريسيدا.» فصعدت.

«هل زوجة أبيك في المنزل؟»

هزّت رأسها قائلة: «لا. ذهبت تستحم وتسرّح شعرها. هل أردت رؤيتها؟»

انحنى فوقها ليقفل الباب قائلاً: «لا. لِمَ كنت تبكين، يا كريسيدا؟ فهل لك أن تخبريني ما الخطب؟ وأرجوك أن لا تقولي إنه ما من خطب ما، لأن ذلك سيكون مضيعة للوقت. جائز أنك لا تريدين أن تعترفي لصديق، لكن بما أننا لن نلتقي ثانية يمكنك أن تفرّجي عن نفسك بأمان.»

أجابته كريسيدا بارتياب: «لا أعتقد أن ذلك يهمك.»

«إنك تحاولين افهامي بتهذيب أن ذلك لا يعنيني. أنتِ على حق، وهذا هو السبب كي تخبريني. بما أن الأمر لا يعنيني فلن أقدم لك النصيحة، ولن أقرأ عليك محاضرة، ولن أقول لك إن لا شيء يهم.» ثم طوق كتفيها بذراعه الضخمة قائلاً: «لنسمع الآن...»

كان من الصعب على كريسيدا أن تبدأ. فالأشياء كانت مكبوتة في داخلها منذ وقت طويل. لكنها ما أن بدأت حتى عجزت عن التوقف. فقد تفوهت بكل أسرارها. وشرحت له: «إنها موغي، كما ترى، لأنها إن تركت قبل أن تبلغ الستين لن

www.rewity.com/vb REWITY

يعود بامكانها قبض التعويض الذي خصصه لها أبي، وهي تعتمد على ذلك لتؤمن شيخوختها...»

سألها: «هل قرأت الوصيّة؟»

«لا، لقد قرأها لنا المحامي السيد تيمز، لكنها كانت مليئة بكلمات طويلة.»

«لنعتبر أن هناك سوء فهم للمصطلحات القانونية، فقد يصبح بامكان الآنسة موغفورد الرحيل أليس كذلك؟ وعندما تطمئنين على مستقبلها تصبحين حرّة في أن تتركي المنزل.»

تنهدت كريسيدا فنظر إليها. كان مظهرها ما يكاد يرى، كان شعرها غير مرتّب، وجهها غير معتنى به، وثيابها رثة. فقال لها بلطف: «يبدو أن الآنسة موغفورد لم تفهم الوصية جيّداً، لو أمكن إعادة النظر فيها لربما وجدت نفسها حرّة في الذهاب قبل بلوغها سنّ الستين. أنتِ بالتحديد أبلغتها بهذا الشرط؟»

«زوجة أبي.»

تجهم وجه الطبيب. امرأة متعبة، ولكن كيف حصل له أن تدخل في هذا الموضوع؟ ومع ذلك بدا له أنه الوحيد الذي يمكن أن يحل هذه العقدة. من المؤسف، أنه سيترك البلد قريباً...

سألها: «هل تشعرين بتحسن؟»

وضعت يدها على مسكة الباب قائلة: «نعم، شكراً لك، كنت لطيفاً. لن أعطّلك.»

وضع يده القويّة والدافئة على يديها وقال: «بقيّة النهار ملكي. سأقلّك إلى المنزل.»

عند البوابة، سألته: «أتريد أن تدخل؟ ستعد لنا موغي الشاي...»

خرج من السيارة وأخذ ينظر إليها: «كنت أحب ذلك، لكني

ذاهب إلى يوغيل لاسترجاع الكلب. ألديك فكرة عن اسمه؟»

«لا، لكن يجب أن يكون له اسم هولندي، طالما أنه سيعيش في هولندا.»

«إنه انكليزي، يجب أن يكون له اسم معروف في البلدين.»

«قيصر؟»

«إنه يفي بالغرض ويناسبه تماماً. يبدو أنه سيصبح حيواناً ضخماً عندما يكبر.»

مدّت كريسيدا يدها قائلة: «أنا سعيدة لأنه سيجد من يعتني به. فهذا رائع، أشكرك مجدّداً لكلّ ما فعلت. إلى اللقاء.»

كانت اليد التي تمسك يدها كبيرة وآمنة. تمنت كثيراً لو أن الطبيب يبقى بجانبها. من المؤكد أنه سينساها. لكن التعرّف إليه ولو لفترة وجيزة أمر ممتع.

انتظر قرب السيارة حتى وصلت إلى الباب ودخلت بعدما لوّحت له مودّعة.

لم تخبر موغي بأمر الوصيّة. يجب أن تكتب أولاً للسيد تيمز. لن يجدي نفعاً أن تزرع الآمال في هذا القلب العزيز قبل أن تتأكد من السيد تيمز. أثناء تناولهما الشاي، تحدثتا عن الكلب والبيت الرائع الذي سيحظى به عندما يسافر إلى هولندا.

قالت الآنسة موغفورد بتأثر: «حيوان محظوظ.»

وجد الدكتور فان درلينوس جدّته جالسة على كنبة قرب النار. برغم أن الطقس كان دافئاً ومشمساً، إلا أنها علّقت بمرح أن الشيخوخة ومرض العصبي بحاجة للدفء.

فانحنى يقبل وجنتها وهو يقول: «أتعلمين، يا عزيزتي، بأنك حقاً جميلة. فأنت من المحظوظات اللواتي لا يشخن أبداً.»

www.ewity.com/vo RAYAHEEN

«هيّا! تابع تملقي... ماذا كنت تفعل؟»

جلس قبالها وهو يقول: «كنت أعمل.» ثم أضاف: «جدّتي أتعرفين السيد تيمز من شربورن؟»

«بالطبع أعرفه. فهو وكيلي منذ سنين. لقد تجاوز السبعين من العمر.»

«هل تعتقدين بأنه سيسمح لي بالاطلاع على وصيّة السيد بريس؟»

لمعت عينا الليدي ميريل مفعمة بالمرح: «ذهبت لرؤية تلك الفتاة مجدّداً، أليس كذلك؟»

صادفتها في طريق عودتي. كانت كالدجاجة المبلولة. فقد أوصلتها إلى بيتها وأجبرتها على الكلام. أظنّ أن السيدة بريس قد أساءت فهم مصطلحات الوصيّة...» وفسّر لها باختصار، ففهمت بسرعة.

وقالت: «إذاً كانت السيدة بريس تضلّل الفتاة والخادمة. يمكن وضع الأمور في نصابها. ويصبح بامكان الخادمة أن ترحل حينئذ، والفتاة تبحث عن عمل لها.» ثم أطرقت وقالت: «على أي نوع من الأعمال يمكن لدجاجة أن تحصل؟»

ضحك الطبيب مجيباً: «أظنّ أنها إذا أصبحت مستقلّة فستشبه أي فتاة أخرى. ألديك أي فكرة؟»

«سأفكر بذلك. اتصل بجورج تيمز، ثم تعال لنلعب الورق.»

كان السيد تيمز متعاوناً. فقد سمح للطبيب أن يمر به متى يشاء في اليوم التالي. عاد الدكتور ڤان درلينوس إلى غرفة الجلوس، وهو يفكر في طريقة ليجعل جدّته تربح بها من دون أن ترتاب بالأمر.

أكّد السيد تيمز للطبيب، في صباح اليوم التالي، أن هناك

سوء فهم للوصيّة. إذ بامكان الآنسة موغفورد أن ترحل وقت تشاء، وتقبض مستحقاتها دونما تأخير. وأضاف: «إن السيدة بريس سوف تفتقدها. فقد بقيت مع العائلة منذ زمن بعيد، وأصبح استبدالها صعباً. فالسيدة بريس سريعة العطب. ولا يمكنها انجاز الكثير. ولكن بالطبع لديها كريسيدا... وهي فتاة لطيفة.»

وافقه الطبيب بلطف. ثم عاد إلى البيت. فالدجاجة الصغيرة بحاجة لفرصة. فهو يظن أنها فتاة مثقفة ويجب ألا تجد صعوبة في العثور على عمل. ولكن أي نوع من الأعمال؟ فهو أكيد بأنها لا تعرف شيئاً عن الكمبيوتر، وليس باستطاعتها الطباعة أو الاختزال، ولن تكون ممرضة جيّدة. فهي صغيرة ورقيقة القلب. هذا لا يعني أنه يفضل الممرضات القاسيات، فالرقة ضروريّة. لكنه يشك بأنها ستتعاطف مع المرضى شخصياً، مما يتعارض مع أصول المهنة. وخطرت له فكرة غير محدّدة. يجب أن يكون عملاً متعلّقاً بإدارة المنزل. ولكن هل يوجد مرافقات هذه الأيام؟ لم يكن أكيداً من ذلك. إنما هناك من يعملن مقابل مأوى، وليس مطلوباً منهنّ سوى حسن الإدراك والقيام ببعض الأعمال المنزليّة، كالاعتناء بالأطفال والحيوانات. وقد كان بعض أصدقائه يستخدمونهن. وبذلك قد تجد سقفاً يقي رأسها...

لقد وجد الجواب وهو يلج بوابة بيت الليدي ميريل.

أثناء العشاء، أطلع جدّته عما كان يدور في رأسه، وأضاف قائلاً: «أحتاج لمساعدتك، يا عزيزتي.»

أصغت الليدي ميريل إليه بانتباه وقالت: «إن هذا لممتع. هل تعلم أنه علىّ القيام بذلك بواسطة شخص ثالث؟ فلا يمكنني

www.rewity.com Rewity Team

أن أظهر على باب السيدة بريس آتية من العدم. دعني أرى، إن اودري سفتون تعرفها. أترك الأمر لي، يا ألدريك. لكن هل الفتاة لائقة المظهر؟»

استند إلى كرسيه مجيباً: «صوتها ناعم وتصرّفاتها لائقة. عيناها رائعتان، لكنّها ليست جميلة. وأظن أنها إذا ما أحسنت اختيار الملابس فقد تنسجم مع أكثر العائلات تطلّباً.»

«أجل، يا عزيزي... ولكن كيف ستحصل على هذه الثياب إن لم يكن لديها المال؟»

«سأرى السيد تيمز. يوجد مبلغ صغير محفوظ لها بطريقة ما...»

حدّقت به جدّته وقالت: «إنك تورّط نفسك بمشكلات كثيرة، يا عزيزي. فلا بدّ أنها قادرة على إيجاد عمل إذا ما ترك لها المجال لتفعل.»

«أنا أكيد من ذلك. على أي حال فأنا ذاهب إلى فريلاند وسأقابل شاريتي وتيكو. فقد تحتاج شاريتي للرفقة لبضعة أشهر، لحين ولادة الطفل. وهذا ما سيعطي كريسيدا الوقت لتبحث وتقرّر ماذا ستفعل.»

«أجل، يا عزيزي. ولكن هل ستمكث هناك؟»

«ليس لدي مواعيد هناك حتى منتصف الشهر. سوف أكون مرتبطاً في لايدن فور عودتي. وهذا يعطيني الفرصة لأرى نيكولا...»

«أنا أكيدة من أنها ستكون مسرورة لرؤيتك ثانية. أظن أنه ليس هناك أي شيء محدد، يا عزيزي، أليس كذلك؟»

«لا، يا جدّتي، فكلانا مرهفان، ونظرتنا عميقة ونعرف طباع بعضنا جيّداً. وهذا ما يبدو لي ضرورياً قبل الزواج.»

بدا لها متبجحاً، لكنه سرعان ما بدّد شكها بابتسامة.

نظرت إليه جدّته بمحبة، فهو حفيدها المفضل، وتريده سعيداً. كان يحب عمله كطبيب اختصاصي، وكان ناجحاً. لديه مال وأصدقاء، وكل من عمل معه يحبه. فكّرت الجدّة أن كل ذلك رائع، لكن لم يكن لديه تجربة في الحب. وشكّت في أن نيكولا كانت باردة، أنيقة، ذكيّة ومتطلّبة. وهو يريد مكاناً آمناً في عالمها غير مكترث بالمشاعر.

غادر في اليوم التالي، واعداً بأن يعود ليراها بأسرع ما يمكن: «سأعود قبل الميلاد.»

بعد يومين، نزلت السيدة بريس لتناول الفطور، وهي تبدو مستاءة، فقالت: «من المؤسف... أنني خططت للذهاب إلى يوفيل للتبضع؛ لكن ذلك التعيس السيد تيمز يريد أن يأتي هذا الصباح. أسرعي بتناول الإفطار، يا كريسيدا، ثم جهزي القهوة وأحضريها فور وصوله. فقد أجد وقتاً للذهاب إذا لم يمكث طويلاً.»

دخلت كريسيدا إلى المطبخ، وجهّزت القهوة ثم قالت للآنسة موغفورد: «قال السيّد تيمز في رسالته إنه سيأتي عند العاشرة إلاّ ربعاً. لكنّ زوجة أبي لم تقل لي لماذا، ربما لتوقيع بعض المستندات.»

وصل السيد تيمز في الوقت المحدد، ولم تدعه السيدة بريس ينتظر طويلاً، لأنها كانت متلهفة للذهاب إلى يوفيل. فأحضرت كريسيدا القهوة، وتمنت له يوماً سعيداً، ثم توجّهت نحو الباب.

فقال السيد تيمز: «يا سيّدة بريس، إن ما سأقوله يهم كريسيدا والآنسة موغفورد. لذا أريدهما هنا لو سمحت.»

رمقته السيدة بريس بنظرة جافة، وقالت: «بصراحة، يا سيّد تيمز، هل هذا ضروري؟ فهما منشغلتان داخل المنزل.»

www.rewity.com/vb RAYAH FREE

نظر إليها السيّد تيمز عبر نظارته، وقال: «إن هذا ضروري، يا سيّدة بريس.»

أحضرت كريسيدا الآنسة موغفورد، وجلست الاثنتان بحرج على أريكة جنباً إلى جنب، وهما تتساءلان عما سيحدث.

تنحنح السيد تيمز وفتح حقيبته، ثم قال: «كنت أراجع أوراق السيد بريس، وخطر لي أن هناك سوء فهم بالنسبة لتركة الآنسة موغفورد. فحسب الوصيّة يمكنها الحصول عليها متى شاءت. وأن تغادر حالما تقرر و قد أخذت مالها. فما من شيء يجبرها على البقاء حتى بلوغ سن الستين. أعتقد بأن هذا ما تهيأ لها عند قراءة الوصيّة، وبصورة مغلوطة طبعاً.»

قالت الآنسة موغفورد بخشونة: «أحقاً هذا ما تعني؟ أيمكنني أن أرحل ومع ذلك أقبض حصّتي؟» ثم نظرت إلى السيدة بريس، وأضافت: «لكنّ السيدة قالت بأنه يجب على البقاء وإلا فلن أقبض شيئاً.»

اصطنعت السيدة بريس على الفور مظهرا معتذراً وقالت: «أوه، يا عزيزتي، أنا أكيدة من أن ذلك لم يكن مقصوداً يا لحماقتي، فأنا لم أفهم أبداً هذه الأمور.»

ابتسمت للسيد تيمز الذي قال بتهذيب: «حسناً، أعتقد بأن ذلك لم يتسبب بأي أذى.» ثم استدار نحو كريسيدا، وأضاف: «إذا قرّرت لاحقاً ترك المنزل، فأنا مؤتمن على بعض المال لك، وأثق بأنه قد يكفيك لتبدئي الحياة التي تختارينها لنفسك.»

قالت السيّدة بريس بسرعة: «إن كريسيدا لا تحلم أبداً بتركي. فأنا كما تعلم أعاني من انهيار الأعصاب، وبحاجة لمن يعتني بي، وهي قد اعتادت على ذلك.»

لم تقل كريسيدا شيئاً، لكنها شكرت السيّد تيمز وقدّمت له

المزيد من القهوة. فرفض، وأبلغها بأن لديه زبوناً آخر في الجوار عليه أن يراه. رافقته الآنسة موغفورد إلى الخارج. ودعته السيدة بريس ببرودة ـ فلم يتعاطف معها كما توقعت. وصافحته كريسيدا دون أن تنطق بكلمة، لكنها كانت تنظر إليه بعينين لامعتين بثورة مكبوتة. يا الله! فكر السيد تيمز، إن عينيها الجميلتين تجعلان المرء ينسى مظهرها العادي.

بعد أن ذهب السيّد تيمز قالت السيّدة بريس بحدّة: «بالطبع لن تذهبي، يا آنسة موغفورد. فأنا مستعدة لأن أدفع لك أجراً أكبر. وبعد كل ذلك فقد كان هذا بيتك منذ سنين.»

زادت ملامح موغي قساوة، وهي تقول: «أتدفعين لي أسبوعياً، يا سيّدة بريس. فأنا أمهلك مدّة أسبوع ابتداءً من اليوم.» وعادت أدراجها إلى المطبخ، تاركة السيّدة بريس عاجزة عن النطق، ولكن ليس لوقت طويل!

إذ قالت: «الخائنة، بعد كل ما فعلت لها! الحقي بها يا كريسيدا، وقولي لها إنه يجب عليها أن تبقى. ماذا سأفعل من غير وجود مدبرة منزل؟» وسالت دموع الحسرة على وجنتيها المجعلتين.

جلست كريسيدا على يد الكرسي، مضطربة بآمال الحرية وقالت بهدوء: «لا، لن أقول لموغي أي شيء. فأنت لم تفعلي شيئاً من أجلها، ويمكنك أن تحصلي على مدبرة أخرى.»

جحظت عينا السيدة بريس وقالت: «كريسيدا، هل فقدت صوابك؟ كيف تتجرأين على مخاطبتي بهذه الطريقة...»

توقفت عندما رأت كريسيدا تبتسم: «أنا ذاهبة أيضاً، يا زوجة أبي.»

«لا تكوني سخيفة. ماذا ستفعلين وليس لديك مال؟»

www.liilas.com

«إنني خبيرة في الأعمال المنزلية. وقد قال السيد تيمز إن هناك مبلغاً صغيراً.»

«هراء، فلن يستخدمك أحد.» ثم غيّرت أسلوبها وقالت: «إذا بقيت، يا كريسيدا، فإني سأعطيك أجراً وأحضر خادمة أخرى بحيث يمكنك أن تدربيها. فأنا ببساطة لا أستطيع تدبير أمور البيت من غير مساعدة. فأعصابي...» ثم ابتسمت لها بفتور، وأضافت: «ماذا كان والدك سيقول؟»

أجابتها كريسيدا باقتضاب: «كان سيطلب مني أن أجمع أمتعتي وأرحل.»

ظلّت كريسيدا مستيقظة لفترة طويلة تلك الليلة. فقد كانت تنوي الذهاب في الوقت الذي كانت ستترك فيه موغي. ولكنها الآن لا تعرف ماذا ستفعل. وطرأت لها فكرة غير محدّدة. لندن! لا بد أن تجد فيها عملاً من نوع ما. وإذا وجدت مأوى لها فقد تستطيع أن تدّخر، ومن ثم تتدرّب على شيء ما، لكن لا تعرف ما هو بالتحديد. كل ما كانت تريده هو أن تكون مستقلة وأن تعيش حياتها... وعلى هذا تنهّدت بارتياح ونامت.

مع صباح اليوم التالي فقدت بعضاً من نشوة فرحها. إذ لم تكن أكيدة من أن المال سيكفيها للوصول إلى لندن، فكان عليها أولاً أن ترى السيد تيمز. وإلى من ستلجأ في لندن؟ هذا ما يجب أن تخطط له قبل أن تترك البيت. فقد كانت فتاة عملية، تعرف أنه من السذاجة أن تذهب إلى لندن من دون أن تؤمن مكاناً للمبيت. يجب أن تدبر شيئاً بهذا الخصوص.

هذا ما حصل. فيما كانت السيدة بريس تجلس في قاعة الجلوس، وترفض القيام بترتيب منزلها متذرّعة بأنها مريضة لدرجة تجعلها تلازم السرير، اضطرت لاستجماع نفسها حين

أبلغتها الآنسة موغفورد بأن لديها زائرة، السيدة سفتون التي كانت تعيش على بعد أميال من منتون كراكنل، والتي كانت قابلتها في عدّة مناسبات، ولم تكن تحبها. كانت تعتبرها متغطرسة تستخف بالنساء الضعيفات الأعصاب، واللواتي لا يقمن بأعمال بيوتهن بأنفسهن. فالسيدة سفتون تعيش في بيت كبير، ومفروش، وكانت على الرغم من ذلك قادرة على إدارة المكان وحدها من دون تأفف إذا ما دعت الحاجة.

دخلت السيدة سفتون الغرفة وحيّت مضيفتها. لم يكن صوتها عالياً، لكنه كان جهورياً مما جعل السيّدة بريس تغمض عينيها للحظات.

قالت السيدة سفتون: «إنه صباح جميل. يجب أن تخرجي، سيحتفلون، بعد الظهر بعيد الخريف في الوتلي هاوس... ألست ذاهبة؟»

أجابتها السيدة بريس بالنفي، لأنها تشعر بالضعف.

قالت السيدة سفتون: «لكنك تبدين بحالة حسنة.»

«أعصابي، كما تعلمين.»

لما لم تفهم السيدة سفتون ماذا كانت تعني، تجاهلت جوابها.

«جئت أسألك معروفاً، فلدي عمل لكريسيدا.»

جلست السيّدة بريس وقالت: «ليست بحاجة لعمل.»

«أعرف أحداً بحاجة إليها. فصديقتي الليدي ميريل بحاجة ماسة لمرافقة تبقى معها عدّة أسابيع، ريثما تعود مرافقتها الأساسية من إجازتها.» كانت السيّدة سفتون مسرورة باستنباطها، وأضافت بنغمة رنانة: «لن تعمل كثيراً... فقط مهمات قليلة. فهي مناسبة جداً. أنا أكيدة من أنك ستتدبرين أمرك

www.rewity.com
RAYAH EL-EMAN

من دونها. فأنا لا أعتقد بأنك تهتمين بها كثيراً، لذا يحق لي أن أقول إنها لابد أن تخرج من المنزل وتقيم علاقات مع الآخرين.»

قالت السيدة بريس بحدّة: «لكن كريسيدا تحب أن تبقى معي في المنزل.»

«أتحب ذلك؟ في هذه الحالة فهي تعرف تماماً ماذا ستفعل لليدي ميريل. فهي تعيش شمالي شربورن والوصول إلى هناك سهل... فهي في الناحية المقابلة لشارلتون هورثورن.»

أحضرت الآنسة موغفورد القهوة، فسكبتها السيدة بريس بيد مرتجفة. وقالت بصوت مختنق: «أنا أكيدة من أن كريسيدا لا تريد أن تتركني.»

أجابتها السيدة سفتون: «فلنسمع رأيها.» واستوقفت موغي عند الباب قائلة: «اطلبي من الآنسة بريس أن تأتي.»

كانت السيدة بريس على وشك أن تقول شيئاً لاذعاً عن الزوار، الذين يعطون الأوامر في منازل غيرهم، لكنها أحجمت عن ذلك. فالسيدة سفتون معروفة جداً في البلدة، وكانت ممن يعطون رأيهم بصراحة بالأشخاص أو الأشياء التي لا تعجبها. هرعت موغي إلى المطبخ، حيث كانت كريسيدا تحضر اللبن الذي كانت السيدة بريس تشربه يومياً، لتبقى بشرتها شابة كما قيل لها.

قالت موغي فوراً: «اتركي هذا، يا آنسة كريسيدا، واذهبي إلى غرفة الجلوس، فالسيدة سفتون تريد أن تراك.»

سألتها كريسيدا: «لماذا؟ إن اللبن سيجف.»

«بئس اللبن! احذري إن زوجة أبيك غاضبة.»

قد تكون كريسيدا فتاة عادية لكنها رصينة. فقد حيّت السيدة سفتون، عندما قدّمتها لها السيدة بريس، ثم جلست.

بادرتها السيدة سفتون: «لدي عمل لك يا عزيزتي. هناك

سيدة عجوز... صديقة عزيزة علي... بحاجة لمرافقة لعدّة أسابيع، وقد فكّرت بك. هل تودين ذلك؟»

قالت السيدة بريس بصوت خافت: «لا يمكنك أن تتركيني، يا كريسيدا. فسأمرض، كما أن مكانك معي هنا.»

نظرت إليها كريسيدا مفكرة، ثم وجّهت عينيها الزرقاوين اللامعتين إلى زائرتها، وقالت برصانة: «أحب كثيراً أن أذهب. فقد كنت أنوي البحث عن عمل لأن خادمتنا سترحل. متى تريد هذه السيدة أن أبدأ؟»

كانت السيدة سفتون على علم بموعد رحيل موغي، مما جعل جوابها جاهزاً: «هل يناسبك يوم الخميس؟»

أجابتها السيدة بريس: «إن هذا مستحيل. فأنا لم أتلق إجابة على طلبي لإرسال خادمة جديدة، والآنسة موغفورد سترحل في اليوم نفسه. يجب أن تبقى كريسيدا ريثما أجد شخصاً يدبر المنزل.»

سألتها السيدة سفتون: «لكني أكيدة من أنك ستفعلين ذلك بنفسك، ويمكنني القول بأنك ستجدين من يساعدك في القرية. أليس كذلك؟»

كان على السيدة بريس أن تعترف بذلك.

أضافت السيدة سفتون بمرح: «حسناً دعيهم يأتون مرّات أكثر. صدّقيني ستشعرين بتحسن إذا ما وجدت شيئاً تفعلينه.» وابتسمت لمضيفتها قائلة: «تعالي إلى الاحتفال، فليس هناك أفضل من النشاطات الاجتماعية، كما تعلمين.» ثم وقفت قائلة: «كوني جاهزة يوم الخميس، يا كريسيدا. سيأتي أحدهم ليصطحبك مباشرة بعد الغداء.»

نظرت إلى السيدة بريس التي ودّعتها بفتور، وهي تهمس

www.rewity.com RAYAHEEN

بطريقة مسرحية: «اعذري عدم وقوفي فإن الصدمة كما تعلمين...»

قالت السيدة سفتون: «لا لست أعلم، فأنا لم ألاحظ أنك صدمت. أقول إننا سنلتقي. فهل لديك نشاط اجتماعي؟ لقد رأيتك في عدّة مناسبات. أولم تكوني في المسبح الأسبوع الماضي؟ أولم تتناولي العشاء مع آل كروفتونز في الرويال كرسنت؟ ولم تكن كريسيدا معك.»

«بالفعل، فكريسيدا تكره الخروج، فهي فتاة محافظة.»

أجابت السيدة سفتون: «إذن فإن هذا العمل سيعرّفها إلى العالم الخارجي، أليس كذلك؟»

ومع محاولة الفصل هذه أخذت السيدة سفتون حاجاتها وخرجت.

أما السيدة بريس فقد توسّلت، وبكت وهدّدت طوال اليوم، لكن من غير فائدة. فقد كانت موغي مصمّمة على الرحيل. حزمت أمتعتها، ثم ساعدت كريسيدا في جمع أغراضها أيضاً. وقد سألتها: «لا أفهم لماذا بقيت، يا آنسة كريسيدا، إذا كان بإمكانك الرحيل منذ شهور...»

أجابتها كريسيدا باقتضاب: «لم أرد تركك هنا، يا موغي.»

حدّقت بها الآنسة موغفورد، ويداها مليئتان بالثياب. «لهذا إذاً احتملت طباع زوجة أبيك. لن أنسى هذه المحبّة. فإذا ما احتجت إلى مساعدة، أو إلى مأوى، أو إلى أحد لتتكلمي معه فلا تنسي أنني موجودة وبانتظارك دائماً.»

وضعت كريسيدا الحذاء الذي كانت تلمّعه وطوّقت الآنسة موغفورد: «أنت عزيزة، يا موغي، وأنا أعدك بأنني سأنكر ذلك دائماً. سوف أفتقدك.»

لان مظهر موغي القاسي، وقالت: «سأفتقدك أيضاً بعد كل هذا الوقت. فذلك ليس سهلاً، أليس كذلك؟ أتريدين حقاً الذهاب عند تلك السيدة العجوز؟»

«بالطبع، هذه مجرّد بداية. فباستطاعتي أن أحصل منها على خبرة كما أعتقد بأني سأقبض أجراً... لقد نسيت أن أسأل... سأوفر ما استطعت إلى جانب القليل من المال الذي تكلّم عنه السيد تيمز. سأذهب لأراه غداً، أو الأفضل أن أتصل به هاتفياً. فبإمكانه إرسال المال إلى هنا.»

لفّت حذاءها بعناية، ووضعته داخل حقيبتها القديمة وقالت: «من الأفضل أن نذهب للعشاء، فزوجة أبي وحيدة هذه الليلة.»

نصحتها الآنسة موغفورد بحزم: «لا تدعيها تتحامل عليك.»

وجّهت إليها كريسيدا نظرات مشعّة وأجابت: «لا، لن أدعها تفعل ذلك بعد الآن، يا موغي.»

kimberrewitt.com
PAYAHEEN

الفصل الثالث

شعرت كريسيدا، ظهر يوم الخميس، بالراحة لتركها المنزل. فقد حاولت السيدة بريس كل ما في وسعها لاقناعها والآنسة موغفورد بتغيير رأيهما. ولمّا لم تنجح عمدت إلى الغضب وتوجيه اللوم. على الرغم من ذلك، فقد ذهبت كريسيدا إلى القرية لتدبر مساعدة مؤقتة ريثما تجد خادمة جديدة. في طريق عودتها، صادفت ساعي البريد. فأعطاها رسالة مسجلة من السيد تيمز، تحوي في داخلها مئة جنيه وورقة صغيرة كُتب عليها كلمات جافّة تتمنى لها الحظ، وتنصحها باستعمال المال بحذر ريثما تجد عملاً ثابتاً. أما كريسيدا التي لم تلمس منذ مدة من الزمن مبلغاً كهذا، فقد تابعت سيرها بثقل لأن كاحلها ما انفك يؤلمها من وقت لآخر. فور وصولها إلى المنزل نادتها زوجة أبيها من غرفة الجلوس: «بما أنك لن تذهبي قبل الغداء، فلما لا تحضّريه بنفسك؟ فأنا لن آكل كثيراً لأني متوترة جداً. سأكتفي بالعجّة مع بعض الخبز واللبن كالمعتاد. وافتحي زجاجة شراب.» تناولت القصّة التي كانت تقرأها، وأضافت: «لا تودعيني، أيتها الناكرة الجميل. سأجلب صينية الأكل إلى هنا.»

دخلت كريسيدا إلى المطبخ فوجدت الآنسة موغفورد تستعد للرحيل. ستأتي شاحنة الفرّان بعد قليل وتقلّها إلى تمبلكومب حيث كانت أختها تقيم في بيت صغير. كانت تضع حقائبها القديمة في الممر، وترتدي معطفها وقبعة قديمة. بدت قاسية كالعادة لكن تعابير وجهها انفرجت عندما رأت كريسيدا.

علّقت: «أن تكون النهاية هكذا... وأن تطردي من بيتك.»

«لقد طردت نفسي. أليس كذلك، يا موغي؟ إنني أكره الرحيل وأنت كذلك. لكننا بذلك سنكون سعيدتين، فلم يعد الأمر كما كان منذ وفاة والدي. هل دفعت زوجة أبي أجرك؟»

أومأت الآنسة موغفورد برأسها قائلة: «يجب أن أطالبها به. ماذا عنك، يا آنسة كريسي؟ هل ستكونين بخير؟ لنفرض أن السيدة العجوز مزعجة.»

أجابتها كريسيدا بثقة، لأنها شعرت بأنها قلقة: «على الأغلب، يا موغي، إن السيدات العجائز لطيفات. على كل حال فأنا سأبقى لبضعة أسابيع فقط، بعدها أستطيع أن أقرّر.» كانت قلقة على مستقبلها، مع أنها قرّرت أن تنجح في أي شيء قد تفعله. لقد حزنت لتركها المنزل، لكنها لم تعد تتحمل مناوشات زوجة أبيها. كانت تأمل أن يحدث شيء ما، وها قد أتت الفرصة وسوف تستفيد منها.

قالت لموغي، وهي تدفعها في الممر: «ها قد أتى الفرّان، لديك عنواني ولديّ عنوانك. سنتراسل بانتظام ونلتقي عندما تسنح لنا الفرصة.» ثم طوّقتها بذراعيها وقالت: «سأفتقدك، لكنك ستكونين سعيدة وأنا كذلك.» ثم قبّلتها من وجنتها: «اذهبي الآن، وسأترك في غضون ساعة أو ساعتين.»

قالت الآنسة موغفورد بخشونة: «لو أن والدك المسكين يستطيع أن يراك الآن، فسوف يعود من قبره. فليس هذا ما كان يريد.»

«لا تهتمي، يا موغي، فقد حصلنا على ما نريد، أليس كذلك؟ إن الأمر مثير...»

رافقت الآنسة موغفورد إلى الشاحنة، وكان السائق قد نقل

www.dewity.com RAYAHEEN

الأمتعة، ووقف ينتظرها. كان آخر ما رأته كريسيدا، هو وجه موغي الجاف وهي تنظر إليها من تحت قبعتها.

بكت كريسيدا في المطبخ بينما كانت تسخن الحليب. لم تكن تنوي ذلك، لكن الدموع انهمرت لا إرادياً فمسحتها في الحال. إنها سوف تفتقد الآنسة موغي، وبيتها، وأصدقاءها القلّة. لكنها قالت لنفسها بحزم إن هذا ما تمنّته وسوف تستفيد منه. حضّرت اللبن والعجّة، وضعت لنفسها شطيرة، لأن الوقت ما كان ليسمح بأكثر من ذلك.

كانت زوجة أبيها تعقّد الأمور... فتطلب الفاكهة والمزيد من القهوة، والقصّة، نسيت اين وضعتها، وتريدها في الحال لبّت كريسيدا طلباتها، ثم التهمت شطيرتها بينما كانت تنظف المطبخ. ما أن ارتدت معطفها حتى وصلت سيارة أمام المنزل. لم تكن قد لملمت صينية أكل زوجة أبيها ولم تجهّز العشاء لتلك الليلة. شعرت كريسيدا بالذنب، لكنها لم تكترث. فخرجت مسرعة من المنزل تحمل حقائبها الرثّة. فقابلها عند الباب رجل عجوز حياها بمودّة ورتّب حقائبها في صندوق سيارته القديمة.

مرّت على غرفة الجلوس في طريق خروجها، وعلى الرغم من عدم رغبة السيدة بريس فقد صمّمت على أن تودّعها.

«قلت لك أن لا تأتي، يا كريسيدا، وفي ما يخصني فلا تعذبي نفسك بالعودة. لقد سحبت يدي منك.»

جلست كريسيدا في السيارة قرب السائق، ولم تنظر خلفها مقنعةً نفسها بانها أغلقت باباً من أبواب حياتها.

كان السائق لطيفاً، ومستعداً للحوار. فشرح لها أنه يعمل بستانياً في بيت الليدي ميريل، وسائق السيارة عند الحاجة،

كما يقوم بأعمال أخرى متفرّقة. سألها: «هل تجيدين قيادة السيارات يا آنسة؟» أجابته بنعم، برغم عدم ممارستها ذلك إلا قليلاً. استحسن الأمر وقال: «إن الليدي ميريل لا تخرج كثيراً، لكن عندما تفعل يتعين علي أن أترك البستان.»

سألته كريسيدا: «هل مرافقتها الثابتة تقود سيارة؟»

لم يجبها بسرعة، ثم تمتم: «لا، أنت ستكونين نعمة حقيقية.»

«آمل ذلك، فأنا لم أكن مرافقة من قبل. هلا أطلعتني على اسمك لو سمحت.»

«اسمي بِرت، يا آنسة. هناك السيد باكستر الساقي وهو عجوز، والسيدة ويفين الطاهية، وألسي الخادمة. نحن هنا منذ حوالي ثلاثين سنة، ولا ننوي الرحيل.»

«إن الليدي ميريل مسنّة جداً، أليس كذلك؟ لا أنوي الثرثرة، لكني لا أعرف الكثير عن هذا العمل.»

«قد تكون الليدي ميريل مسنّة... كما تقولين... وهي في الثمانين من العمر. لكنها ما تزال نشيطة وواعية. وقد تسرّ بوجود شابة في المنزل.»

«آمل ألا أكون صغيرة جداً، فهل مرافقتها مسنّة؟»

«مسنّة؟ أجل، يا آنسة. هل تحبين الكلاب؟»

«كثيراً.»

«لدينا كلبان من فصيلة البكينيز نطلق عليهما اسمي موف وبلّ، حيوانان لطيفان.»

هدّأ حديثه الودّي كريسيدا. أحسّت بالراحة، مع وصولهما إلى منزل الليدي ميريل وساعدها بذلك تصرّف باكستر الأبوي عندما فتح لها الباب.

www.rewity.com RAYATEEN

قال لها وهو يرشدها إلى الممر: «إن الليدي ميريل ترتاح بعد الظهر. لكن آلسي ستأخذك إلى غرفتك حيث يمكنك أن ترتبي أمتعتك. قد تأتيك بالشاي؟ وتُعلمك عندما تستيقظ الليدي ميريل.»

كانت آلسي لطيفة أيضاً. إنها مسنّة ونحيلة ترتدي ثوباً أسود قديماً، ومئزراً. فقالت وهي ترشد كريسيدا عبر السلالم خلف الممر: «تعالي معي، يا آنسة، سآتيك بالشاي فوراً.»

كانت الغرفة ساحرة، ليست كبيرة لكن أثاثها مريح جداً. ووجدت أن حقائبها قد نقلت. قالت آلسي بلطف: «رتبي حاجاتك، يا آنسة، وسآتيك بالشاي فوراً.»

ما أن أصبحت كريسيدا بمفردها حتى أخذت تنظر داخل الخزائن والأدراج. اكتشفت وجود غرفة حمام صغيرة مجهزة بأفخم الوسائل. وبدأت تفكّ أمتعتها. لم تكن قد انتهت عندما عادت آلسي مع الشاي، الموضّب بترتيب على صينيّة، في ابريق من الفضّة وصحن صيني فيه كعك. شكرتها كريسيدا وجلست تتمتع بهذه الوجبة الفاخرة. فمنذ وقت طويل لم يقدم لها أحد الشاي على صينيّة.

أرشدتها آلسي بعد ساعة إلى غرفة في مقدّمة المنزل، وقالت بمرح: «هذه هي الفتاة يا سيدتي.» فأحست كريسيدا أن المستخدمين لا يخافون من سيدتهم بل يخلصون لها.

كانت الليدي ميريل مستلقية، تستند إلى وسائدها تغطيها بطانية رقيقة. كانت تبدو أكبر مما توقعت كريسيدا باستثناء عينيها المشرقتين وصوتها الناعم.

قالت لكريسيدا، وهي تتفحصها من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها: «اقتربي، يا عزيزتي، حتى أراك. آمل أن

تكوني سعيدة خلال وجودك معنا. إن السيدة سفتون كانت سعيدة جداً إذ رتبت قدومك إلى هنا. أعتقد بأنها تعرف زوجة أبيك.»

أجابت كريسيدا بحذر: «إنهما تتقابلان خلال حفلات العشاء وفي منازل الأصدقاء. لقد قابلتها عدّة مرات خلال الأعياد والحفلات الخيريّة.»

«إنك فتاة طيّبة القلب! سأناديك كريسيدا.»

«أحب ذلك، يا ليدي ميريل. هلا قلت لي ماذا تريدينني أن أفعل؟ فأنا لم أكن مرافقة من قبل ولست أكيدة...»

«حسناً لنرى. لن أحتاجك قبل الساعة العاشرة من كل صباح. فأنا أتناول الفطور في السرير، وتساعدني آلسي على ارتداء ملابسي. أحب أن أقرأ رسائلي وأتوقّع منك أن تكتبي الاجابات عليها، وأن نتمشى وأن تقرئي لي... فنظري ضعيف... وأن نتحدث. هل تشاهدين التلفاز؟»

«قليلاً جداً.» فكّرت كريسيدا بأنه لم يتسن لها أن تفعل فالتلفاز كان موجوداً في غرفة الجلوس، ولم تكن تجد الوقت لتجلس أمامه.

قالت الليدي ميريل: «أشاهد الأخبار، وأي شيء آخر يستحق المشاهدة. عليك أن تقرئي لي برنامج الأقنية كل صباح كي أختار ما يهمني. ستأكلين معي. هل تلعبين الورق أو الشطرنج؟»

«إني ألعب الشطرنج، لكني لست جيدة. أما الورق فقد كنت ألعب مع والدي. كما أني لا أجيد لعبة البريدج.»

«لا تهتمي لذلك... فهذه اللعبة تحتاج لأربعة لاعبين، وأنا أكره أن أجلس أمام الطاولة أتحسّر على الأوراق التي لعبتها خطأ.» ثم

www.rewity.com
RAYAHEEN

أومأت برأسها وأضافت: «ستفين بالغرض، يا كريسيدا.»

دخلت آلسي تحمل صينيّة الشاي. فقالت الليدي ميريل: «اسكبي لي فنجاناً، يا عزيزتي، واجلسي نشرب الشاي معاً.»

فعلت كريسيدا ما طُلب منها، وأخذت تجيب على أسئلة بشأن حياتها ومستقبلها ومشاريعها. طرحت هذه الأسئلة بلطف، وجعلتها تقول أكثر مما كانت تريد. وقد طمأنت نفسها فيما بعد بأن ذلك غير مهم، لأنها لن ترى الليدي ميريل ثانية بعد أن تترك ذلك البيت. ومهما يكن، فقد أجابت بابهام.

طُلب منها أن تذهب وترتّب أغراضها، وأن تعود عندما يحين موعد العشاء. وجبة تتناولها بصحبة السيدة العجوز في غرفة شبه مظلمة، كثيرة الأثاث. كان الطعام لذيذاً، والليدي ميريل ما تزال على الرغم من تقدم سنّها محدّثة لبقة... لاحقاً، وفيما هي تتحضّر للنوم، وقفت كريسيدا أمام النافذة، مرتدية ثياب نومها ونظرت إلى ضوء القمر بين الغيوم، مطلقة تنهيدة عميقة. من المؤكد أنها تفتقد بيتها وموغي. لكنها تشعر في الوقت نفسه بأنها ستكون سعيدة في هذا البيت القديم. فكرت بأن هذا العمل ليس سيئاً بالنسبة لها، لأنه الأول خارج منزلها. لقد كان بشرى أمل للمستقبل. فنامت وهي تفكر كم كان مؤسفاً أن لا يعرف الدكتور ڤان درلينوس أنها نجحت أخيراً. لقد كان لطيفاً... وتساءلت وهي تغفو أين يمكن أن يكون؟

كان الدكتور ڤان درلينوس يجلس في منزل أحد نبلاء لايدن، يستمع إلى نيكولا ڤان جرمرت تصف له زيارة قامت بها لأصدقاء في أمستردام. كان حديثها مسلياً ومشوباً ببعض الخبث. لكنه كان يعذرها لأن ذلك من شأنه أن يحبك قصتها

ويجعل مستمعيها يبتسمون، أو حتى يضحكون في بعض الأوقات. جلس ينظر إليها، شابة جميلة في أواخر العشرينات، أنيقة، واثقة من نفسها، ومن مكانتها الاجتماعية. ستكون زوجة مناسبة، فهي تتمتع بكل صفات ربّة المنزل، ولن تجد صعوبة في إدارة بيته في فريلاند. إنهما يعرفان بعضهما بعضاً منذ بعض الوقت، وعلى الرغم من أنه لم يتحدد شيء بعد، فان أصدقاءهما يتكلمون عن زواجهما. قد سلّم بذلك وفي قرارة نفسه، بلغ من العمر خمساً وثلاثين سنة، وآن له أن يستقر، مع أنه حتى الآن ما يزال منغمساً بعمله لدرجة لا تسمح له بالتفكير في الزواج. فكّر لو أنه قابل فتاة وأغرم بها... لكنه لم يفعل. ربما أنه أصبح مسناً. عاد إلى وعيه بعد شرود وشارك في الضحك على أحد تعليقات نيكولا اللاذعة. فابتسمت له وكأنها تمتلكه.

انتهت الحفلة بعد قليل، وعاد إلى البيت الأنيق الذي كان يقيم فيه عندما يعمل في لايدن. فنسي نيكولا، وانشغل ذهنه بمرضى الغد. دخل مباشرة إلى مكتبه بعد أن سمح لخادمته أن تذهب للنوم. وقد استقبله بصخب الكلبان سيزار الصغير وسان برنار الضخم. لحقا به إلى مكتبه وجلسا قرب الطاولة فتناول قلمه وكتب بضع كلمات. ثم ما لبث أن توقف ونظر إلى الساعة. كانت الحادية عشرة. نادراً ما تنام جدته قبل منتصف الليل، فطلبها على الهاتف.

جاء صوتها المرتجف قوياً عبر الخطوط: «ألدريك... لقد توقعت أن تتصل؛ فأنت تريد أن تعرف أخبار كريسيدا.»

«فقط لأسأل إن كانت قد استلمت العمل واستقرت بسلام. فهل تشكل عليك عبئاً، يا عزيزتي؟»

www.lewity.com.lb
RAYAHEEN

«بخلاف ذلك، فهي فتاة ساحرة، وراغبة في أن ترضيني. لم تقل أي شيء عن ظروف تركها المنزل وأعتقد بأنها لن تفعل... أعتقد بأنها اعتادت التزام الصمت في ما يتعلّق بحياتها المنزلية، مما يجعلها لا تتكلم عن ذلك لأحد.»

«سأذهب إلى فريلاند في غضون يومين، وسأمر على شاريتي وتيكو لأرى إن كانا يقترحان شيئاً. أنا شاكر لك مساعدتك، يا جدّتي. وكلّما أسرعت في إيجاد عمل لها كان ذلك أفضل.»

قالت السيدة ميريل مشككة: «أتظنّ أنها ستكون سعيدة خارج انكلترا؟ فهي تبدو فتاة خجولة.»

«أعتقد بأنها ستشعر بأمان، على الأقل لحين تثبت قدميها. فمتى أدركت أنها أصبحت مستقلّة عن زوجة أبيها، فقد تتدرّب على مهنة محدّدة، وتصنع لنفسها مستقبلاً في انكلترا إذا ما رغبت.»

«أنت على حق، يا عزيزي. لقد فعلت الكثير من أجلها وهي قادرة على أن تشق طريقها في الحياة. أليس لديها صديق؟ فالزواج يحلّ مشكلاتها، أليس كذلك؟»

عبس الطبيب وأجاب: «أتمنى ألا تقابل رجلاً غير مناسب وتعتقد بأنها مغرمة به...»

كتمت الجدّة، الجالسة على سريرها، ضحكة وتنحنحت قائلة: «إنها ما تكاد تجنب أحداً، يا ألدريك، إلا أن زيارة لمصفف الشعر وبعض الثياب الجديدة قد يحسنان منظرها.»

«لكن، يا عزيزتي، يجب أن تقبض أجراً. هلا اخترت أجراً مناسباً وأعلمتني بالأمر؟»

«بالطبع، أجراً أسبوعياً وعلى ما أعتقد. أشك بأن ما لديها من مال، قليل جداً.»

«حسناً، يا عزيزتي ساترك الأمر لك.» وتمنى لها ليلة سعيدة، ثم أقفل الهاتف، وهو يكلم كلبيه: «لقد سوي الأمر، ويمكنني الآن أن أنساها. فبدافع الإشفاق التزم أحدهم إيجاد عمل للفتاة...»

كان يُدرّس في الصباح، عيادة خاصة بعد الظهر ومن ثم يقوم بزيارات خارجية، مما يجعله مرهقاً عندما يعود إلى المنزل. سيمضي ساعة في مكتبه، يذهب بعدها مع الكلبين خارج لايدن ليتمشى مدّة ساعة. فتح الباب الأمامي وأبلغ مدبرة منزله أنه وصل وانتظر أن تستقبله. كانت مايز مسنّة، ونحيلة جداً، لكنها تبدو أليفة فقالت: «كان يومك طويلاً، فلا بد أنك متعب. إن جفرو فان جرمرت تنتظرك في الصالة... سأحضر القهوة.»

ابتسم لها متجنباً الكلبين. كان يأمل قضاء مساءٍ هادئ، لكن اللياقة منعته من قول ذلك. دخل إلى غرفة الجلوس برفقة الكلبين. فنادته نيكولا عبر الغرفة حيث كانت تجلس: «فكّرت أنك بحاجة للرفقة بعد يومٍ شاق، مع هؤلاء الناس المضجرين.»

لم تقف لكنها رفعت يدها وقالت: «ما رأيك أن نأكل في لاهاي؟ فقد كان يومي مملاً...»

أجابها وهو يجلس على كرسيه المقابل لها: «هلاّ أخبرتني عن ذلك؟»

«ليس هناك ما يقال... فقد ذهبت للتبضع، وشربت القهوة مع الأصدقاء، وبعد الظهر ذهبت إلى المزيّن.»

«لو كان لديك عمل لشعرت بأن الأيام تمرّ بسرعة أكثر.»

قالت مندهشة: «أعمل؟ لا أستطيع، يا ألدريك. فالبقاء في مكتب طوال النهار مملّ جداً، وأنا لن أجيد أي عمل. كما

www.rewity.com
PAYAMEEN

أنني لا أحتاج لذلك...» قاطعها رنين الهاتف فأجاب الطبيب.

كانت الليدي ميريل. اتصلت تخبره أنها قضت يوماً رائعاً، وإن كريسيدا مرافقة ممتعة. كما أنهما تخططان للتجوّل في الأرجاء الريفية بما أن الطقس حسن. قالت له: «إنها فتاة نشيطة أيضاً. إن باكستر معجب بها وألسي سعيدة بوجود شابة قادرة على تسلّق السلالم كلما نسيت شيئاً...»

ضحك الطبيب وقال: «يبدو أنها كنز. تعتقدين أنني فعلت الصواب؟ سأرى شاريتي وتيكو عما قريب، فيمكنك أن تأخذي رأيها في المجيء إلى هنا.» أقفل الهاتف فوراً ونظر إلى نيكولا التي كانت تتمعن به. فابتسمت على الفور وقالت بطريقة ساحرة: «من هي هذه الفتاة الغامضة؟ ولماذا عليك أن تكلم آل فان در برونز؟ هل يسكنون قرب منزلك في فريلاند؟ هل هي خادمة؟»

عاد الدكتور فان درلينوس إلى كرسيه. بدت نيكولا مهتمة بالموضوع، ولسبب ما أراد أن يتكلّم عن كريسيدا. فأخبرها كيف التقاها ودبّر هربها من حياة لا تحتمل. وأضاف: «إنها فتاة ساحرة، ليست جميلة المظهر لكنّ عينيها جميلتان وصوتها ناعم. جدّتي مسرورة بها. لكنها لا يمكن أن تبقى طويلاً؛ فهي تظنّ أنها تحل مؤقتاً مكان مرافقة جدّتي الأساسية. لقد كانت فكرتي أن أجد لها عملاً بعيداً عن زوجة أبيها حيث يمكنها أن تشعر بالأمان، وأن تدخر بعض المال ريثما تقرّر ما ستفعل. فآل فان در برونز يعرفون الكثير من الناس. وأنا متأكد من أنهم سيساعدون.»

استمعت نيكولا إليه من دون أن تقاطعه، وقد أشاحت وجهها

حتى لا يرى عليه علامات الشك. كانت واثقة منه ومن مستقبل جيّد معه، ولم يكن ذلك يحتاج إلاّ لمجهود بسيط تقوم به في الوقت المناسب. إنما هنالك الآن غيمة في الأفق، هذه الفتاة العادية التي تشغله. لا بدّ أنه سيراها باستمرار إذا أتت إلى فريلاند.

استدارت نحوه وقالت: «يا ألدريك، لا تهتم لآل فان در برونز فأنا أعرف ما يناسب تلك الفتاة. أتذكر عمتي كلوتيلد؟ جونكفرو فان جرمرت - تعيش في نوردويك آن زي وهي قريبة بحيث يمكنك أن تبقيها تحت مراقبتك. يقيم عدد من الانكليز في تلك المنطقة، وستجد لنفسها بعض الأصدقاء. لقد ذكرت عمتي كلوتيلد، في الأسبوع الماضي، انها بحاجة لمرافقة، ووجود فتاة انكليزية سيسليها.»

لاحظت الشك بادياً على وجهه، فأضافت: «هلا ذهبت معي قريباً لرؤيتها؟ فلا داعي لأن تذكر أمر الفتاة حتى تتأكد من أنها ستحب العمل. ما اسمها؟»

«كريسيدا، كريسيدا بريس.»

«اسم جميل... لشكسبير، أليس كذلك؟ لم سموها هكذا؟»

«لست أدري. قد تكون فكرتك حسنة. فأنا ذاهب إلى فريلاند بعد يومين، ولكن عند عودتي... في غضون أسبوع... يمكننا أن نزور عمتك. سأشعر بسعادة أكبر إذا ما استقرت كريسيدا في مكان ما، حيث يمكنني أن أراها من وقت لآخر. أشعر بأني مسؤول عنها ولا أدري لماذا.»

ابتسمت نيكولا ابتسامة لطيفة، وبدأت تخطط. كانت ذكيّة، لم تر ألدريك قبل ذهابه إلى بيته، لكنّها فور ذهابه، استقلت سيارتها إلى نوردويك آن زي حيث أمضت ساعة مع عمتها...

www.rewity.com RAYAHEEN

انطلق الطبيب مع كلبيه شمالاً. كانت أمسية باردة وقد خيّم الظلام فلم ير من الريف حيث كان يقود، سوى صورة مظلمة للمزارع وبريق المياه بين حين وآخر. سلك الطريق نحو لوفاردن وقبل أن يصل المدينة انعطف شمالاً نحو دوكوم وسلك طريقاً ضيّقاً يقود إلى قرية صغيرة، تبعد سبعة أو ثمانية أميال عن بحر الشمال فيها سلسلة من المنازل، وكنيسة كبيرة، ومدرسة صغيرة يكسوها الظلام. واقترب بعد نصف ميل من بوابة بيته الحديديّة.

كان وستر بانتظاره، رجل طويل القامة قويّ البنية، وجهه قاسٍ وشعره أشقر متشح بالشيب. فتح الباب قبل أن يصل الطبيب إليه وتصافح الرجلان. كان وستر يكبر الطبيب بعشر سنوات. وكانا يعرفان بعضهما بعضاً منذ الصغر. فوالد وستر كان يعمل مَضيفاً في منزل والد الطبيب، وحين توفي ورث وستر مكانه. ومنذ خمس سنوات تزوّج الطاهية وأنجبا ولدين ويأمل أن يحل أحدهما مكانه عندما يحين الوقت. وهذا سيرضي الجميع.

وقفا للحظة في المدخل بينما يريح الكلبين، فاستعاد الطبيب أيام الصبا، وتكلّم بلهجة أهل بحر الشمال وهو ينظر حوله إلى الردهة حيث عُلّقت صور أجداده وإلى السلالم الواسعة التي تصل القاعة الكبيرة بالدور العلوي. وحدث نفسه بأن السكنى في بيته هو فكرة حسنة. وخطر بباله أن كريسيدا ستحب هذا البيت، وستحب البيت في لايدن أيضاً مع أنه صغير بالمقارنة مع هذا. لكنه ساحر، ومؤثث بذوق رفيع. عبس، وصفّر ينادي الكلبين، ثم دخل إلى المنزل بينما كان وستر يحضر له حقيبته ويدخل السيارة إلى المرآب الذي يقع خلف البيت.

عندما قابلته تيسكه زوجة وستر كان قد وصل منتصف العمر. كانت امرأة طويلة القامة، قويّة البنية، عيناها زرقاوين، وابتسامتها عريضة. وما أن رأته حتى أخذت تتكلم وتشعره بأن وجوده في البيت من جديد شيء ممتع، وأن عشاءً فاخراً في انتظاره، وما عليه إلاّ أن يطلب...

طوّق كتفيها بذراعه وانطلق يكلمها بلهجة أهل الشمال مجدداً. فسألها عن الولدين وعن حالة الهر والأرانب. ثم دخل إلى غرفة الجلوس، ذات السقف المرتفع والنوافذ الكبيرة التي تكسوها ستائر من المخمل خمريّة. ويوجد في احدى زواياها مدفئة من الحجر تقابلها خزانة رائعة لعرض آنية البورسلين والفضة، وفيها كنبة وكراسٍ مريحة، وطاولات تحمل مصابيح كهربائية موضوعة بين النوافذ. كان الحطب يشتعل متوهجاً، ونور المصابيح يرمي ظلاله على الجدران الملبسة بالحرير، حيث علقت الصور والرسوم المختلفة. وقف الطبيب للحظة يستمتع بالغرفة، ثم جلس قرب النار. كان هذا بيته، حيث ولد وترعرع. وها هو الآن يعود إليه بفرح على الرغم من سفره المتواصل هذه الأيام.

كان بيتاً قديماً، واسعاً، سقفه مبني على شكل قبة تعلوه أبراج صغيرة وسلسلة من النوافذ الصغيرة تحت القرميد والمدخنة. كان بيتاً كبيراً جداً ليعيش فيه انسان بمفرده. لكن والده مات منذ سنوات، وأمه تزور إحدى شقيقاته في فرنسا. وقد أبلغته أنه إذا ما تزوّج، عند عودتها، فهي تفضّل أن تعيش في منزل دوكوم الذي ورثته عن والدها. وقالت له: «أتمنى أن تتزوّج قريباً.» فابتسم وقال لها إنه لا ينوي الزواج حالياً. فان عمله يأخذه إلى مستشفيات البلد، ومستشفيات أوروبا وأبعد

www.rewity.com PRAYAREEN

من ذلك. صحيح أنه كان يحاضر في كلّية لايدن الطبية، وفي غرونينغن أيضاً، ويطبب في مستشفيات لايدن ولوفاردن. لكنّه كان يسافر باستمرار إلى انكلترا وقد سافر في مناسبات عدّة إلى أميركا والشرق الأقصى وروسيا. إلاّ أن أغلب أعماله كانت في هولندا، وهو بلد صغير حيث يمكنه أن يعيش في بيته، ومع ذلك يتنقل بسهولة بين لايدن وأمستردام ولاهاي.

استدعاه وستر للعشاء. فعبر الردهة إلى غرفة صغيرة كان يأكل فيها عندما لا يكون عنده ضيوف. كان ركناً دافئاً، فيه مدفأة قديمة، وطاولة مستديرة، وخزانة صغيرة، ومضاء بمصابيح معلّقة على الجدران. أكل الطبيب وجبة لذيذة، وهو محاط بكلبيه. ثم ذهب إلى مكتبه الواقع في القسم الخلفي من المنزل والمشرف على حديقة عارية حالياً بسبب قدوم الشتاء. وجلس يعمل. حضّر سلسلة من المحاضرات التي سيلقيها في غرونينغن، وراجع مواعيده في لوفاردن. كان الوقت متأخراً عندما أوى إلى فراشه. وعمّ السكون المنزل بعد أن لجأ الكلبان إلى سلتيهما في المطبخ. أما وستر وتيسكه فقد ناما منذ وقت طويل. كان الهواء يصفر بين الأشجار، وعندما فتح الطبيب نافذته كان الهواء جافاً وبارداً فالشتاء في هريلاند قاسٍ. لكن الطبيب يحبه هكذا. نام متعباً من دون أن يفكر بنيكولا، لكنه حلم بكريسيدا.

لم تحلم كريسيدا به، لكنها كانت تفكر به كثيراً. فقد اعتادت تماماً على واجباتها السهلة بوجه عام، إذ لم تكن واجبات بالمعنى الصحيح، باصطحاب الكلبين في نزهة مثلاً. وبما أنها تشاطر الليدي ميريل ذوقها في الأدب فان القراءة

كانت متعة. وقد تسنى لها قراءة الكتب التي لم تجد الوقت لمطالعتها منذ سنتين. كان ذوق الليدي ميريل شاملاً، فقرأت لها كريسيدا مقتطفات من ترولوب، ب.د. جيمس، ألستر ماكلين، وجون دون، هريك وكيتس، ومن القصص الرومنسية، ماري ستيوارت وجين آير، تتخلّلها كتب عن الآثار القديمة التي كانت الليدي ميريل تعرف الكثير عنها. وعندما تملّ من ذلك كانت الليدي ميريل تطلب من كريسيدا أن تجلب ألبوم صورها وهي شابة.

كانتا تتحدثان طويلاً عن الثياب والمسرح وكيفية اصلاح العالم. لكنهما لم تتطرقا في أي من أحاديثهما إلى عائلة الليدي ميريل. ولم تسألها كريسيدا عنها بداعي التهذيب.

لم تشعر بهذه السعادة منذ زمن طويل. كانت أيامها مليئة بالعمل، وشعرت بأنها نافعة. لم ينتهرها أحد. وكان باكستر وباقي الخدم لطفاء جداً. أما الأكل فكان لذيذاً مما أكسبها خلال الأسبوع الأول وجنتين ورديتي اللون وخفف من نحولها. كما أصبح في جعبتها أجر أسبوع إلى جانب المئة جنيه. وبناءً على الحاح الليدي ميريل، ذهبت إلى يوفيل واشترت لنفسها تنورة، وقميصين وفستاناً جميلاً من الصوف. وبما أنها أصبحت تتضايق من الفستان الوحيد الذي كانت ترتديه بمقابل فساتين الليدي ميريل الحريرية والمخملية، فقد ذهبت عند لورا أشلي واشترت ثوباً أحمر مخملياً بسيطاً، ومناسباً لمائدة العشاء. أنفقت أكثر مما كانت تنوي، لكنها عزّت نفسها بأن ذلك سيكون نواة لخزانة ثيابها عندما تترك الليدي ميريل، وتلتحق بالعمل الجديد الذي يناسبها. وشكّت بأن ليس كل وظيفة مرافقة ستكون ممتعة كهذه، لكن ذلك سيؤمن لها المأوى والمال.

www.rewity.com/vb RAYAHEEN

عندما رأت كريسيدا في المرآة تحسّن مظهرها، سمحت لنفسها بالتفكير في الدكتور ڤان درلينوس. من المؤسف أنه لن يراها بهذا الثوب الأحمر. إن الشك بأنه يشفق عليها يزعجها. فقد كانت تحب أن تبرهن له أنها ليست انسانة هشة وذات كاحل ملتوٍ...

هذا ما لم تصفها به الليدي ميريل، منذ بضع ليال، وهي في سريرها تكلّم الطبيب على الهاتف. فاعترضت قائلة: «بالطبع لست نائمة، يا عزيزي، فأنت تعرف بأني لا أنام باكراً. أتريد أن تعرف أخبار كريسيدا؟» أصلحت سترتها، وابتسمت لنفسها مضيفة: «أنا أعلم، فأنت تشعر بأنك مسؤول عنها. إنها بحالة حسنة، وسعيدة. فهي مرافقة ممتعة وتساعد الجميع. بدت لي فتاة عادية، لكن مظهرها تحسّن في الآونة الأخيرة. وهذا شيء حسن، سيعطيها فرصة أكبر لإيجاد عمل، خاصةً أن وجنتيها اكتسبتا لوناً وزاد وزنها قليلاً. كم هو مدهش ما يفعل الطعام المغذي للانسان.»

«أنا شاكر لك جداً، يا جدّتي وأتمنى أن تعاودي حياتك الطبيعية عما قريب. لقد تكلمت عنها مع نيكولا وأفادتني بأنها تعرف الشخص المناسب لاستخدام كريسيدا، إحدى عماتها والتي تعيش في النوردويك أن زي، تحتاج لمرافقة. أتظنين أنني أتدخل في مستقبل كريسيدا؟ أحب أن أتأكد من أنها وجدت عملاً حسناً.»

«حسناً، يا ألدريك، ليس من مناص سوى اطلاق هذه الفتاة إلى العالم لتجد طريقها. قد تكون محظوظة كما يمكن أن لا تكون. على الأقل يجب أن تعرف أين هي.» وعبست الليدي ميريل منكرة، وسألته: «هل قابلت هذه العمة؟»

«ليس بعد، لكني سأذهب لمقابلتها برفقة نيكولا عندما أعود إلى لايدن. فلديّ عمل هناك الأسبوع القادم.»

«هل ستكتب لها تعلمها؟»

«لا، فأنا أظن أنها إذا ما عرفت ما ندبر فقد ترفض، فما رأيك بالاستعانة مجدداً بالسيدة سفتون؟»

«فكرة سديدة... فأصدقاؤها كثر في هولندا وإلى ما هنالك مما يفي بالغرض... دعني اطلع على ما تصل إليه في الوقت المناسب. هل أنت سعيد في جانسلوم؟»

«أجل، يا جدّتي. كنت في غرونينغن طوال اليوم، وغداً سأكون في لوفاردن، كما أنوي العودة إلى لايدن في نهاية الأسبوع.»

«ومتى ستعود إلى هنا؟»

«لديّ محاضرة خلال شهر... سأراك عندها.»

تمنت له ليلة سعيدة واستندت إلى وسائدها مشغولة البال، إذ أنها لم ترق لها فكرة العمل عند عمّة نيكولا. لكن لم يكن باستطاعتها عمل شيء. ربما أساءت الحكم على نيكولا. فهي لم تحبها وتعرف أنها لا تقدّم خدمة لأحد من دون ثمن. تمدّدت الليدي ميريل وهي تفكر بهذا الأمر حتى غفت.

www.rewity.com
PAYAMEEN

الفصل الرابع

انقضى تشرين الأول/اكتوبر وحلّ تشرين الثاني/نوفمبر بطقسه البارد وأمسياته المظلمة. فاكتفت الليدي ميريل بالجلوس أو السير داخل المنزل. واستمرت كريسيدا بأخذ الكلبين في نزهة، كل صباح ومساء، مرتدية معطفاً قديماً، ووشاحاً يغطي ضفائرها. كانت تستمتع بهذه النزهات، ورأسها مليء بمشاريع، عن الثياب وعن المستقبل. لم تبلغها الليدي ميريل كم من الوقت ستبقى، كما لم تذكر أمامها متى ستعود مرافقتها. وفكرت كريسيدا بأنها ستبلّغ بذلك قبل أسبوع على الأقل. مع ذلك، فقد ذهبت في يوم إجازتها إلى يوفيل وابتاعت نسخة من مجلة ليدي، وأطلعت على الاعلانات. فلم تكن طلبات المربيات، والحاضنات ومرافقات المسنين قليلة، مما يجعل إيجاد عمل جديد سهلاً. فتضع علامة على أفضلها وهي تشرب القهوة، ثم تجوّلت على المتاجر. كان معها أجر أسبوع آخر وعليها أن تنفقه بحذر. وكان باستطاعتها أن تشتري حذاء. ما يزال معها المئة جنيه كاملة، لكنها ستنتظر أجر الأسبوع القادم لتشتري المزيد من الكنزات، والقفازات، وحقيبة يد. شعرت أنها بذلك أصبحت تملك من الملابس ما يشكل بداية جهازها. عندما كان والدها حياً كانت تشتري ثياباً جميلة إذ كان كريماً معها. لكن هذه الثياب أصبحت قديمة الآن، مع أن معطفها جميل الشكل وجيد النوعية وقد يكفيها لشتاء آخر.

عادت إلى الليدي ميريل وهي فرحة بمشترياتها

المتواضعة. وتناولت العشاء مع السيدة العجوز وأمضت ساعة تحاول فيها السماح لها بربح لعبة الورق. قبل أن تساعدها آلسي في الذهاب إلى السرير.

«سأفتقدك.» علّقت الليدي عندما تمنت لها كريسيدا ليلة سعيدة.

«سأفتقدك أيضاً، يا ليدي ميريل، لكن مرافقتك الدائمة ستعود وأنا أكيدة من أنك ستسرّين لرؤيتها ثانية.»

بدت الليدي ميريل ملتبسة، فقالت: «أجل، أجل، أعتقد ذلك.» وذهبت متكئة على ذراع آلسي المخلصة. أما كريسيدا فدخلت إلى غرفتها، وجرّبت حذاءها الجديد.

بعد أن إرتاحت الليدي ميريل على سريرها، وجهّزت كل ما يلزمها ليلاً على طاولة بقرب سريرها، رفعت الهاتف. كانت الساعة تقارب العاشرة وقد أصبح ضرورياً محادثة أودري سفتون. ولم يؤنبها ضميرها إذا ما أيقظت صديقتها للتحدث إليها لأنها تعتبر نفسها كالطائر الليلي. ولحسن الحظ لم تكن السيدة سفتون قد أوت إلى فراشها، واستمعت باهتمام زائد لما قالته الليدي ميريل.

قالت: «لكنني لا أعرف هذه السيدة، يا عزيزتي...»

عقبت الليدي ميريل بانزعاج: «بالطبع، إنك لا تعرفينها. لكن بما أن ألدريك يقول إنها جيدة فهذا يكفي. المهم أن نجعل كريسيدا تعتقد بأن هذا العمل، أخبرك عنه أحد أصدقائك، وقد سمعه صدفةً من أصدقاء له. هيا يا أودري، فألدريك راغب في أن تستقرّ الفتاة.»

«أجل، لكن لِمَ في هولندا؟»

«حتى لا يفقد الاتصال...» وكتمت الليدي ميريل ضحكتها وهي تسمع صديقتها تتنهد.

www.rewity.com RAYAHEEN

«هل تعنين...؟»

«لا أعني شيئاً. فهل ستفعلين ذلك؟»

«حسناً، مع أنك تعلمين أني أكره الخداع.»

«لكن السبب وجيه. سأعلمك بما سيقول ألدريك. مساءً سعيدٌ، يا أودري، وشكراً لك.»

استندت السيدة العجوز إلى وسائدها سعيدة بنفسها.

مضى حوالي الأسبوع قبل أن يعود الطبيب إلى لايدن، ويحظى بمتعة زيارة عمّة نيكولا. كان الطقس في فترة بعد الظهر بارداً عندما أخذ نيكولا من بيت أهلها في لاهاي، وانطلق بسيارته بمحاذاة الساحل متجهاً نحو نوردويك آن زي. بدا البيت كئيباً بارداً. كان عبارة عن دارة متوسطة الحجم مبنيّة منذ حوالي خمسين سنة من حجر آجر أحمر، وحجر مزخرف، محاطة بحديقة نظيفة تطوقها شجيرات صغيرة، وأحواض أزهار فارغة. وجد الطبيب ذلك كئيباً.

استقبلتهم جونكفرو فان جرمرت بلطف، فقدمت لهما الشاي، وقطع البسكويت، معبّرة لهما عن سرورها باستقبالهما. وأشارت قائلة: «إني أعيش حياة منعزلة، وأشعر بالوحدة أحياناً.»

شربت نيكولا الشاي متظاهرة بالاستمتاع، وبدأت تقول بتردّد: «عمتي كلوتيلد، تقولين بأنك تشعرين بالوحدة، ألا تفكرين باستخدام مرافقة؟»

بدت عمتها وكأنها فوجئت، وقد تدرّبت على هذا الحوار مع نيكولا من قبل. فقالت ضاحكة: «مرافقة؟ هل أنا عجوز لهذا الحدّ، يا نيكولا. فأنا لا أحتاج لأحد ليلتقط أشيائي أو يقرأ بصوت عالٍ. فعيناي ما تزالا بحالة جيدة.»

ضحكت نيكولا بلطف: «لم أقصد هذا النوع من المرافقة، يا عمتي، لكن أحداً ليرافقك في نزهاتك ويقود عنك السيارة، امرأة ذكية قادرة على الاستماع والتكلّم أيضاً، بالواقع شخص يعيش معك في هذا البيت. فقد قلت لي بنفسك إنك تفكرين بالأمر.»

بدت جونكفرو فان جرمرت تفكر، وأضافت: «يجب أن أعترف أن ذلك يبدو لي شيئاً خاصة خلال أشهر الشتاء. لكن لماذا تسألين، يا نيكولا؟»

لم يتكلم الطبيب بعد، لكنه قال الآن: «أعرف فتاة انكليزية تبحث عن عمل جيد. إنها الآن مع جدتي وهي مسرورة بها. إنها لا تتكلم الهولندية بالطبع، لكن ذلك قد يزيد من اهتمامك. إنها من الطراز القديم... إذا صحّ التعبير... سيدة، ذكية... وحسب رأي جدتي... فتاة لطيفة ومتفهمة.»

«إنها بالتأكيد تفضل البقاء في بلدها، أليس كذلك؟»

«أصدقاؤها قلائل وليس لديها عائلة، وألدريك يظنُّ أن تغيير المناظر قد يفيدها. مع ذلك فلن أزعجك أكثر، يا عمتي. فلألدريك أصدقاء كثر ويمكنه أن يسألهم...»

بدت عمتها متفهمة: «يجب أن أعترف بأن الفكرة تعجبني. لكن ليس بصورة دائمة، إنما لفترة الشتاء فقط. بعدها يمكن لتلك الفتاة أن تجد عملاً مناسباً أو أن تتدرّب على عمل ما. أحب أن أفكر بالأمر.» ثم ابتسمت للطبيب وقالت: «سأعلمك في غضون يوم أو يومين.»

علّقت نيكولا، وهما في طريق العودة إلى لاهاي: «أنا متأكدة من أن عمتي كلوتيلد ستستخدم هذه الفتاة. وإن لم تفعل فما يزال باستطاعتك أن تطلب من آل فان دربرونز أن يستخدموها. سمعت أن شاريتي تنتظر مولوداً.»

www.rewity.com

«خلال شهرين، وهم مسرورون جداً.» وشرعا يتكلمان بأشياء أخرى إلى أن أوصلها إلى بيتها، رافضاً أن يدخل معها بسبب العمل وزيارة لأحد المرضى في المستشفى يجب أن يقوم بها.

قاد سيارته عائداً إلى لايدن، ولم يعد يفكر بنيكولا. شعر بعدم الارتياح. كانت جونكفرو ڤان جرمرت تلائم مخططه، لكنه غير راضٍ. إذ لم يحبها ومن غير سبب ظاهر. فكّر في بيتها الذي كان مخيفاً، كثير الأثاث وغير مريح. ومن جهة أخرى كان المحيط ممتعاً وسيكون قريباً ليتأكد من أن كريسيدا سعيدة. وإذا لم تقبل يصبح من السهل ايجاد شيء آخر. صحيح أنها قد ترفض مغادرة انكلترا، لكن ليس لديها خبرة في ايجاد عمل كما أنه ليس لديها مال. لا ينبغي أن يقلق. فأوقف سيارته أمام المستشفى وذهب ليرى مريضه.

على الرغم من أنه قال مراراً في نفسه إن اهتمامه بكريسيدا نابع من رغبة في اسعاد التعساء، فإنه كان حتماً، سيذهل لو سمع المكالمة الهاتفية بين نيكولا وعمتها.

بعد يومين قالت الليدي ميريل أثناء الغداء: «ستعود مرافقتي في خلال أسبوع يا كريسيدا، وقد فكّرت في الأمر. ألديك مشروع ما؟» وضعت كريسيدا شوكتها على الصحن بحذر. وقالت: «لا، ليس لدي مشروع معين، يا ليدي ميريل، لكني متأكدة من أنني سأجد شيئاً ما.»

قلبت كريسيدا الامكانيات في ذهنها. فهناك عمة لأمها تعيش في مكان ما من كومبريا لم ترها أبداً، وابنتا عم لها في كندا وأخرى في الولايات المتحدة وكلهن أكبر منها سناً. فقالت: «حسناً، يمكنني أن أجد غرفة لبعض الوقت فقط، كما تعلمين.»

«إن السيدة سفتون، تعرفينها بالطبع، اتصلت هاتفياً

بالأمس تسأل عنك. وعندما أعلمتها بأنك ستتركين قريباً، أرادت أن تعرف إذا كنت مهتمة بالعمل في هولندا كمرافقة لسيدة تعيش وحدها. أعتقد بأنها في منتصف العمر، وتتكلم الانكليزية باتقان. تعيش بمفردها قرب البحر. ليس عملاً دائماً إنما لأشهر الشتاء فقط.»

«هل تعرف السيدة سفتون هذه السيدة؟»

«لا، لكنها تعرف أحد أقربائها، وقد ذكرها لها في رسالة.» وابتسمت الليدي ميريل مشجعة: «من الأفضل الذهاب إلى شخص معروف، بدلاً من الذهاب إلى آخر، غريب كلياً.»

فكرت كريسيدا بأن هذا منطقي. كما أن الذهاب إلى الخارج سيكون ممتعاً خاصةً أن الدكتور ڤان درلينوس يقيم هناك. وكان جواز سفرها جاهزاً.

راقبت الليدي ميريل التعابير على وجه كريسيدا. لكنها لم ترد أن تضيف شيئاً. فقد تورّطت بما يكفي في مخططات ألدريك. فلفّقت الأكاذيب وابتكرت وجود مرافقة وهميّة. كانت تأمل أن تذهب كريسيدا إلى هولندا لأن ألدريك يريد ذلك، وكانت متأكدة من أنه لا يعلم لماذا؟ قد تكون مخطئة بهذا الخصوص. لكنها لم تكن سعيدة برفقته لنيكولا. من جهة أخرى سيكون ممكناً لألدريك أن يرى كريسيدا من وقت لآخر وهذا يكفيها الآن. بالاضافة إلى أنه رأى هذه المرأة، ووافق عليها.

أخذت كريسيدا قرارها وقالت: «أحب أن أقبل هذا العمل. ستكون فرصة لأرى بلداً آخر. أتريد هذه السيدة أن أكتب لها؟»

«إنها فكرة سديدة. سأحصل على العنوان من السيدة سفتون.»

كتبت كريسيدا رسالة مختصرة ومهذبة، واستلمت بالمقابل

رداً منمّقاً يعرض أجراً كافياً لحاجتها. إنهم ينتظرون وصولها في غضون أسبوع، وكانت كل التفاصيل عن كيفية وصولها مدوّنة. فكّرت في أن ذلك يسير بطريقة منتظمة، وكبتت شعوراً بالقلق لأن كل شيء بدا سهلاً جداً. لكنها ليست بوضع يسمح لها بالتدقيق في الأمور كافة.

ذهبت مرة أخرى إلى يوفيل، في فترة بعد الظهر في أحد الأيام، فاشترت فستاناً رمادياً للمناسبات الرسمية، وحذاءً رسمياً من مخزن سعره رخيص بسبب التنزيلات، كما اشترت بلوزة أخرى. اعتبرت أنه أصبح لديها ما يكفي من الملابس، التي أخذت تحزمها في حقيبتيها، وقد لمّعتهما لها ألسي. وحل اليوم الأخير فنهضت من الفراش وهي تشعر بالأسى، ومترددة في الذهاب. كانت سعيدة عند الليدي ميريل، وكان كل من في المنزل لطفاء معها. أملت أن تكون جونكفرو ڤان جرمرت بهذا اللطف.

قالت الليدي ميريل: «سأفتقدك، يا صغيرتي. أتمنى لك السعادة في هولندا... ألن تكتبي لي؟» وقبّلتها كريسيدا من وجنتها. أما باكتسر وألسي فقد ودعاها بتردّد وهي تدخل السيارة التي كانت ستقلّها إلى يوفيل لتأخذ القطار إلى لندن. كان أجر سفرها مدفوعاً سلفاً باستثناء مصاريف الطعام وسيارة الأجرة. كان عليها أن تسافر إلى هارفيك، ثم تأخذ القطار الليلي إلى الهوك. بدت لها رحلة طويلة وغير ضرورية، خصوصاً وأنه كان عليها أن تقطع لندن. لكن تلك كانت التعليمات وعليها التقيّد بها. في الهوك كان عليها أن تلتحق بقطار إلى لاهاي، ومن ثم إلى قطار محلّي باتجاه نوردويك آن زي، حيث كان عليها أن تستقلّ سيارة أجرة إلى منزل

جونكفرو ڤان جرمرت. في القطار، المسرع نحو وانترلو، أعادت قراءة التعليمات، ومن ثم أخذت تنظر إلى المشاهد أمامها وهي تتساءل متى ستراها من جديد. ربما في الربيع. وتذكّرت أنهم أوضحوا لها بأن عملها مقتصر على أشهر الشتاء فقط. واندهشت قليلاً من زوجة أبيها التي لم ترد على رسائلها، لكنها تلقت رسائل طويلة من موغي التي كانت سعيدة عند أختها، وقد أعادت دعوتها لكريسيدا بأن تعيش معها إذا ما احتاجت ذلك. وقد كانت فكرة مطمئنة.

كانت كريسيدا قد سافرت مع والدها إلى أوروبا قبل زواجه الثاني. فزارت فرنسا وإيطاليا واليونان. وكانت رحلات مريحة، بينما الآن عليها أن تشارك مع ثلاث نساء أخريات في غرفة واحدة. وبما أنه عليها الإنفاق بحذر، فقد اكتفت بشرب القهوة وأكل رغيف باللحم، قبل أن تصعد إلى مرقدها. كانت النساء الأخريات مسنّات، وكانت احداهن تغط. قضت ليلتها مستيقظة، ونهضت باكراً قدر المستطاع، فاغتسلت ولبست ثيابها على ضوء خافت، وصعدت إلى ظهر المركب. كان عبوراً قاسياً والريح تزمجر، لكنها استمتعت بالهواء النقي بعد الدخان المتصاعد من المقصورة. لقد اقتربوا من الهوك الآن. فذهبت لتشرب الشاي وتأكل قبل أن تجمع حقائبها. كان عدد المسافرين قليلاً فانهت معاملاتها عند الجمارك بسرعة، ووجدت القطار في انتظارها. كانت الرحلة إلى لاهاي قصيرة. لكنها ضيعت الوقت وهي تبحث عن الرصيف الصحيح، تعيقها عن الاسراع بذلك حقيبتاها. واستقرّت بارتياح في القطار المتجه نحو نوردويك آن زي. شربت القهوة وهي تنظر إلى المشاهد من حولها، إلى أن جاء المفتش ليخبرها، بلغة

www.rewity.com
REWITY

انكليزية جيدة، أن القطار لا يذهب إلى البلدة الصغيرة إنما إلى مدينة نوردويك الداخلية الكبيرة. وأضاف بمرح: «يمكنك أن تستقلي سيارة أجرة فهي تبعد كيلومترين فقط.»

سرّت كريسيدا باكتشاف صحة كلامه، لاسيما أن سائق سيارة الأجرة كان يفهم الانكليزية، ويعرف مكان سكنى جونكفرو ڤان جرمرت. فعبر بسيارته البوابة القديمة الواسعة وتوقف أمام الباب. ثم نزل وحمل حقيبتيها. إلى الباب، ثم أخذ أجره متمنياً لها إقامة سعيدة، وقاد سيارته بعيداً. ضغطت كريسيدا على زرد الجرس.

فتحت لها امرأة الباب، وحدّقت بها من دون أن تتفوه بكلمة. لكن عندما ذكرت كريسيدا اسم سيدتها تنحّت جانباً، مما أتاح لكريسيدا أن تدخل مع حقيبتيها إلى الردهة، ثم اختفت عبر أحد الأبواب.

فكّرت كريسيدا بأنه مكان كئيب، لكنه يحتاج إلى كثير من العمل، خصوصاً إذا ما كان عليها تنظيف الطاولة، والكراسي، والسجاد الكثيف، والثريات.

عادت الفتاة، وقالت: «تعالي.» وتقدمتها عبر الممر ثم فتحت لها باباً لتدخل. كانت الغرفة حيث دخلت أشد كآبة من الممر، بنّية اللون مع مفروشات داكنة. وكان هناك نار قبالة الباب وامرأة تجلس بقربها.

تقدمت كريسيدا نحو الكرسي ومدت لها يدها قائلة: «أنت جونكفرو ڤان جرمرت، أليس كذلك؟»

«أجل.»

صافحتها مترددة، مضيفة: «يستحسن أن ترشدك كوري إلى غرفتك. يمكننا أن نتكلم بعد ذلك.»

ثم عبست وقالت: «أنت نحيلة... آمل أن تكوني قوية.»

«أجل.» أجابتها كريسيدا، وهي تنظر إلى تلك المرأة القوية النضرة، والأنيقة، وتتساءل لماذا عليها أن تكون قوية.

«حسناً، ابحثي عن كوري ورتبي أمتعتك. فأمامك فقط ساعة من الوقت.»

عادت كريسيدا إلى الممر، ووجدت كوري تقف أمام السلّم. حملت كلّ منهما حقيبة وصعدتا إلى الفسحة المربعة، حيث فتحت كوري باباً عند نهاية ممر ضيق. كانت الغرفة تشرف على الحديقة خلف المنزل، وهذا أجمل ما فيها. إذ كانت غرفة صغيرة باردة ومفروشة بما يناسبها، ويوجد بالقرب منها حمام. عندما أصبحت وحدها فتشت كريسيدا الخزائن والأدراج، وجرّبت السرير ونظرت من النافذة. قالت لنفسها بالطبع هذا يوم غائم؛ فعندما تشرق الشمس ستبدو الغرفة أفضل. وعندما تستقر ستضيف إليها مزهرية ومصباحاً قرب السرير، وبعض الصور لوالدها ووالدتها... وبذلك يصبح المكان مبهجاً. فبعد الراحة التي توفّرت لها في غرفتها عند الليدي ميريل بدت هذه الغرفة خالية نسبياً.

فكت أمتعتها، ورتبت وجهها وشعرها، ثم نزلت وهي متقيدة بالوقت.

على الغداء، سردت جونكفرو ڤان جرمرت على كريسيدا، واجباتها والتي كانت تختلف عما كانت عند الليدي ميريل. كان عليها أن تهتم بغرفتها، وتسقي النباتات وتنسق الأزهار، وتنظف البرسولين المعروض في خزائن غرفة الاستقبال، وأن تردّ على الهاتف إذا كانت الخادمة في الخارج، أو منهمكة في عمل ما. وأن تشرف على التنظيف اليومي وأن تكون مستعدة للمساعدة عند الحاجة.

www.rewity.com/vb RAYAHEEN

فسألتها كريسيدا: «ومتى يوم عطلتي؟»

«يوم عطلة؟ أتتوقعين ذلك؟ لكنك ستعيشين براحة معي، وليس لدي يوم عطلة.»

شاهدت جونكفرو ڤان جرمرت تعابير وجه كريسيدا فسارعت تغير طريقتها. فما من جدوى أن تترك الفتاة بعد أن رتبت نيكولا كل شيء بدقة. وقالت: «حسناً، فأنا أذهب إلى نادي البريدج أيام الأربعاء فاعتبري نفسك حرّة في الخروج ابتداءً من الساعة العاشرة صباحاً وحتى السابعة مساءً.»

وافقت كريسيدا على ذلك إذ بدا لها أنه ما من جدوى أن تطلب ساعة أو ساعتين إضافيتين يومياً. وفضّلت التريث بذلك لبضعة أيام. وسألتها بلطف: «وراتبي؟ هل سأقبضه أسبوعياً أم شهرياً؟»

«شهرياً. والآن بعد أن اتفقنا على كل التفاصيل المتعبة هلا تكرّمت بمرافقتي إلى الدور العلوي؟ فأنا أرتاح لساعة بعد الغداء ويمكنك أن تقرئي لي باللغة الانكليزية إن لغتي الانكليزية حسنة.» أكدت بذلك جونكفرو ڤان جرمرت بافتخار، وأضافت: «لكنك ستقرئين ببطء، وإذا لم أفهم مقطعاً ما فستفسرينه لي.»

فكرت كريسيدا، وهي تستعد للصعود إلى سريرها تلك الليلة، إنه يوم طويل. وكانت شاكرة للزجاجة المعبأة بالماء الساخن، الذي أدهشها أن تحضرها لها كوري. لم تكن قاسية كما بدت. فهي بالتأكيد متعبة إذ كان عليها الكثير من العمل. لم يكن البيت كبيراً، لكنه مليء بالأثاث وأرضيته خشبية. وكانت هناك طاهية وقد رأتها كريسيدا، وهي تحضر القهوة في المطبخ. لقد صافحت المرأة التي رمتها بنظرة غير ودّية، وتمتمت شيئاً غير مفهوم بالهولندية. ليس منزلاً فرحاً. هذا ما

فكرت فيه كريسيدا وهي تمسك بالزجاجة الساخنة. لا بدّ أنهما اعتقدتا بأن قدومها سيزيد عملهما، لكن لائحة واجباتها تنبيء بأنها ستكون مصدر مساعدة.

لقد خاب أملها، ولكنها أقنعت نفسها بأن السبب هو لطف الليدي ميريل غير العادي. لا شك في أنها ستتعرّض للمصاعب. لكن لديها مأوى وأجر معقول يمكنها أن توفّر بعضه. وفكرت، قبل أن تنام، بأنها ربما تمكنت، وبأعجوبة ما، من مقابلة الدكتور ڤان در لينوس، ثم نامت.

اكتشفت أن أيامها كانت مليئة بالعمل... ولكي تكون مفيدة حتم عليها القيام بعدد من الأعمال الإضافية، إلى جانب كونها مرافقة جونكفرو ڤان جرمرت ورهن إشارتها... لكن كان لديها نصف ساعة تقضيها مع نفسها يومياً عندما يأتي الزوّار. فقد وصلت يوم خميس، وكان عليها أن تنتظر أسبوعاً قبل أن يحين موعد يوم عطلتها، وعندما حلّ أخيراً كان يوماً بارداً، وممطراً. لم تهتم كريسيدا لذلك، فرتبت غرفتها وتناولت فطورها، ثم ذهبت إلى غرفة جونكفرو ڤان جرمرت تلقي عليها تحيّة الصباح، فقالت لها السيدة، بصوت جاف وبارد، بأن تعود عند الساعة السابعة. ثم ذهبت إلى المطبخ. كانت لغتها الهولندية ضعيفة، لكنها تمكنت من تدبير أمرها، وقالت: «أنا ذاهبة للتبضع.» وأشارت إلى كوري، والطاهية.

حدقتا فيها للحظات، ثم ابتسمتا وانتظرت حتى دونتا طلباتهما على ورقة.

سألتها كوري: «ألا تريدين المال؟»

وابتسمت عندما أجابتها كريسيدا بلهجتهما: «ليس الآن، لاحقاً.»

www.rewity.com RAYAHEEN

كانت خدمة الحافلات جيدة مع أنها قليلة في أشهر الشتاء. ومع هذا فقد أقلتها إلى لايدن، حيث كانت جونكفرو ڤان جرمرت قد أخبرتها أنه يوجد أشياء كثيرة، عليها أن تراها، ومحلاّت جميلة. وقد أضافت قائلة: «وإذا ما أردت متاجر رخيصة فهناك الهيما وهي مثل متاجر ودلورث عندكم، على ما أظن...» مما أزعج كريسيدا كثيراً.

في لايدن، ذهبت مباشرة إلى مكتب السياحة وحصلت على خريطة للمدينة وكل المعلومات التي قد تحتاجها. وخرجت مزوّدة بذلك لتمتّع نفسها. كان عليها أن تقرّ، وبعد انقضاء أيامها الأولى في الدارة، بأنها لم تكن سعيدة. فإن جونكفرو ڤان جرمرت لم تحبها. صحيح أنها لم تقل لها ذلك، لكن لا مبالاتها ومعاملتها لكريسيدا بتهذيب زائد كانتا غير محتملتين. وكأنها لم تكن تريد مرافقة، وخصوصاً كريسيدا. وفكرت كريسيدا بأنها كانت تريد خادمة أخرى في المنزل؛ فقد كانت كوري منشغلة جداً، والمرأة التي تأتي للتنظيف، لا تجد الوقت سوى لتلميع الأرضية وتنظيف المطبخ. وقد اكتشفت أن عليها ترتيب الأسرة، ونفض الغبار، وتجهيز الطاولة في بعض الأحيان. فقالت لنفسها بعزم إنه عمل، وهو يخوّلها رؤية بلد آخر، كما أن حصولها على يوم عطلة أسبوعياً كان شيئاً تعلّل نفسها به.

اتبعت تعليمات الكتيّب وأمضت أكثر من ساعة في اللاكنهال قبل أن تبحث عن مقهى، من المقهى ذهبت إلى بريشترات، عابرة وسط المدينة القديم، مصمّمة على رؤية القلعة القديمة البورشت. وبعد ذلك انطلقت إلى الكورنبورسبروغ لتتمتع بالمناظر التي يشجّع على رؤيتها الكتيّب الذي في حوزتها.

شاهدت ما يكفي ثم صممت على رؤية كنيسة القديس بطرس، فعادت نحو بريشترات. وفيما كانت تنتظر لتقطع الشارع، رأت الدكتور ڤان درلينوس على الرصيف المقابل. وقفت ساكنة تعرقل طريق الناس المتزاحمين للمرور. وقد غفلت عن وجودهم إذ سيطر عليها الفرح لرؤيته من جديد. قطع الشارع قبل أن تقرّر ماذا ستفعل. وقال لها مندهشاً: «كريسيدا! يا للمفاجأة السعيدة.»

قضى أسبوعين في فرنسا وقد عاد قبل عدّة أيام من الوقت المقرر. وعلى الرغم من أنه كان ينوي أن يتصل بعمة نيكولا ليتأكد من قدوم كريسيدا فإنه لم يتوقّع مقابلتها في لايدن. أخذ يدها مبتسماً بلطف وقال: «تبدين بحالة حسنة...»

«إني أعمل هنا، مرافقة لسيدة تعيش في نوردويك آن زي.»

أحرجها بنظرة حادة، وسألها: «هل أنت سعيدة؟ وهل تشعرين بالغربة؟ والسيدة، أهي لطيفة معك؟»

كان يريحها أن تقول له إنها ليست سعيدة، وتشعر بالغربة، والسيدة ليست باللطف المطلوب، ولكن هذا لن يجدي. فقالت بهدوئها المعتاد: «إن كل شيء غريب قليلاً. لكن الجميع يتكلمون الانكليزية. مضى أسبوع على وجودي هنا، ونوردويك آن زي مدينة ساحرة، أعتقد بأنها تكون مزدحمة خلال الصيف.»

عبس وهو ينظر إلى وجهها، متأكداً من أنها كانت تحب أن تقول أكثر من ذلك، لكنها أحجمت. كان من المؤسف أنه كان في طريقه إلى المستشفى، ومتأخراً أيضاً. فقال لها: «كان من المفرح أن نتغدى معاً، لكني تأخرت فاعطني عنوانك...»

أعطته العنوان وأضافت قائلة: «أرجوك ألا تأت لزيارتي فأنا لست أكيدة من أن جونكفرو ڤان جرمرت تحب ذلك.»

www.liewity.com
RAMADEEN

«لماذا؟»

فأجابت كريسيدا: «ستتأخر عن موعدك، سنلتقي لاحقاً عندما يسمح لنا الوقت.»

أخذ يدها بيده، وقال: «بالتأكيد سنفعل، فأنا لا أنوي أن أفقدك.»

نظرت إليه وهو يخطو مسرعاً نحو قناة رايينبورغ وكلية الطب، ثم تبعت طريقها نحو الكنيسة. كانت كنيسة كبيرة وواسعة. فجلست على كرسي منعزل لتفكر. كان رائعاً أن ترى الطبيب من جديد، ومفاجئاً أيضاً. فهي تعتقد بأنه يعيش في فريلاند، ولكن يبدو أنه يأتي إلى لايدن. واستنتجت أنه يأتي إلى المستشفى وقد لا تراه ثانية لبعض الوقت. وحتى مقابلته كانت بعيدة، لكنها مع ذلك شعرت بالدفء والراحة لمجرد أنه تذكرها وتوقف ليكلمها، برغم أنه مستعجل جداً.

كانت الكنيسة باردة؛ فعادت إلى بريشترات وأكلت فطيرة بالجبن واحتست القهوة في مقهى صغير، ثم ذهبت تجول على المتاجر. إنها لن تقبض أجرها قبل آخر الشهر، لذلك فقد اشترت القليل والضروري. ومع قدوم الميلاد كانت واجهات المحلات مليئة بالمعروضات. أمضت ساعة سعيدة تتنقل بين الواجهات وتختار ما ستشتري آخر الشهر. ثم شربت الشاي وأكلت قطعة من الكاتو بالكريما قبل أن تستقل حافلة العودة. لقد تمتعت بيومها. وفكّرت فيما كانت عند المدخل تنتظر أن تفتح لها كوري الباب، بأن انطباعها الأول عن جونكفرو فان جرمرت ربما جاء متسرّعاً. فعليها أن تتعرف عليها أكثر. دخلت مباشرة إلى المطبخ وناولت كوري والطاهية المشتريات التي طلبتاها. ثم أسرعت إلى غرفتها لتجهز

نفسها للمساء. كانت سيدتها تغير ملبسها كل مساء. أما كريسيدا فاضطرت لأن ترتدي ثوبها الرمادي لحين تقبض أجرها، وتتمكن من شراء فستان جديد. قد تذهب إلى لاهاي في أحد أيام عطلتها لعلها تجد شيئاً يناسب امكانياتها.

كانت جونكفرو فان جرمرت في غرفة الجلوس، ترتدي ثوباً أنيقاً، وتتحلى بالذهب. فقالت عندما دخلت كريسيدا: «ها قد عدت. سأخرج للعشاء... قد تصل السيارة في أي دقيقة الآن. لقد قلت لكوك إنه يمكنك العشاء معها ومع كوري في المطبخ. و أريدك أن تقلّيني إلى لاهاي في الصباح، فأنا ذاهبة إلى المزين.»

أجابتها كريسيدا: «بحوزتي اجازة القيادة الانكليزية فقط.»

لم تعلّق جونكفرو فان جرمرت على الموضوع وأضافت، وهي تستعد للخروج: «سأضطرّ للمغادرة عند الساعة التاسعة وانني أسمع صوت وصول السيارة.»

حافظت كريسيدا على تهذيبها. وتمنت لها ليلة سعيدة. من المؤسف أنها لا تعرف شيئاً عن عمل المرافقات. فلم تكن متأكدة من أن الأكل في المطبخ كان إهانة. وبما أنها جائعة لم يكن باستطاعتها فعل شيء آخر. فقد تبحث في الوضع لاحقاً عندما تكون سيدتها في وضع أفضل. نادتها كوري، فلحقت بها وبكوك في المطبخ لتجد أنهما مرتبكتان من الوضع بقدر انزعاجها. كان الطعام جيداً، وقد فعلتا ما في وسعهما للتحدث إليها، وباللجوء إلى الإشارات نشطت المحادثة. ولم يدعاها تساعدهما على تنظيف الطاولة وأشارت كوري إلى السقف، وهي تحاول أن تقول: «ليس حسناً أن تأكلي هنا، يجب أن تأكلي في الطابق العلوي.»

www.rewity.com RAYAHEEN

قالت كريسيدا بحرارة: «هذا لطف منك، يا كوري، أن تقولي ذلك.» ومع أنهما لم تفهما كلماتها إلا أن المعنى كان واضحا فابتسمتا لها. فاعتبرت، وهي تجلس على سريرها، أنه أصبح لديها صديقتان.

أنهى الدكتور فان درلينوس عمله في المستشفى، ثم عاد إلى منزله في لايدن حيث استقبلته مايز والكلبان. فدخل إلى غرفة الجلوس الممتعة. بقي في المستشفى أكثر مما توقع، وفقدت فكرة ذهابه إلى لاهاي لرؤية نيكولا جاذبيتها، على كل حال فهي لا تتوقع عودته قبل يومين. وفيما كان يجلس قرب النار محاطاً بكلبيه، وفي يده كاس شراب، فكر بكريسيدا. لقد استطاع خداعها جيداً. فلم تعلم أنه يعرف مكان وجودها وأنه دبّر لها هذا العمل. سيذهب لرؤيتها حالما تسنح له الفرصة. فقد بدت له حين رآها في الطريق غير سعيدة، مع أن وجهها أشرق عندما رأته. سيعرف منها كل شيء عندما يقابلها ثانية. أكل العشاء اللذيذ الذي وضعته مايز أمامه، وقضى بقية الأمسية في مكتبه. فقد كان بانتظاره يوم ملىء، مرضى، عيادة خاصة، وجولة تفتيشية الخ... فأبعد كريسيدا عن تفكيره.

استطاع في اليوم التالي توفير بضع ساعات خالية من العمل بما كان كافياً لرؤية كريسيدا. واعتبر أنه من الواجب عليه أن يأخذ نيكولا معه، فذهب بعد الغداء إلى لاهاي. حيّته نيكولا، وهي مندهشة، وقالت تخبىء انزعاجها: «ألدريك! كان من المفترض أن تعود غداً.»

قال لها: «عدت منذ يومين، لكني انشغلت أكثر من العادة. ليس لدي مواعيد لعدة ساعات، لذلك فكرت أن بامكاننا أن

نذهب إلى عمتك، ونرى كيف تتدبر الآنسة بريس أمرها.»

أجابت نيكولا بسرعة: «هل هذا ضروري؟ أليس من الأفضل الذهاب في نزهة؟ فهي لا تتوقع قدومنا...»

نظر إليها مفكراً، ثم قال: «إن ذهابنا إلى نوردويك هو نزهة بحد ذاتها ولو أنها قصيرة، ولا داعي للتكلف.» تناول معطفاً كانت قد رمته على أحد الكراسي، وأضاف: «ضعي هذا عليك وسنذهب... فليس لدي وقت لأضيعه.»

كان رجلاً هادئاً وساكناً، لكنها كانت تعرف أنه صلب الإرادة. تأمل أن تتظاهر العمة كلوتيلد بأنها تعامل تلك الانكليزية البائسة كأحد أعضاء العائلة. من المؤسف أنها لم تجد الوقت لتكلمها على الهاتف، فلو معطفها لم يكن جاهزاً هناك... لا داعي للقلق. حاولت أن تبدو ساحرة، وسألته عن رحلته إلى فرنسا، متظاهرة بالاستمتاع بأجوبته. استقبلتهما كوري وأدخلتهما إلى غرفة الجلوس حيث كانت جونكفرو فان جرمرت مستلقية على اريكة تتصفح مجلة. فوجئت بحضورهما، ورمت كوري بنظرة تنذر بالشر، وانتصبت واقفة على قدميها وهي تغطي وجهها بابتسامة سريعة.

قالت: «عزيزتي نيكولا كم هذا ممتع وألدريك أيضاً. اعذراني، فقد كنت آخذ قسطاً من الراحة. فالبيت، كما تعلمان، كبير جداً، وهناك ما يكفي من العمل للخدم... فأنا أساعد قدر المستطاع، لكني لست قوية وأتعب بسرعة.»

كلام، فارغ، جعل الطبيب يرفع حاجبيه ويسأل بلطف: «من المؤكد أن الآنسة بريس تستطيع القيام بالمهام البسيطة بدلاً عنك؟»

أجابت مضيفته باندفاع: «بالطبع، فهي فتاة طيبة دائماً ومستعدة للمساعدة. من المؤكد أنك تريد رؤيتها. ستأتي بها كوري.»

www.rewity.com RAYAHEEN

شدّت حبل الجرس قرب المدفأة، وعندما ظهرت كوري طلبت إليها أن تحضر الآنسة بريس.

أما كوري، التي كانت تنوي الاستمرار بالعمل في المنزل لحين تعثر على عمل أفضل، وجدت الفرصة سانحة لتنتقم لنفسها... فقد كسرت في الصباح إناء، حسمت جونكفرو ڤان جرمرت ثمنه من أجرها الذي لم يكن يكفيها بكامله.

قالت: «حاضر يا سيدتي، لكن عليك الانتظار قليلاً. فالآنسة بريس ما تزال ترتب خزانة المؤونة كما طلبت منها.»

احمر وجه جونكفرو ڤان جرمرت، وأطلقت تنهيدة عميقة مردفة: «حسناً، لكن اطلبي منها أن تأتي بأسرع وقت ممكن.»

ثم استدارت نحو الطبيب الواقف أمام النافذة مستطلعاً الحديقة الشتوية. وقالت: «إنها فتاة عزيزة، تقترح دائماً طرقاً للمساعدة. فوجودها في المنزل لا يقدر بثمن.»

لم يعلق وهو يشاهد ارتباك مرافقته، وعندما ابتدأت نيكولا حديثاً ممتعاً شارك فيه بسرور.

انقضت عشر دقائق قبل أن تنضم كريسيدا إليهم. فقالت جونكفرو ڤان جرمرت فوراً: «ها أنتِ، يا عزيزتي. أريدك أن تقابلي زائري... ابنة أخي، نيكولا ڤان جرمرت والدكتور ڤان درليڤوس.»

انتقل لون وجه كريسيدا من الزهري الخفيف إلى الشحوب عندما رأت الطبيب. لكنها صافحت نيكولا وتمتمت بعض الكلمات المهذبة قبل أن تمد له يدها. فأخذها بيده وقال بلطف: «أنا وكريسيدا نعرف بعضنا بعضاً. فقد تقابلنا مراراً في انكلترا ورأينا بعضنا بعضاً منذ يومين في لايدن.» انتبه لنيكولا وعمتها وهما تتبادلان النظرات، فتابع

يقول: «أتمنى أن تكوني قد استقررت، يا كريسيدا، وتمتعين نفسك.»

كان ما يزال يمسك يدها، وقد لاحظ أنها حمراء وخشنة. فخزانة المؤونة كانت واحدة من المهمات التي شك بأنها تقوم بها. وسألها منتظراً أن تجيب: «هل أنت سعيدة؟»

فقالت بصوت خافت ومهذب: «أجل أشكرك أيها الطبيب.» وسحبت يدها بلطف وهي ما تكاد تنظر إليه.

فقالت جونكفرو ڤان جرمرت بصوت عال: «أنا أكيدة من أنها سعيدة. فكل الفتيات لا يجدن عملاً جيداً. لهذا، آمل أن تكوني قد شكرت الطبيب، يا آنسة بريس، فهو من طلب مني أن أستخدمك، كما تعلمين. وكان يعرف أن جدته تستطيع الاحتفاظ بك ليضعة أسابيع فقط... وقد قبلت بك. بسبب طيبتها فقط. أليس كذلك، يا ألدريك؟»

التزم الطبيب هدوءه، فقط عيناه كانتا تلمعان من تحت حفونه. وقال برصانة: «هذا صحيح، لكن يجب القول إن كريسيدا لبّت حاجات كثيرة لجدتي، كما أثق بأنها تفعل هذا هنا.»

شحبت وجنتا كريسيدا أكثر.. وقالت: «لم أكن أعلم. اعتقدت بأن السيدة سفتون... أنا شاكرة لك، أيها الطبيب.»

احتقن لون وجهها من الغضب والاهانة، وتوهجت عيناها من الغيظ. فقد كرهت في تلك اللحظة كل من كان في الغرفة وخصوصاً الطبيب. فقالت بوضوح: «والآن، اسمحوا لي، سأذهب لأنهي تنظيف خزانة المؤونة.»

كان خروجها، على الرغم من صغر حجمها، جليلاً.

www.rewity.com
RAYAHEEN

الفصل الخامس

أغلقت كريسيدا الباب بهدوء متعمد كان له تأثير أكبر من خبطة قوية. ارتعشت شفتا الطبيب الحازمتان، وقال بلطف زائد: «أرى أني قد أخطأت، فلا بد أني قد أعطيتكما سهواً الانطباع بأن كريسيدا خادمة، يا جونكفروفان جرمرت.» ثم نظر إلى نيكولا، وقال: «ألم تعتقدي ذلك، يا نيكولا؟»

«بالحقيقة، لا أذكر ما الذي قلته. على كل حال، لِمَ كل هذه الضجة؟ فالفتاة قد حصلت على بيت جيّد، وأنا متأكدة من أن العمة كلوتيلد منصفة معها. كما أن عليها أن تكسب معيشتها... فكل الأعمال متساوية.» وهزت كتفيها الجميلتين، وأضافت: «ولا داعي لإحداث ضجّة حول تنظيف خزانة مؤونة، بالتأكيد...؟»

سألها الطبيب بلطف مستفسراً: «هل حصل ونظفت خزانة المؤونة بنفسك؟»

أسرعت تغيّر من أسلوبها، وقالت: «لا لم أفعل، يا ألدريك، وآسفة إذا كنت غير لطيفة. سآتي غداً وأتكلم إليها، هل أفعل؟ ربما أمكننا أنا وعمتي كلوتيلد أن نعيد النظر بواجباتها.» وأضافت بصوت لطيف: «من المؤكد أن تلك الفتاة اليائسة قد حزنت. لكنني سأعيد الأمور إلى نصابها، هلا تركت الأمر لي؟» وابتسمت بتملّق: «إن النساء أفضل من الرجال في حل هذه الأمور.»

تردد الطبيب ثم وافق. نيكولا على حق بالتأكيد، إذ بامكانها

أن تسوي الأمور أكثر منه لسبب واحد وهو أنه بامكانها التكلم إلى عمتها بصراحة أكبر مما قد يفعله. وبما أن جونكفروفان جرمرت قد عبّرت عن اهتمامها، ووافقت على تغيير مهمات كريسيدا، فقد رحل مع نيكولا بعد وقت قصير. لم ير أثراً لكريسيدا، فاعتبر أنه من الأفضل ألا يراها حتى تتغير الأمور وتستقر نفسياً. ومع ذلك فهو لم يحب جونكفروفان جرمرت ولم يثق بها كلياً.

كان ذلك أمراً أجبر على ابعاده عن تفكيره، ما أن وصل إلى المستشفى. وبما أنه عاد متأخراً ذلك المساء، فقد أمضى الوقت المتبقي في التنزه مع الكلبين وتناول العشاء متأخراً، ومن ثم تسجيل رسائله وملاحظاته على جهاز تسجيل خاص، وبقي حتى ما بعد منتصف الليل، وقد أجل النظر في مشكلة كريسيدا حتى يتسنى له أن يحلّها كما يحلو له.

من جهة أخرى، فقد تسنّى لنيكولا أن تعيد النظر في الموضوع بعناية. كان من المؤسف أن ألدريك قد عاد قبل الموعد المتوقع بعدة أيام والأسوأ أنه قد قابل كريسيدا. لم يكن من الممكن أن تكون الفتاة قد اشتكت له، فهو لم يقل شيئاً وقد غضب عندما أخبرتها عمتها، أنه هو من دبّر لها العمل منذ البداية. عبست نيكولا؛ فأي رجل آخر كان فقد أعصابه، وسأل على الأقل لِما تعامل الفتاة وكأنها خادمة؟ لكن ألدريك لم يظهر أي علامة انزعاج. لقد عرفته منذ فترة من الوقت وقد قرّرت منذ ذلك الحين أنها ستتزوجه... فلديه منزل جميل. وما يكفي من المال. واسم مشهور في عالم الطب. لم تكن مغرمة به، لكنه وسيم وخلوق ولديه الكثير من الأصدقاء. ولم تره يغضب من قبل، لكنها غير متأكدة الآن... تناولت الهاتف فوراً واتصلت بعمتها.

لم تكن خزانة المؤونة أنظف يوماً مما هي عليه الآن؛ فقد فجّرت كريسيدا غضبها في تنظيف الرفوف والأرضية. ثم انتقلت فوراً لتنظف نفسها. ذهبت إلى قاعة الاستقبال لتدوّن حاجات سيدتها كالعادة. لقد فاتها شرب الشاي الذي يقدّم الساعة الثالثة والنصف عصراً. لكن كوري أحضرت لها فنجاناً من القهوة، ومن دون أن تتكلم، ساعدتها في إعادة الأشياء إلى مكانها.

كانت جونكفروفان جرمرت ما تزال غاضبة، ودائبة على إيجاد عذر يبرّر سوء معاملتها لكريسيدا. فهي لم تحظ بمرافقة من قبل، ولم تكن تعلم أن كريسيدا تتوقع أن تعامل كضيفة. وأضافت تقول: «والله يعلم أن هناك ما يكفي للقيام به في هذا المنزل، ولا أفهم لِمَ تعترضين على القيام بشيء بسيط... لقد شعرت بالاحراج أمام الدكتور فان درلينوس.»

عبّرت كريسيدا، وهي التي أهينت، عن سرورها لسماع ذلك وأضافت: «من الواضح أنه ومنذ استلامي العمل، أسيء تقديري. فكرت في البداية بأن الأمور ستتحسن، لكن مع مرور الأيام أصبحت تعاملينني كخادمة وليس كمرافقة. أعتقد بأننا لا نناسب بعضنا بعضاً، يا سيدتي، لذلك فإنه من الأفضل أن أتركك.»

«لا، لا، ليس ذلك ضرورياً، فأنا أكيدة بأننا سنتوصّل إلى اتفاق، يا آنسة بريس. دعينا ننتظر إلى الغد فقد نستطيع عندها أن نناقش الموضوع بطريقة أفضل.» وأضافت بمكر: «من المؤسف أنك لم تعلمي أن الدكتور فان درلينوس هو من أقنعني باستخدامك.»

لم تجبها كريسيدا وانقضى المساء بجو مكفهر جاف.

كانت تحل تشابك الخيوط التي تحيكها سيدتها عندما وصلت نيكولا. فوضعتها من يدها في الحال وهمّت لتخرج من الغرفة، فأوقفتها نيكولا وقالت: «لا تذهبي بل اجلسي فقد جئت لأتكلم إليكما معاً.» وتبادلت النظرات مع عمتها ثم أضافت: «يجب علينا مناقشة بعض الأشياء، أليس كذلك؟»

لم تجبها كريسيدا. فهي لا ترغب بالمناقشة؛ إنها لا تحب نيكولا ولا عمتها، فنيكولا تتملّك الطبيب. بالطبع لا ينوي الزواج منها. وإن فعل فهو أعمى ومصر على إتعاس نفسه لبقية حياته. فكريسيدا تعتبر أن نيكولا نسخة شابة عن عمتها. وهو يستحق أفضل من ذلك، برغم أنها لن تسامحه لأنه خدعها مهما كانت نواياه حسنة.

أراحت نيكولا نفسها، وسألت: «أيمكننا أن نحصل على بعض القهوة؟ لقد فاتني الغداء. فقد لا تمانع الآنسة بريس بالذهاب إلى المطبخ والطلب من كوري إحضار القهوة؟»

وضعت كريسيدا الحياكة جانباً، وقالت بنبرة مهذّبة: «أجل، بالتأكيد.» كانت تريد أن تتنحى بينما تكلم نيكولا عمتها. كانت على حق، فما أن خرجت حتى قالت نيكولا بسرعة: «والآن، يا عمة كلوتيلد، دعيني أتكلم...»

عادت كريسيدا ولحقت بها كوري فوراً وهي تحمل القهوة. فجلست ثلاثتهن يحتسين القهوة، ويتحدثن عن الطقس، واقتراب عيدَي القديس نقولا والميلاد إلى أن وضعت نيكولا فنجان القهوة من يدها وقالت: «إن أدريك... الدكتور فان درلينوس... طلب مني أن أكلمك، يا آنسة بريس. أظن أنك أزعجته في الأمس. فقد تكبّد الكثير من المتاعب لأجلك، أولاً، اقتناع جدّته... لم تعرفي أنها جدّته، أليس كذلك؟ لتقبل بك كمرافقة

www.rewity.com/vb
RAYAHEEN

لحين يجد لك عملاً ثابتاً. بالطبع فقد أخبرني عنك... فلا أسرار بيننا... واقترحت أن تستخدمك عمّتي. فقد أتى إلى هنا وناقش الأمر معنا، وسرّه أن العمل يناسبك فأنت غير مؤهّلة، أليس كذلك؟ فتصوّري شعوره وقد انكرت جميله. لقد أخبرني كم يشفق عليك وكم تكبّد من المتاعب لأجلك. فأقل ما يمكنك فعله لتظهري امتنانك هو القيام بواجباتك من دون تذمّر.»

اصغت كريسيدا لحديثها بصمت. فلم يظهر عليها الغضب وعندما تكلمت كان صوتها هادئاً ورصيناً.

قالت: «من سيبيء إلى أسوأ.» وراقها الارتباك الظاهر على وجه رفيقتيها، وأضافت: «لا أعتقد أن بيننا ما يقال، يا جونكفروفان جرمرت. ربما إنك آتية بنيّة حسنة، لكني أشك في ذلك.» وضعت الحياكة جانباً، وأعادت فنجان القهوة إلى الصينية، وقالت: «ساتركككما لو سمحتما.» ونظرت إلى جونكفروفان جرمرت التي كانت مضطربة، وقالت: «أتوقع أنكما تودان البحث بأمري.»

صعدت مباشرة إلى غرفتها، وتناولت حقيبتها من تحت السرير وحزمت أمتعتها بترتيب وتأنٍ. ثم ارتدت ملابس دافئة، وتأكدت من جواز سفرها ومالها. وحملت حقيبتيها إلى الأسفل. كان باب الصالة مقفلاً فلم تحاول الدخول. إنما اتجهت نحو المطبخ حيث ودّعت كوري وكوك المندهشتين، وخرجت من الباب الخلفي.

كان البرد قارساً، والحقيبتان أربكتاها كثيراً، لكنها كانت غاضبة لدرجة منعتها من ملاحظة ذلك. حالفها الحظ في الموقف، بوجود حافلة جاهزة للاقلاع خلال عشر دقائق. فأخذت مكاناً فيها، وجلست لا تلوي على شيء حتى وصلت

إلى لايدن. لم تكن المسافة إلى المحطة بعيدة، فاشترت بطاقة إلى الهوك وجلست تنتظر القطار على الرصيف. إن ما عليها القيام به هو العودة إلى لندن. ولحسن الحظ فما تزال تحتفظ بالقسم الأكبر من المئة جنيه في محفظتها. وكانت الساعة حوالي الخامسة، وما يزال أمامها متسعٌ من الوقت لتصل إلى هناك. وفي هذه الفترة من السنة ليس صعباً الحصول على بطاقة. وإضافة على ذلك، لم تفكر بأي شيء. لن تعود إلى بيتها، لكنها ستجد عملاً في لندن، أي شيء، قد ينفع حتى تثبت قدميها. جلست وهي تشعر بالبرد وتمنع نفسها من التفكير بالدكتور فان درلينوس، إلا أن أفكارها كانت تعود إليه باستمرار. لم تتوقع أن تراه ثانية لكنها لن تنسه، فقد اعتبرته صديقاً ووثقت به. يمكنها أن تغفر خداعه في موضوع جدّته... لكن أن يدبّر مجيئها إلى هولندا عند أناس لا يحبونها ولا يريدونها، فهذا ما لا تستطيع أن تتجاوزه. تثويجاً لهذه الصفقة البائسة فقد سمح لنيكولا أن تؤنبها لجحودها. وأسوأ من ذلك فقد اشفق عليها كما اشفق على الكلب الذي وجدته. كانت تريد أن تبكي، لكن الطقس كان بارداً جداً.

وصل القطار في الوقت المحدد، فاتخذت لنفسها مقعداً وشربت قهوة لذيذة. ما أن وصلت إلى روتردام حتى استقلّت القطار المتجه نحو الهوك. عليها أن تنتظر عدة ساعات قبل أن تصعد إلى متن السفينة. إنما يمكنها البقاء في المقهى الدافيء وتناول صحناً من الحساء.

كانت المحطة في الهوك شبه مهجورة، فالوقت ما يزال مبكراً أمام السفينة، وعدد القطارات المحليّة التي تقلّ العمال تضاءل. كان المقهى نصف مليء، فوجدت مكاناً إلى طاولة

www.rewity.com RAYAHEEN

بالقرب من أحد النوافذ. واحتست صحناً من الحساء الساخن، المركز، والمطيب باللحم والنقانق، وأكلت قطعة من الخبز. ثم تركت حقيبتيها، في عهدة الزوجين المسنين اللذين يشاركانها الطاولة، وذهبت تشتري بطاقة سفر. أحدث ثمنها نقصاً هاماً في مدخراتها الضئيلة. لا يمكنها استئجار سرير، ستنام على أحد المقاعد. فالسفينة كما قيل لها نصف فارغة.

عادت إلى مكانها وطلبت كوباً من القهوة. بدأ المكان يزدحم، فستصل السفينة خلال نصف ساعة وتحجز كل المقاعد. إن العجوزين مسافران على متن العبّارة أيضاً. هذا ما فهمته لكن المحادثة كانت صعبة فوقفا في صمت ودود، بينما تركت أفكارها تشرد.

بالطبع إنهم افتقدوها الآن. وإن سألت جونكفروفان جرمرت عنها فإن كوري ستبلغها بأنها غادرت وأخذت معها حقيبتيها. لم تنتظر أن يعيدها أحد. وبالتأكيد فإن نيكولا ستخترع قصة لمصلحة الطبيب وينتهي كل شيء. وانتقلت لتخطط بما تنوي القيام به... فستصل إلى لندن في الصباح الباكر، وتبحث في دليل الهاتف عن أقرب مكتب للعمل وتجد وظيفة. أي وظيفة... ثم ستبحث عن غرفة. وإن لم تنجح فستذهب إلى كاستل كاري عند موغي. كانت متفائلة، وعدد الذين يبحثون عن أعمال منزلية قليل وستقوم بأي عمل حتى تجد ما يناسبها. وتذكرت أن مجلّة لايدي النسائية، مليئة باعلانات تطلب مساعدات ومربيات أطفال. ليس عليها سوى شراء عدد منها وإيجاد أقرب هاتف للعموم... طلبت فنجاناً آخر من القهوة وقد جرفها التفاؤل.

وصل قطار، ليس تابعاً للعبارة، ومع أن عدداً قليلاً من

الركاب ترجل منه واتجه نحو العبارة، تساءلت إذا كان من الأفضل أن تصعد إلى متن العبارة. كان المقهى دافئاً وشعرت بالراحة لوجود الزوجين المسنين قبالتها. نظرت من النافذة العريضة تراقب الناس المسرعين ذهاباً وإياباً، ثم نظرت في أرجاء المقهى. فقد امتلأ بزبائن يأتون بسرعة ويذهبون. من الأفضل أن تصعد إلى متن السفينة قبل أن يأتي القطار المسائي. فات الأوان. فقد انساب داخل المحطة بصمت، وعج الرصيف بالمسافرين. ما يزال هناك متسع من الوقت قبل أن تبحر السفينة، فتجمّع عدد منهم داخل المقهى يبحثون عن مقاعد وينادون النادل. جلس أحدهم في المقعد الفارغ قربها فاشاحت نظرها إلى النافذة.

قال الطبيب بهدوء: «مرحباً، يا كريسيدا.»

أحست بالسرور يغمرها عندما رأته، فاخفته حالاً وسألت ببرود: «لِمَ أنت هنا؟ وكيف عرفت؟»

«كوري أخبرتني.» جلس براحة. فنظر إليه العجوزان بدهشة وهما يلملمان حقائبهما. لكنهما عادا وابتسما له عندما كلمهما وودعاه هو وكريسيدا راضيين.

قالت كريسيدا: «يا للطف كوري. والآن هلا تكرّمت بالذهاب فسأصعد إلى متن السفينة.»

«لا، لا أظن. يمكننا أن نتحدث. هل ترغبين بفنجان من القهوة؟»

قالت كريسيدا بمرارة: «لا أريد أن أتكلم. وقد شربت ثلاثة فناجين من القهوة. إذهب أرجوك.»

كان بامكانها أن تطلب من شجرة من السنديان أن تقتلع نفسها. فلبث الطبيب الضخم جالساً براحة على كرسيه، وبدا

www.rewity.com
RAYAHEEN

عليه أنه لن يتحرك حتى يروق له ذلك. فقالت بصوت يائس: «أرجوك دعني أذهب... فقد حصلت على بطاقتي...»

سألها: «ألديك مال؟» فأجابته مباشرة: «بالطبع، بقي معي المئة جنيه...» توقفت واستدارت تنظر إليه وقالت: «إن السيد تيمز قال... لكن كان ذلك أنت، أليس كذلك؟ لم تكتف بالاشفاق علي بل كان عليك أن...»

أدرك الطبيب أن ذلك هو صلب الموضوع فعلق: «ما هذا الهراء أن أشفق عليك؟ لماذا أفعل ذلك؟ وأنت فتاة قادرة على تحصيل عيشك بسهولة. فالشفقة آخر ما أشعر به نحوك، يا فتاتي، وكلما تخلصت من هذه الفكرة السخيفة بسرعة كان ذلك أفضل.»

أشار بأصبعه لنادل كان يمرّ، وطلب الشاي وجلس صامتاً إلى أن أحضره له فقال لها: «اسكبي الشاي، يا عزيزتي. فإنه سيهدىء روعك، بعدها تقصّي عليّ ما جرى بالتحديد.»

حاولت الاعتراض فحدق فيها ثم أردف: «صه، فلا داعي للمشاكسة. إن فنجاناً من الشاي يحلّ أي مشكلة عند البريطانيين.»

سكبت الشاي، وشربت تقريباً كل فنجانها إلى أن وضعته من يدها، لأن الدموع كانت تسيل على وجنتيها. أشاحت برأسها واستنشقت ثم رفعت يدها تمسح دموعها، فناولها منديلاً، أبيض وكبير، ونصحها قائلاً: «امسحي وجهك وتمخطي.» وعندما فعلت أضاف: «والآن ابدئي الكلام، يا كريسيدا، منذ أوّل لحظة وصلت فيها إلى منزل جونكفروفان جرمرت.»

«أجل، صحيح، لكن لماذا أرسلتني إلى هنالك؟»

«لم يكن ذلك في نيتي، فقد خططت لأرسلك إلى أصدقاء لي

في فريلاند. لكن عندما اقترحت نيكولا أن عمتها ستسعد بوجود مرافقة، بدت الفكرة أفضل. فأنا أمضي أغلب وقتي في لايدن وبذلك يمكنني مراقبتك.»

«حسناً، أنا أكيدة من أن جونكفروفان جرمرت كانت لطيفة.»

«ممكن.» قال الطبيب بصوت جاف وأضاف: «لماذا لم تخبريني بأنك لست سعيدة عندما رأيتك في لايدن؟»

«لم أكن أعرف بأنك على علم بوجودي هناك، أليس كذلك؟ كنت قد وصلت منذ أسبوع فقط، وذكرت بأنني ذكية للحصول على عمل بهذه السرعة بعد تركي الليدي ميريل. فلم تخبرني عنها أيضاً.» وتنهدت بسرعة.

فقال بلا مبالاة: «ولِمَ أفعل؟ تابعي.»

لم يكن هناك المزيد ليقال. فباستثناء أن نيكولا كلّمتها بعد الظهر، لم تقل له شيئاً.

سألها الطبيب عرضاً: «إذن فنيكولا هي التي أخبرتك أني وجدت لك العمل من باب الشفقة. أليس كذلك؟ ويمكنني القول إنها هي التي أشارت إلى جحودك نحوي، وأخبرتك أن الليدي ميريل هي جدتي. وأوحت لك بأني تداولت الأمر معها، وأوعزت إليها كي تذهب وتكلمك؟»

«وكيف عرفت ذلك؟»

فأجابها بسرعة: «لم أعرف ولكني أعرف نيكولا جيداً. والآن، بعد أن أصبح الأمر واضحاً، لنترك هذا المكان. فرائحة الطعام رهيبة وهناك الكثير من الناس.»

نظرت كريسيدا إلى ساعة الحائط وقالت: «لم تنطلق السفينة... فسيسمحون لي بالصعود إذا ما أسرعت.»

www.rewity.com RAYAHEEN

«لا، لن يسمحوا. فلا تعتقدي بأنهم سيحلون لوحة المرور من أجل فتاة عادية. ستعودين معي.»

«لا لن أعود، فأنا أرفض، أفضل أن أموت.»

«لا تكوني مأساوية. ستأتين معي وستضعك مدبرة منزلي في السرير وتعتني بك. وسأصطحبك صباحاً إلى فريلاند عند أصدقاء لي، حيث ستمكثين معهم لحين العثور على عمل مناسب لك.»

«لقد اشتريت تذكرتي.»

«يمكننا أن نستعيد المال. تعالي الآن فقد كان يوماً طويلاً.»

حمل حقيبتيها ومضى إلى السيارة خارج المحطة. فوضع الحقيبتين في الصندوق وأجلسها على المقعد الأمامي، ثم سألها وهو يدير محرّك السيارة: «هل أنت جائعة؟»

«أجل.»

«سنصل قريباً إلى البيت.» ولم يتكلم ثانية وتركها مع أفكارها المشوّشة.

خففت البنطلي من مشقة الرحلة. وصلا إلى لايدن وهي ما تزال تستعرض في فكرها مشكلاتها. توقف الطبيب في شارع ضيّق بهيج، تتسلسل فيه بيوت هرمية قديمة، خرج من السيارة وفتح لها الباب وأرشدها عبر ممر ضيّق إلى باب أنيق، فتحه ودعاها للدخول أمامه خرجت مايز من المطبخ في الوقت نفسه.

وقفت كريسيدا في الردهة، وهو يطوّق كتفيها بذراعه تصغي إليه وهو يكلم مدبرة منزله. فدندنت بحنان وأرشدتها خارجاً عبر سلّم رائع إلى غرفة جميلة حيث أخذت منها معطفها وفتحت لها باباً لحمام صغير ومجهّز ثم تركتها.

نظرت كريسيدا حولها. فبدا السرير مرحباً، الارتماء عليه والاستغراق في النوم كانا فكرة مغرية. وعوضاً عن ذلك فقد ذهبت لترى نفسها في المرآة الثلاثية الموضوعة على الطاولة تحت النافذة. فهالها ما رأت، وجهاً متعباً من البكاء وغير نظيف، شعراً مبعثراً وأنفاً متورماً اغتسلت وسرّحت شعرها وتساءلت عما ستفعله لاحقاً. هل تنزل إلى الأسفل؟ أو تنام؟ لم يكن لديها ثياب إلى أن أتى أحدهم بحقيبتيها.

فتحت الباب بحذر وظهرت على السلالم. كان الطبيب في الردهة برفقة الكلبين. فدعاها قائلاً: «انزلي إلى هنا إن كنت جاهزة. إن مايز تحضر العشاء... لقد قلت إنك جائعة.» وعندما وصلت إلى آخر السلالم سألها: «ما رأيك بسيزار؟ هذا مايل، إنه كبير لكنه وديع كالحمل.»

فكّرت في تصرفه الذي كان لبقاً، كتصرّف أخ يهتم بأخته الصغرى ويفعل ما يجب ليطمئنها. فدعاها، وهو يفتح باباً: «من هنا.» كانت الغرفة واسعة، جدرانها مغلفة، وسقفها مزخرفاً تتدلى منه ثريا نحاسية، كانت المفروشات قديمة ومحفوظة بعناية، أما الطاولة البيضاوية فيغطيها قماش حريري مشجر وعليها أوانٍ فضية لامعة.

قالت كريسيدا: «لقد بلغت الساعة منتصف الليل، فمن سيرتب وينظف؟»

«إن مايز تتلقى المساعدة في الصباح. والفتاتان اللتان تساعدانها سترتبان وتنظفان.»

دخلت مايز تحمل وعاءً من الحساء وقالت شيئاً، فردّ عليها، مما جعلها تبتسم وهي تجيبه. فقال: «مايز تقول إنها ستنام عندما تفعلين ذلك. فتمتعي بعشائك.»

www.rewity.com/vb
REWITY

كانت رائحة الحساء شهية وطعمه ألذ. وكانت كريسيدا جائعة فالتهمت الحساء وعجة بالجبن وختمت الوجبة بالكريما. وعندما تنبهت للوقت، رفضت القهوة واستأذنت بالذهاب للنوم.

تمنّى لها الطبيب ليلة سعيدة وعهد بها إلى مايز، ثم ذهب إلى مكتبه، ينهي العمل الذي كان يقوم به عندما اتصلت كوري. ورافقه الكلبان، فجلس إلى مكتبه وهما بقربه وغرق في التفكير. فمضى وقت قبل أن يحرّك نفسه ويمسك بقلمه.

أما كريسيدا، فقد وجدت أن أحداً ما نقل الحقيبتين إلى غرفتها وأخرج ما قد يلزم لقضاء ليلتها. استحمت، شبه نائمة، ثم تداعت على فراشها. كان هناك الكثير لتفكر فيه دفعة واحدة، لكنها أغمضت عينيها وغفت.

أيقظتها فتاة قوية متوردة الوجه ومبتسمة. حملت لها الشاي، وفتحت الستائر التي أظهرت سماءً رمادية داكنة ثم خرجت. شربت كريسيدا الشاي، ثم نهضت من السرير واستحمت. لم تكن تعلم ما سيجري لاحقاً. فبدا لها منطقياً أن ترتدي ملابسها وتتحضر لما يطرأ.

ما أن وصلت إلى الردهة حتى خرج الطبيب وكلباه من غرفة المكتب. كانت تحيّة الصباح ودية وسريعة فقال: «سنذهب بعد تناول الفطور. إنهم ينتظروننا على الغداء.»

فقالت كريسيدا: «أجل، ذلك حسن. لكن ما الذي سيحصل لي عندما نصل هناك؟ من اللطف أن تهتم بي، لكنني ما زلت أحتفظ بتذكرتي...»

دفعها إلى غرفة الطعام وسحب كرسياً فجلست لأنها لم تجد شيئاً آخر تفعله. عدا عن أنها كانت جائعة ورأت سلّة من

معجنات الكرواسون على الطاولة، وبيضاً وصحناً من اللحم المدخّن والمربى. ودخلت مايز تحمل ابريقاً فضياً من القهوة. وقالت: «تمتعي بالطعام.»

دغدغت رائحة القهوة اللذيذة أنف كريسيدا، فأجابت بتهذيب: «شكراً لك.» مظهرة أنها ستتمتع بكل لقمة من طعامها.

جلس الطبيب إلى رأس المائدة يحيط به الكلبان وقال: «ربما تودين شرب الشاي؟»

«لا، شكراً. أتحب أن أسكب لك؟»

«تفضلي وجربي واحدة من هذه الكرواسون.» ناولها السلّة، وحاملة البيض الفضية والملح والبهار. ومن ثم سألها إن نامت جيداً.

«أجل، فقد كان السرير مريحاً. أردت أن أبقى مستيقظة لأفكر، لكني كنت متعبة. هل بامكاننا أن نتكلم، يا دكتور فان درلينوس؟ فلا داعي للذهاب إلى فريلاند، أنا أكيدة من أني سأجد عملاً إذا عدت إلى انكلترا.»

تناول صحن اللحم وسأل: «أي عمل؟»

«مرافقة على ما أعتقد...» كانت ذكرى جونكفروفان جرمرت محبطة، لكن المستخدمين الآخرين لن يكونوا مثلها.

ناولها فنجانه لتسكب فيه المزيد من القهوة وقال: «دعينا نتفق. تعالي معي إلى فريلاند هذا الصباح فإن لم تعجبك فكرة العمل هناك، سأوصلك بنفسي إلى متن السفينة المغادرة إلى انكلترا.»

قضمت الكرواسون. إذا ذهبت إلى انكلترا فلن تراه ثانية. وبالمقابل فان الأمر غير مهم لأنها اختارت أن تشق طريقها في الحياة. وتلك الكريهة نيكولا ستفلح في الزواج منه ونيل مرادها. فيعيش معها تعيساً إلى ما لا نهاية...

قال بصوت عادي: «أمامك عشر دقائق، واحضري كل شيء معك.»

احتست القهوة وهمّت بالصعود إلى غرفتها ولكنها توانت عندما سمعته يقول مجيباً على الهاتف: «آه نيكولا.» من المؤسف أن لغتها الهولندية ضعيفة، ولم يكن صوته يوحي بشيء.

صافحتها مايز بحرارة وهما خارجان. وصعد الكلبان إلى المقعد الخلفي، وانطلق الطبيب بسيارته. سألته كريسيدا: «ألا يجب أن تكون في المستشفى؟»

«أحياناً آخذ يوم استراحة.» وسلك الطريق عبر الكمار وقطع الافلوديك ولاحظت أن هناك الكثير مما جذب نظرها وجعل المحادثة غير ضرورية. عندما اقتربا من لوقاردن قال الطبيب: «إن صديقي... من آل فان در برونز، تيكو وشاريتي... متزوجان منذ سنة تقريباً، وهي تنتظر طفلاً في غضون شهرين وهناك فتاتان صغيرتان من زواجه الأول. تايل وليتيسيا، إنهما توأمان وتحبان شاريتي كثيراً.

«ألا يزعجهما أن يستقبلاني دون إعلام؟»

«هذا يسعدهما. لم يمضِ على إقامتهما في فريلاند مدة طويلة. فوالد تيكو قرر أن يصفي أعماله وينتقل للعيش في دارة يمتلكها خارج سنيبك، ليست ببعيدة، فأخذ تيكو المنزل الكبير. إنه طبيب اختصاصي في لوقاردن، ويذهب بانتظام إلى أمستردام. إنه جرّاح ماهر. درسنا معاً في كلية الطب.»

«وهل تسكن بالقرب من هنا؟»

«نعم، إلى الشمال من دركوم، على بعد بضعة أميال من بحر

الشمال.» لم يعطها معلومات أوفر ولم تسأله لأنها تعتقد بأن لا مستقبل لعلاقتهما.

توقف، بعد نصف ساعة، أمام منزل آل فان در برونز. بيت ريفي كبير يقع على أرض صغيرة يحيط بها تلال من كل مكان. لاقت كريسيدا ترحيباً حاراً، بدد مخاوفها من مقابلة صديقي الطبيب. فالسيد فان در برونز رجل بضخامة الطبيب، وجهه لطيف وعيناه براقتان. وكان وسيماً أيضاً مما جعل من المفاجيء أن تكون زوجته عادية المظهر مثل كريسيدا. صحيح أنها ترتدي ثياباً تحسدها كريسيدا عليها، ومجملة بمساحيق، لكنّها على الرغم من ذلك بدت عادية. فارتاحت كريسيدا لهذا الأمر.

قبّل الطبيب مضيفته وصافح صديقه ثم قدّم كريسيدا.

قالت شاريتي: «ادخلي فالفتاتان متشوقتان لرؤيتك. أحضر الكلبين، يا ألدريك. فان سامسون سيفرح. وبعد الغداء سيتمتع بالجري معهما.»

دخل الجميع فقال الطبيب: «يجب أن أعود بعد الظهر فلدي موعد في العيادة عند الساعة الرابعة كما يجب أن أعرج على المنزل في طريقي.»

دعتها شاريتي قائلة: «هيا اصعدي معي لأريك غرفتك. أنا سعيدة لأنك أتيت فأنا لا أخرج كثيراً.» ربتت على بطنها وأضافت: «يمكننا أن نتسامر.»

«لطف منك أن تستضيفيني. أردت العودة إلى انكلترا، لكن الدكتور فان درلينوس لم يدعني.»

«إنه على حق.» فتحت باباً في القاعة في أعلى السلالم. «ها قد وصلنا. سيرتب أحدهم أغراضك بينما نتناول الغداء،

وعندما يأخذ الرجال الكلاب والأولاد للنزهة سنتعارف جيداً. إنزلي عندما تتجهزين... سننتظرك.»

عندما أصبحت كريسيدا وحدها، استكشفت غرفة النوم، الحمام، ونظرت من النافذة ثم رتبت وجهها وسرّحت شعرها. وكأنها تحلم، فاعتبرت أنه عاجلاً أم آجلاً سيأتي أحدهم ليبلغها ما سيحصل لاحقاً. هل ستمضي هنا ليلة واحدة فقط؟ وهل هناك عمل مناسب في انتظارها؟ أم عليها أن تمكث هنا لفترة أطول وتعتمد على الاعلانات المحلية والوكالات؟ ولِمَ أتى بها الطبيب كل هذه المسافة بعيداً عن الميناء؟ لن تحصل على أجوبة الآن. فهم بانتظارها في غرفة الجلوس والفتاتان معهم أيضاً. وعلى الغداء لم يتطرّق الحديث أبداً إليها، لكن بعد الطعام وعندما ذهبت شاريتي مع الطفلتين تجهزهما للخروج، وجدت كريسيدا نفسها مع الطبيب بينما كان السيد فان در برونز يتكلّم على الهاتف.

فهمست تقول له: «يجب أن أعرف ما الذي سيحصل لي. فلا يمكنني أن أبقى هنا. يجب أن تخبرني.»

ابتسم لها بهدوء وقال: «ستشرح لك شاريتي عندما نخرج، فان أصررت على الذهاب إلى انكلترا بعد عودتنا، فسأعيدك إلى لايدن وأضعك في القطار.»

ربت على كتفها وذهب إلى الممر حيث ينتظره الآخرون. نظرت إليه يخرج وهي تشعر بالخيبة. فلم يتسن لها أن تقول نصف ما يجول في خاطرها.

عادت شاريتي إلى الغرفة وقالت بمرح: «سأرفع قدميّ، استريحي على كرسي ولنتكلم.»

جلست كريسيدا وبدأت تقول: «اسمعي، أنا شاكرة لك

ولزوجك استقبالي، لكني لم أستطع أن أجعل الدكتور فان درلينوس يخبرني أي شيء...»

علّقت شاريتي: «إن الرجال متعبون، يدبرون الأشياء ويتوقعون من الآخرين وخصوصاً الزوجات أن يفهموها. هل ذكر آل تر بيمسترا؟ لا؟ حسناً، إنهم يسكنون على بعد أميال من هنا، ولديهم ستة أطفال وهم بحاجة ماسّة لمن يساعدهم. كما ترين فان فكرة الستة مخيفة قليلاً، أليس كذلك؟ لكن الأمر ليس بهذا السوء. فالثلاثة الكبار يبقون في المدرسة طوال اليوم... وهم صبيان، أما التوأمان فعمرهما خمس سنوات والصغرى ثلاث سنوات. أعتقد بأن ألدريك فكر أنه بامكانك أن تولّيهم العناية. في الواقع، فكر بهم عندما عاد إلى هولندا لكنّ نيكولا أقنعته بأنك ستكونين أسعد مع عمّتها.»

رتبت وسائدها كما يحلو لها، وأضافت: «لو عرفت لحذرته... فقد قابلت جونكفروفان جرمرت مرّة وكانت كافية. أما نيكولا فلا أتحملها. إنها متعلقة بالدريك. لا تدرين كم سررت عندما اتصل ليقول إنه سيأتي بك إلى هنا. إذا أعجبتك الفكرة سأدعو بياتريس تر بيمسترا لتأتي وتتكلم إليك. إنهم عائلة سعيدة والبيت جميل كما أنهم كرماء ويدفعون جيداً.» وأضافت بطريقتها الوديّة: «سيكون رائعاً أن تكوني قريبة منا. بامكانك المرور لشرب القهوة أو للغداء. فالتوأمان يتفقان مع توأمينا والطفلة عزيزة. والآن سأنام قليلاً بينما تفكرين بالأمر.»

أغمضت عينيها. شرعت كريسيدا، ولم يتسن لها أن تنطق بكلمة، تفكر في وضعها. لم تُخِفْها فكرة الأولاد الستة، فهي تحب الأولاد وفكرت في أنها ستحب فريلاند بأفاقها الشاسعة

وحقولها اللامتناهية. كما أنها قد ترى الطبيب من وقت لآخر مع أنها أقنعت نفسها بأن هذا لا يهم. لقد أحبت شاريتي وتيكو والتوأمين وربما يحبها آل تر بيمسترا أيضاً وتستقر عندهم. إذا ما عادت إلى لندن ستعمل عند غرباء، حتى ولو كانت محظوظة بإيجاد عمل بسرعة.

بدّد صوت شاريتي الناعم أفكارها: «هل تودين مقابلة بياتريس تر بيمسترا؟ فقط للتحدث عن ذلك.»

تنفست كريسيدا عميقاً وقالت: «أجل، لو سمحت، إذا كنت تعتقدين بأنني سأكون ذات منفعة.»

ذهبت شاريتي إلى إحدى الطاولات الجانبية قرب إحدى النوافذ ورفعت السماعة، فيما فتح الباب ودخل الرجلان والطفلتان والكلاب. اتجه الطبيب مباشرة نحو كريسيدا: «سأذهب في غضون دقائق.» ثم نظر إلى شاريتي وأضاف: «هل اتفقت مع آل تر بيمسترا؟» وعندما أومأت برأسها قال: «حسناً، أعتقد بأنك ستكونين سعيدة معهم. آسف على الوقت السيىء الذي أمضيته عند جونكفروفان جرمرت. فقد أراحني أن أعلم أنك استقريت بأمان.»

ففكرت كريسيدا أنه كمن وجد بيتاً لهرّ ضائع. فقد أصبح الآن حرّاً يغسل يديه منها، وابتلعت هذه الفكرة المرّة.

مدّت يدها تصافحه وقالت: «الوداع، يا دكتور فان درلينوس، وشكراً للطفك.» رأت الدهشة على وجهه، وتساءلت عما كان ينتظر منها أن تقول.

الفصل السادس

تساءلت كريسيدا، وهي تقف في المدخل برفقة صديقيها الجددين إن كانت سترى الطبيب ثانية. غابت سيارة البنتلي في الأفق، وعاد الجميع إلى غرفة الجلوس لشرب الشاي ولعب المنوبولي حتى يحين موعد نوم التوأمين.

صعدت شاريتي مباشرة كي تجهزهما للنوم. أما تيكو فجلس مقابل كريسيدا وقال بلطف: «أعتقد بأنك ستحبين آل تربيمسترا، فهم أصدقاؤنا. لكن إذا أزعجك شيء فلا تترددي باعلامنا. فقد وعدت ألدريك بأن أعتني بك.»

«شكراً لك، أنا أكيدة من أنني سأسعد برفقة أصدقائكم.» وأضافت بتردد: «لم أشأ أن أسأل الدكتور فان درلينوس، لكنني أتمنى أن لا أتسبب... بخلاف بينه وبين جفرو فان جرمرت.»

ابتسم لها وقال: «يمكنني أن أطمئنك بهذا الشأن.» وأضاف، وهو يقف عندما رأى شارتي تعود إلى الغرفة: «أعتقد بأنه ينوي مقابلتها هذا المساء.»

قالت كريسيدا: «آه حسناً، أنا سعيدة.» ولكنها لم تكن تشعر بأي سعادة لذلك.

جلست معهما، تستمتع بالطعام اللذيذ بينما جوللي الساقي يتسكع حولهم. شعرت كريسيدا بالسعادة لأول مرة منذ أيام... بعض السعادة، لأن فكرة رؤيتها الطبيب لآخر مرة ما تزال تلازم ذهنها. حتى وإن عاد لرؤية آل فان دربرونز فمن الصعب

أن تراه. سألت أين يسكن وقالت شاريتي: «ليس بعيداً... في الناحية الأخرى من دوكوم حوالي عشرة أميال من هنا. مكان بعيد عن الطريق، إنه يحبه، لكن نيكولا تكرهه. ولديه منزل في لايدن... حيث ذهبت... ملائم لتنقلاته الكثيرة. افترض أنه سيمكث هنا عند الميلاد؛ فقد توفي والده منذ عدة سنوات وأمه ذهبت في زيارة طويلة لإحدى شقيقاته. عنده شقيقة ثانية متزوّجة ولها أولاد. أعتقد بأن الجميع سيمضون فترة العيد معه بالاضافة إلى عمّاته وأبناء عمه. أوه، ونيكولا أيضاً متدثرة بالفرو وبهيئة الطلعة.»

ضحك زوجها بلطف وقال: «أكره أن أعارضك يا حبيبتي، لكني أعتقد بأن ألدريك سيمضي الميلاد في انكلترا... مع الليدي ميريل. ويعود في رأس السنة.»

فكرت كريسيدا بشماتة أن هذا سيخيب أمل نيكولا، لكنها استدركت، ربما ذهبت معه.

ذهبت إلى الفراش مقتنعة بأنها ستقلق معظم الليل لأن ذهنها كان مشغولاً، لكن ما أن ألقت رأسها على الوسادة حتى غفت.

ذهبت الصغيرتان إلى المدرسة برفقة والدهما الذي يوصلهما في طريقه إلى المستشفى في لوفاردن. وبما أن السيدة تر بيمسترا لن تأتي لشرب القهوة قبل العاشرة صباحاً، فقد أخذت شاريتي كريسيدا في جولة حول المنزل ولم تذكر ألدريك أبداً. لم تدر كريسيدا أكان يجب عليها أن تسرّ لذلك أم لا. فمن جهة، كلما نسيته بسرعة كان ذلك أفضل، ولكن من جهة أخرى أرادت أن تعرف المزيد عنه.

إن بياتريس تر بيمسترا امرأة شابة طويلة وحسنة المظهر

في الخامسة والثلاثين من العمر، شعرها ذهبي وعيناها زرقاوان. وتتكلم الانكليزية بطلاقة كما أن وجهها مشرق. صافحت كريسيدا ونظرت إليها باخلاص وقالت ضاحكة: «إنهم ستة أطفال... نعتقد أنهم رائعون، فقط لأنهم أطفالنا. هلا أتيت وأختبرت الوضع؟ فالصبية الثلاثة الكبار يذهبون إلى المدرسة طوال النهار. إن زوجي يأخذهم إلى لوفاردن في الصباح. وهناك طفلتان توأمان تبلغان من العمر خمس سنوات. وأخيراً لوسيا ولها ثلاث سنوات فقط... وندعوها بيبي.»

أحضر جوللي القهوة، وجلست النسوة الثلاث لمدة ساعة بينما شرحت بياتريس لكريسيدا ماهية عملها. وقالت: «إن وجدت أن ذلك كثير فأخبرينا. إذ ما تزال معنا المربية، وهي تهتم بلوسيا إلى حد بعيد. وبالطبع فنحن لا نتوقع أن تفعلي شيئاً غير الاعتناء بالأطفال، ومحادثتهم بالانكليزية وأن تكوني جاهزة للعب معهم والخروج في نزهات وإلى ما هنالك.» ثم ابتسمت لها وسألتها: «هلا جرّبتِ ذلك؟»

لقد أحبتها كريسيدا وفكرت بأنها ستنشغل لدرجة لن تجد معها الوقت للضجر. إلى جانب ذلك فإن الأجر مغرٍ، مما سيمكنها من الادخار. وستكسب الخبرة وتتعلم الهولندية. عندما تجهز يمكنها أن تعود إلى انكلترا. إنها لا تدري ماذا ستفعل عندما تعود، ولكن ذلك كان هدفاً تطمح إليه.

قالت: «أجل، سأجرّب لو سمحت. متى تريدين أن أبدأ؟»

قالت شاريتي بسرعة: «أرجوك دعيها تبقى عندنا اليوم أو يومين، فقط لما بعد مجيء سانتا كلوز، أي بعد يومين.»

وافقت بياتريس تر بيمسترا بسرعة، وقالت: «إن هذا سيعطيك أسبوعين من الوقت قبل أن تبدأ عطلة الصبيان. إن

التوأمين ستبدآن المدرسة في السنة الجديدة ومع أننا لن نرسلهما قبل منتصف الفصل فإنهم سيكونون جميعهم في البيت خلال عطلة الميلاد.» وأضافت باهتمام: «هل تحبين المشي وركوب الدراجات؟ حسناً... عندنا دراجة اضافية... إن الأولاد يقطعون أميالاً على الدراجات.»

نهضت لتذهب وقالت: «أرجو أن تكوني سعيدة جداً معنا. سنفعل ما في وسعنا لنشعرك بأنك في بيتك.»

صافحت كريسيدا وقبّلت شاريتي ثم انطلقت بسيارتها الصغيرة.

قالت شاريتي بارتياح: «غداً، سنذهب إلى لوفاردن ونتبضع ليوم سانتا كلوز... فهو يأتي إلى القرية رجلاً يتقمص هذه الشخصية ونذهب جميعنا لمقابلته. إن الأولاد يحبون ذلك؛ فهو يوزع عليهم البرتقال والحلوى، ويضعون أحذيتهم قرب الموقد ليترك لهم فيها شيئاً. تعالي معي إلى المطبخ فسأكلم السيدة جوللي بشأن العشاء. سيأتي تيكو والأولاد إلى الغداء.»

لولا الدغدغة المستمرة التي تشغل ذهنها بالتفكير بالدريك لكانت كريسيدا سعيدة تماماً. شعرت وكأنها في بيتها... ليس فقط مع آل ڤان دربرونز، بل مع الطبيعة من حولها والهدوء. لم تكن لوفاردن بعيدة، لكن هذا البيت القديم الجميل محاط بالحقول التي فرغت الآن من الأبقار بسبب الشتاء وتجمد ماء القناة. وليس ببعيد، تحجب الأشجار العارية سطوح القرية المائلة وكنيستها. قدرت أنها ستسعد هنا. وبالفعل فقد كانت سعيدة طيلة ذلك اليوم برفقة الفتاتين الصغيرتين، وشاريتي وتيكو.

كانت شاريتي تملك سيارة ميني صغيرة. قادتها كريسيدا في صباح اليوم التالي إلى لوفاردن. كانت مدينة جميلة، بيوتها قديمة ساحرة. فوعدت نفسها بأن تستكشفها لاحقاً في أحد أيام عطلتها. ثم لحقت بشاريتي في جولة على المخازن.

ما تزال تحتفظ ببقية المئة جنيه، وبما أنها ستكسب مبلغاً كبيراً في المستقبل القريب فقد اشترت شوكولاته لتايل وليتيسيا. وبناء على إلحاح شاريتي أشترت لنفسها سروالاً ضيقاً إذ قالت لها: «إذا ما أردت ركوب الدرّاجة مع الأولاد فإنك ستحتاجينه. وهل دفعت لك تلك السيدة؟»

«لا، فقد أمضيت عندها أقل من أسبوعين. لن أهتم لذلك لدي ما يكفيني من المال لحين أقبض ماهيتي.»

عادتا محملتين بالهدايا: أساور للتوأمين ووشاح للسيدة جوللي وعلبة سيجار لجوللي وربطة عنق حريرية لتيكو إلى جانب علب الحلوى والفواكه المجففة وقالب حلوى شوكولا فاخرة، فوجدتا الأولاد وتيكو، الذين انتهوا من تناول الغداء.

شعرت كريسيدا، وهي تصغي للثرثرة السعيدة بحنين جامح للسعادة، وتمنت أن تستلم عملها الجديد بسرعة عند آل تر بيمسترا كي تجد ما يشغلها عن التفكير.

عاد تيكو باكراً في اليوم التالي وأقلهم جميعاً إلى القرية لمشاهدة سانتا كلوز على صهوة فرسه الناصعة البياض، وإلى جانبه مساعده زڤارت بيت، وهما يدخلان القرية ويتقبلان بوقار التهاني من الجميع. ثم يتابعان إلى ساحة القرية حيث يلقي عظة للأولاد ويقرأ أسماءهم من لائحة يحملها، فيذهب كل منهم إليه ليسأله إذا كان ولداً صالحاً، وبما أن الأسطورة تقول إن زڤارت بيت سيضع الولد الشقي في الكيس الذي يحمله على كتفه، كانوا

www.rewity.com

جميعهم صالحين، يعودون منتصرين إلى أهلهم وهم يقبضون على البرتقالة وكيس الحلوى. ذهبت تايل وليتيسيا بدورهما ثم شاركتا في الغناء عند رحيل سانتا كلوز، ممتطياً فرسه. انضمت كريسيدا لذلك الاحتفال البسيط، لكن ما يزال هناك المزيد من الحلوى، اكدت لها الطفلتان، وهم في طريق العودة. وما كادوا ينتهون من شرب الشاي حتى سمعوا طرقاً مدوياً على الباب، ثم قدم جوللي يحمل كيساً صغيراً وأعلمهم أن القديس نقولا مرّ منذ لحظات وتركه، مذكراً الطفلتين أن تتركا حذاءيهما في الخارج، قبل أن تصعدا للنوم، وتضعا داخلهما قليلاً من العشب لحصانه.

فتح السيد فان دربرونز الكيس، وأخذ بتوزيع الهدايا، التوأمان أولاً، عدّة علب مغلفة لكل منهما. ثم هدايا لجوللي والسيدة جوللي. ومغلف لكريسيدا فتحته فوراً، وشاهدت أنه يحوي على قفازين من الجلد الناعم الموشح بالحرير، كان أنيقاً ودافئاً. فقالت لها شاريتي: «اشكري سانتا كلوز، فكلنا يفعل ذلك.»

ثم أتى دور شاريتي فظهر تحت غطاء علبة مخملية صغيرة قرطان ماسيان. فشكرت سانتا كلوز، وابتسمت لتيكو مسرورة لدرجة جعلت كريسيدا تشعر بغصة في حلقها. وأخيراً جاء دور تيكو. فأعجب بربطة العنق، وأثنى على ذوق سانتا كلوز ثم وعد بأن يعقدها على عنقه في ذلك المساء بالذات وقد أشار إلى شاريتي لتنوه بأن أصدقاء سيأتون للعشاء. فقالت بسرور: «سأرتدي القرطين. ومن الأفضل أن نسرع في تحضير أنفسنا قبل أن يصلوا.» ونظرت إلى زوجها: «هل تعتقد أن سانتا كلوز سيقبل أن تتعشى الفتاتان معنا؟»

«سيكون العدد كبيراً لدرجة أن أحداً لن يلاحظ وجود

شخصين إضافيين. لكن لتحسنا التصرف. فالجدّ والجدّة سيكونان هنا.»

افترقوا كلٌ في طريقه. ارتدت كريسيدا ثوبها الرمادي الذي يفي بالغرض. جملت وجهها بعناية وسرّحت شعرها باهتمام. وهي تفكر بما يفعله الطبيب الآن.

كان الدكتور فان درلينوس في المستشفى في لايدن يسعى جهده لينعش رجلاً عجـــوزاً سقط في الشارع بعد الظهر. يجب أن يكون في لاهاي عند نيكولا حيث يقيم أهلها حفلة عشاء، لكنه طلب من أحد مساعديه أن يتصل هاتفياً ويبلغهم أنه قد يتأخر ومن المحتمل أن لا يذهب أبداً. بعد ذلك لم يفكر بالأمر بتاتاً؛ فقد انهمك بمريضه. صدم الشاب الذي نقل رسالة الطبيب من حدة نبرة الصوت الذي أجابه. كان عليه أن يبلغ الدكتور فان درلينوس أن غيابه غير مناسب وأنه غير مبال. وأقفلت السماعة قبل أن يستطيع الشاب النطق بكلمة أخرى. فعاد وأخبر الطبيب بأنه بلّغ رسالته فقط. فلو كانت من اجابته هي الفتاة التي ترشحها الأخبار في المستشفى للزواج منه، فإنه مقتنع بأنها لا تناسبه. فالطبيب محبوب ومحترم، وهو صبور ولطيف مع الجميع. ويستحق أفضل منها.

عاد الطبيب إلى بيته أخيراً. فتعشى وحيداً ثم أرسل مايز إلى غرفتها، وخرج يتمشى مع الكلبين. كان الطقس بارداً والغيوم تحجب القمر، فمشى بنشاط. كان متعباً لكنه مسرور لأن مريضه سيتعافى. لم يفكر أبداً بنيكولا، لكنه تساءل وهو يدخل إلى البيت برفقة الكلبين عما تفعل كريسيدا. فتمتم يكلم نفسه فيما دخل الكلبان إلى المطبخ: «بالتأكيد ستكون في سريرها نائمة.»

كانت فعلاً في السرير، لكنها ليست نائمة. فقد كانت تفكر به.

أمضت أمسية سعيدة. إن لتيكو عائلة كبيرة، والدان واخوة وأخوات ومعهم أولادهم أيضاً. كان العشاء فاخراً. فتأملت كريسيدا الطيبات، الكركند اللذيذ والحبش المشوي والمشروبات اللذيذة وحلوى بالأيس كريم رائعة. وقد قصدهم عدد من الأصدقاء بعد العشاء. من المؤسف أن الطبيب ليس معهم أيضاً، واعتبرت انه يمضي الوقت مع نيكولا، وفكرت وهي تغفو، لابأس مادام هو سعيداً... استيقظت في الليل حزينة ووحيدة كمن فقد شيئاً غالياً. قالت لنفسها: ما هذا الهراء؟ فربما كان السبب حلماً منسياً ولّد فيها هذا الشعور بالفقدان. وكانت ساعات الفجر كئيبة ومظلمة. فعاودت النوم بصعوبة. وعندما استيقظت حزمت أمتعتها لأن آل تر بيمسترا سيأتون إليها قبيل العاشرة صباحاً.

ودّعت تيكو على الافطار وقبلت الطفلتين التوأم ووعدت بأنها ستعود لزيارتهم في أقرب وقت ممكن. ثم جلست تشرب كوباً ثانياً من القهوة برفقة شاريتي.

«سنراك في الميلاد أو قبله. قد يكون منزلنا منعزلاً قليلاً، لكننا اجتماعيون جداً. آمل أن يأتي ألدريك إلى جانسلوم... فتيكو يقول إنه عند جدته في انكلترا، لكنه متأكد من عودته عند رأس السنة. فهو يتنقل ذهاباً وإياباً بسهولة من يستقل الحافلة يومياً، إذا فهمت ما قصدي.»

كانت السيدة تربيمسترا دقيقة في مواعيدها؛ فبعد وداع وتردد ركبت كريسيدا في السيارة إلى جانب سيدتها الجديدة وقد اثلج قلبها، عندما أسرت السيدة عن همها: «خفت أن تعيدي النظر في الأمر، فإن ستة أطفال... يجعلون البعض يترددون.»

طمأنتها كريسيدا قائلة: «لا أعرف الكثير عن الأمر لكنني فكرت مراراً بأن تسلية عدد من الأطفال أسهل من تسلية طفل واحد. وهم لا يضجرون أبداً...»

كانت الرحلة قصيرة. والبيت حيث وصلا بدا مبهجاً، أصغر من بيت آل فان در برونز لكنه محاط بمساحة شاسعة. فما أن ترجلتا من السيارة حتى فتح الباب وخرج الأولاد والكلاب لاستقبالهما.

قالت السيدة تر بيمسترا: «سكث الصبيان في البيت خصيصاً لاستقبالك، وسيأتي زوجي للغداء أيضاً ويصطحبهم إلى المدرسة بعد الظهر. والآن سأقدمهم لك. وليام ابننا البكر، جاكوب، فريزو، والتوأمان سبكه وغالسكه، والطفلة لوسيا إنهم يتكلمون القليل من الانكليزية، وأتمنى أن تكلميهم بالانكليزية دائماً، يا آنسة بريس... هل أدعوك هكذا؟»

«أفضل أن تدعيني كريسيدا، والأولاد أيضاً. فلقب آنسة يجعلني أبدو مربية مسنة.»

صافحت الأطفال على التوالي، أولاً وليام، عمره إثنا عشر عاماً، ولدّ رزين، مدرك بانه الأكبر. ثم جاكوب الأصغر منه بسنتين، وجهه جميل مستدير وشعره ذهبي، وفريزو الذي يشبهه، وعمره ثماني سنوات. أما التوأمان، بعيونهما الزرقاء وضفائرهما الشقراء، فبدتا أكبر من عمر خمس سنوات، وكانتا تمسكان بلوسيا التي بدت كملاك بخصلات شعرها الذهبية. وعندما وصل دورها رفعت لها وجهها لتقبلها وهتفت مرحبة بكريسي.

قال وليام: «سندعوك كريسي.» ووافق الجميع معه. وعندما اعترضت والدتهم، قالت كريسيدا: «أظن أنها فكرة رائعة، فهذا أسهل من كريسيدا، أليس كذلك؟»

دخلوا جميعهم إلى المنزل عبر ممر تعلوه قبة وإلى غرفة سقفها مرتفع، حيث توجد نوافذ في كل طرف من أطرافها، أثاثها مرتب وتعمها الفوضى بسبب الكتب والألعاب. أزاحت السيدة تر بيمسترا بعض المجلات عن اريكة واسعة وأمرت كريسيدا بالجلوس قائلة: «إن الغرفة ليست نظيفة، لكن غرفة اللعب والحضانة بعيدتان في أعلى المنزل، هل فهمت؟ ولكن بما أنك هنا فسيبقى أحدٌ معهم. إن الفتيان بعمر يسمح أن يذهبوا معاً للركوب على الدراجة. فقد أصبح لوليام غرفة منفردة. أما الفتيات الصغيرات فلا يخرجن بمفردهن.»

جلست بقرب كريسيدا، وقالت: «فلنشرب القهوة أولاً ثم تشاهدي غرفتك وتقابلي الجميع.»

أحضرت امرأة طويلة القهوة فقالت السيدة تر بيمسترا: «هذه لايكه، إنها لا تتكلم الانكليزية، لكنها ستساعدك قدر الامكان.»

صافحت كريسيدا لايكه التي ابتسمت لها بوجهها القاسي. نظرت كريسيدا حولها فشعرت أنها ستكون سعيدة.

جاء السيد تر بيمسترا للغداء. رجل ضخم، ويكبر زوجته بعدة سنوات لكنه بشوش. انقض الأولاد عليه معاً وهم يتكلمون بينما قدّمت زوجته كريسيدا. صافحها مبتسماً، وقال: «إننا مسرورون لاستقبالك، يا آنسة بريس، ونأمل أن تسعدي بيننا؛ كما ستكونين مشغولة جداً...»

لاحقاً وفيما جلست على سريرها كتبت كريسيدا رسالة لموغي مستعيدة نهارها. كان ملياً فلم تضع لحظة واحدة منذ أن أرشِدَت إلى غرفتها؛ مكانٌ صغير دافىء، مؤثث بأناقة، ومنظر يطلّ على المراعي الشاسعة. ثم وبصحبة الأولاد الستة

ذهبت في جولة داخل المنزل. لقد أروها الأولاد كل شيء، فغرفهم قريبة من غرفتها. وفي نهاية ممر طويل يوجد غرفة كبيرة للعب إلى جانبها غرفة أصغر تستعمل كغرفة حضانة لبيتي. فقابلت هناك مربية لوسيا، امرأة مسنّة تمعنت بكريسيدا بعينيها بتهذيب وحذر. فكّرت كريسيدا بأنها خائفة من أن تغتصب مركزها، وهذا ما لم يكن في نيّتها. حاولت أن تُفهم المربية ذلك بمساعدة وليام الذي بذل جهده وهو يفسر لها. وقد سرّت عندما رأت أن المربية قد استرخت فوراً.

كان من الواجب التحدّث بالانكليزية أثناء الطعام؛ فالغداء كان مفرحاً وهي تشجّع، وتصحّح، وتقوم بخجل على تحسين طريقة نطقهم. بعدها ذهبوا إلى القرية جميعاً، باستثناء لوسيا، لشراء الطوابع من مكتب البريد. وتحدّوها أن تجرب لغتها الهولندية، والتي وصفها وليام بوقار، أنها سيئة.

عند نهاية اليوم كانت عملية ايوائهم للفراش مهمة صعبة. لذا فعندما نزلت أخيراً سرّها أن تقترح عليها السيدة تر بيمسترا أن تأوي إلى الفراش بدورها. واعتبرت بأنها ربما كانت فكرة حسنة عليها أن تتبعها كل مساء إذ يمكنها أن تكتب الرسائل، أو متى استقرّت يمكنها أن تقوم بأعمال إضافية في غرفة اللعب.

رتبت وسائدها بطريقة مريحة وفكّرت بيوم عطلتها. سيكون نهار الخميس لأن الفتيات يذهبن إلى صف الرقص بعد الظهر بينما يأخذ الفتيان دروساً في المبارزة. فيمكنها إذا رغبت أن تذهب مع السيد تر بيمسترا إلى لوفاردن بعد الافطار وأن تعود ساعة تشاء. فهناك حافلة تعبر القرية عند المساء. وإن فاتها الرجوع، يمكنها أن تتصل هاتفياً فيأتي أحدٌ لأخذها. كما أن آخر نهاية أسبوع من الشهر ملك لها أيضاً. إذ يمكنها أن تبقى

في البيت أو تخرج يومياً أو تمضي عطلة نهاية الأسبوع في الخارج. وقالت السيدة تربيمسترا بلطف: «أظن أن شاريتي تحب أن تستقبلك.»

قرّرت أن تذهب إلى لوفاردن، وتقوم بجولة استكشافية. وبما أن الميلاد سيحصل في غضون أسبوعين فستشتري هدايا صغيرة، وبطاقات معايدة لموغي، وشقيقتها، والسيد تيمز، وشاريتي، وتيكو، وكوك، وللدكتور فان درليتوس. وتساءلت عما يفعل وتخيلته برفقة نيكولا. وسمحت لمخيلتها أن تشرد، فإن نيكولا ستتألق بلباسها وتبدو أجمل من العادة بضحكتها الرنانة، وتسأله متعاطفة عن عمله بطريقة تضحكه. فانتاب كريسيدا فجأة شعور بالنفور من الفتاة، فهي لا تناسب الطبيب وهو ساذج لدرجة لا يرى معها ذلك. وتمتمت حسناً، فليقض على مستقبله. وتناولت قلمها ثانية لتكتب إلى موغي صفحات من الأخبار السارة.

اندمجت سريعاً مع أهل المنزل، وساعدها في ذلك توجيهات السيدة تر بيمسترا وتشجيع الأولاد. كانت أيامها مشغولة لأن الأولاد كانوا دوماً حولها مع الحاجة إلى محادثتهم بالانكليزية، وأحياناً القراءة لهم. قرّرت منذ اليوم الأول أن تتعلم ما في وسعها من الكلمات الهولندية. وكم فاجأها سهولة التفاهم مع الأولاد. وبما أنه عليها أن تتكلم معهم بالانكليزية فلم تغامر بتجربة معرفتها للهولندية أمامهم. لكنها كانت تستمع إليهم وتختبر معرفتها لبعض الكلمات مع الخدم ورئيس الطهاة في المطبخ، غير مكترثة إن لم يفهم عليها أحد.

كانت واجباتها، بعيداً عن الأولاد، بسيطة. فكانت ترتب سريرها، ولم يطلب منها أحد أن تقوم بمهمات إضافية مع أن هناك الكثير من التصليحات وكي ثياب الأولاد. لكن أيامها كانت مشغولة تماماً وهي تحاول تسلية ستة أولاد عندما لا يكونون في المدرسة. فهي تتأكد من أنهم استحموا ونظفوا شعرهم، وضمدوا ركبهم المجروحة وتساعدهم في دروس الانكليزية. إن الصبيين الكبيرين يجلبان معهما فروضاً كثيرة، وبما أنها تعرف القليل عن قواعد اللغة اللاتينية، والجبر والهندسة فقد ارتقت في نظرهم. كانت علاقتها أوثق بفريزو والفتاتين. فقد كانت لغتهم الانكليزية بدائية. فهم في عمر يكون فيه العلم مملاً. ومع ذلك، فبمرور الأسبوع الأول ابتكرت عدة طرق لتجعل لهم الدرس أمتع، فتأخذهم في نزهات أو لركوب الدراجات طالبةً منهم أن يسموا لها الأشجار والأزهار وأي شيء آخر يرونه، ومن ثم يترجمونه إلى الانكليزية. أما بيبي فلم تشكل أي عقبة فقد كانت مربيتها تتنحى عن مهمتها، فتهملها من وقت إلى آخر، مما أتاح لكريسيدا تلقينها بسرعة، إذ كانت سعيدة بتعلم أي لغة جديدة.

انقضى الأسبوع. فاتصلت بها شاريتي مساء الأربعاء تدعوها لقضاء يوم العطلة معهم فقالت لها: «سآتي لأحضرك، وسيعيدك تيكو بعد العشاء. سأصل في التاسعة والنصف فكوني جاهزة.»

تحسن الطقس وصفت السماء مع ريح قارصة وجليد على قنوات جسر المياه. فارتدت كريسيدا معطفها وقبعتها الصوفية والمشلح الذي اشترته في لايدن، وودعت آل تر بيمسترا، ثم صعدت إلى سيارة شاريتي.

www.rewity.com

سألتها عندما انطلقتا: «أينبغي أن تقودي السيارة؟»

«لقد وعدت تيكو بأن لا ألمس السيارة ثانية إلى ما بعد ولادة الطفل فهو لجوج...» وبدا ذلك كأنه مديح.

قالت كريسيدا: «يمكنني أن أقود السيارة عنك.»

«آه شكراً... سنذهب للتبضع معاً. فأنا أحب الميلاد، وأنت ألا تحبينه؟» تخطت شاريتي شاحنة بحذر، وأضافت: «هل تحبين عملك؟ فآل تر بيمسترا مسرورون بك... لقد أخبرتني بياتريس بذلك في الأمس عندما اتصلت بها.»

«إنه لأمر رائع. فهم لطفاء وليس علي أن أقوم بأعمال منزلية.»

«أمل ألا تفعلي. لست أدري ما دهى ألدريك ليرسلك إلى تلك المرأة الرهيبة.»

«حسناً، فإن كان مغرماً بنيكولا، واقترحت إرسالي فقد أعتبر أن ذلك أمر جيد.»

«لكنه ليس مغرماً بها، فهي متعلقة به، بينما هو منشغل عنها في عمله ولا يفعل شيئاً في هذا الموضوع.»

ابهجت هذه المعلومات الجديدة قلب كريسيدا فقالت: «آه، أتظنين ذلك؟» كانت تريد أن تتابع الموضوع، لكنهما وصلتا إلى منزل شاريتي. فخرج جوللي ليأخذ السيارة ويوقفها في المرآب، طالباً منهما أن تسرعا، قائلاً: «إن السيدة جوللي قد جهّزت القهوة، يا سيدتي، وهناك نار دافئة في غرفة الجلوس الصغيرة.»

كان هناك الكثير لتتحدثا عنه، الميلاد، وما سيفعل الأولاد خلال العطلة: «إن عائلة تيكو ستأتي في عيد الميلاد، وبالطبع سنقيم مأدبة فهلا أتيت...؟»

«هل سأفعل؟ لتفترض أن آل تر بيمسترا يريدون الخروج؟ فيجب الاعتناء بالأولاد.»

«سيأتون أيضاً. ومربية بيبي ستأتي وخادمتنا رائعة مع الأولاد، كما يمكننا أن نراقبهم. ستوفر لهم غرفة يلعبون فيها وأكل خاص بهم. فتيكو يقول إنهم لطالما فعلوا ذلك. وهم ينضمون إلى الكبار عندما يحين موعد توزيع الهدايا.»

«ألن يكون ذلك كثيراً عليك؟»

سكبت شاريتي المزيد من القهوة وقالت: «أنا؟ لا، أبداً. خاصة بوجودك وحضور شقيقات تيكو والسيدة جوللي وتر بيمسترا. سيكون ذلك ممتعاً.»

ثم نظرت إلى كريسيدا، وقالت: «آسفة، إن ألدريك لن يكون هنا. فهو رائع مع الأطفال.» ثم تنهدت وأضافت: «أعتقد بأنه إذا نجحت نيكولا في الزواج منه فسترزق بعدد من الأطفال الشبيهين لها...»

«لا تبدو أنها تحب أن ترزق أولاداً ولا حتى بواحد.»

«إن ذلك لن يناسب ألدريك. فقد قال لي مرة إنه يحب أن ينشىء عائلة كبيرة عندما يتزوج.» ثم نهضت وقالت: «تعالي وشاهدي غرفة الحضانة. فقد أصبحت جاهزة... لقد ساعدتني الفتاتان واستمتعنا كثيراً. تيكو ما يزال يحضر الخشاخيش ودببة الفرو...»

أمضيتا ساعة، استمتعت فيها كريسيدا بمشاهدة كل شيء قبل أن تذهب إلى غرفة شاريتي وتجرب قبعاتها. نزلتا لتناول الغداء، وما أن وصلتا إلى الردهة حتى فتح الباب ودخل تيكو برفقة ألدريك.

قبل تيكو زوجته قائلاً: «مرحباً، يا عزيزتي، وكريسيدا

أيضاً. ألدريك سيذهب إلى جانسلوم لذا دعوته للغداء.»

رفعت شاريتي وجهها ليقبلها ألدريك وقالت: «كم هذا جميل، فكريسيدا هنا تمضي يوم إجازتها معنا.»

صافحته كريسيدا وهي تبتسم، شاعرة بالفرح لرؤيته ثانية. فأخذ يدها بيده الكبيرة وانحنى يلثم وجنتها. وقال لها: «إن هذه لبهجة غير متوقعة.» حول تيكو نظره عنهما، وهو يطوق زوجته. فأضاف الطبيب: «كنت أتساءل كيف تتدبرين أمرك؟»

احمر وجه كريسيدا. فقد تمتعت بلثمته ولكن يجب عليها أن لا تتأثر بها. فقالت له: «أنا سعيدة جداً، فالكل لطفاء والأولاد أعزاء جداً.»

تردّدت في اخباره عن أدق تفاصيل أيامها، فهذا قد يضجره وعوضاً عن ذلك قالت بتهذيب: «آمل، أنك لم تنشغل كثيراً.»

لم ينم الطبيب تلك الليلة بعد أن أمضى يوماً طويلاً في مستشفى أمستردام، لكنه طمأنها بأنه لم ينشغل أبداً. واقترح تيكو أن يذهبوا جميعاً إلى غرفة الجلوس لتناول الشراب قبل الغداء.

قالت شاريتي: «ستصل تايل وليتسيا بعد دقائق. فقد ذهبت السيدة جوللي لاحضارهما.»

كان الغداء مرحاً، وطغى موضوع عيد الميلاد على محادثتهم ولم تتكلم الطفلتان سوى عن ذلك. فقال تيكو على الفور: «سأرى بعض المرضى وأعرج على المستشفى. وسآخذ هاتين الفتاتين في طريقي. فقولي لجوللي أن يحضرهما من المدرسة، يا حبيبتي، هلا فعلت؟ سأعود حوالي الخامسة.» خرجت الفتاتان لتتحضرا للذهاب. وفيما كانت

شاريتي تنهض أيضاً، قال لها زوجها: «وهكذا يكون باستطاعتك أن ترفعي قدميك عزيزتي.»

قال ألدريك: «في هذه الأثناء سآخذ كريسيدا إلى جانسلوم. سأعطيها فرصة لترى شيئاً من البلد.»

كانت كريسيدا تساعد شاريتي في إلباس الطفلتين معطفيهما. فقالت من وراء كتفها: «هذا لطف منك، يا دكتور، لكن سأكون سعيدة إذا بقيت هنا، وقرأت فيما شاريتي ترتاح.»

قال لا مبالياً: «لست لطيفاً. فتيسكه... مدبرة منزلي... صنعت حلوى ولا يمكنني أن آكلها كلها وحدي، إلى جانب هذا فإن الكلبين معي... لقد جلبتهما الليلة الماضية.» أضاف بعزم: «إن سيزار بحالة حسنة ففكرت أنك تودين رؤيته... ومابيل، بالطبع.»

«حسناً، أود ذلك... شكراً لك. سأتي...»

قالت شاريتي: «ستستمتعين بالرحلة. وعودا للعشاء في السابعة لأن على كريسيدا الذهاب في العاشرة.»

نظر زوجها إليها بمحبة وقال: «يا عزيزتي، إننا سننفذ ما تأمرين به، ولكن إن لم ترتاحي لمدة ساعتين على الأقل فسأضربك عندما أعود.»

ضحك الجميع وقال ألدريك: «احضري معطفك، يا كريسيدا، فإننا ذاهبان.» ثم صافح شاريتي وهو يقول: «شكراً على الغداء، يا عزيزتي.» وانحنى يقبّل وجنتي الفتاتين وقال لهما شيئاً، جعلهما تهرعان إلى الردهة وتبحثان في جيب سترته لتجدا الواح الشوكولا التي أحضرها لهما. فكرت كريسيدا، وهي تعقد وشاحاً على رأسها، كم أن الجميع سعداء. وهي سعيدة أيضاً، ربما لأنها استقرت والجميع لطفاء معها.

وفيما كانت تجلس بقرب الطبيب وهو يقود سيارته على طريق ترابي بين المزارع والمراعي قالت: «أخبرتني شاريتي أنك ستذهب إلى انكلترا خلال عطلة الميلاد. فهل تذهب كل سنة؟»

قاد السيارة في طريق ضيق، وقال: «عادة أفعل. فجدتي مسنة ولا يمكنها السفر إلى هنا. أمي تمضي الميلاد معها، ولكنها تزور إحدى شقيقاتي. فأنا لا أحب أن تكون السيدة العجوز وحدها.»

«هل ستأتي في رأس السنة؟»

«أجل، بالطبع.»

«أتوقع أنك ستتزوج!»

أجابها بجفاء: «خطرت لي الفكرة. أيجب أن أسرّ باهتمامك، يا كريسيدا؟»

أشاحت نظرها عنه نحو نافذة السيارة وقالت: «هل كنت فضولية؟ أنا آسفة... كنت أحاول التحدث فقط.»

استدار وابتسم لها: «بالتأكيد لا لزوم لذلك، فدعينا نتكلم عوضاً عن ذلك. أتساءل إن كنت ستحبين بيتي... لقد وصلنا تقريباً، فأمامنا مسافة ميل. نحن قريبان من البحر الآن. في طريق عودتنا سنسلك طريق دوكوم. هل ستكونين حرّة كل خميس؟»

«أعتقد ذلك ومرة في الشهر...» وتوقفت فجأة كي لا تخبره بأنه سيكون لها عطلة نهاية اسبوع.

أسرع يسألها: «مرة في الشهر؟»

تمتمت: «لا شيء، لا شيء مهماً.» واحمر وجهها، ففكرة اخباره عن عطلة نهاية الشهر... قد توحي له بأنها تبحث عن

دعوة لتخرج معه. فإنه لطيف لغاية أنه قد يتجاوب معها برغم إرادته. وتذكرت كم تكبد من أجلها. فقالت بسرعة: «سأذهب مع شاريتي للتبضع. فالبقاء معها رائع، وقد خططت لتنفيذ الكثير.»

لم يجبها. فبحثت عن موضوع ملائم للحديث، بينما اتسعت الطريق أمام ساحة قرية صغيرة تحيط بها الأكواخ، وكنيسة، ومتجران، ومدرسة.

قال الطبيب: «جانسلوم، ها أنا في طريقي إليك!»

كانت كريسيدا تنتظر أن ترى بيتاً ريفياً صغيراً مع حديقة جميلة، فاندهشت عندما عبر بوابة مفتوحة بين عمودين مرتفعين وسلك بين أشجار عارية. ثم انعطف مباشرة فظهر المنزل.

قالت كريسيدا لاهثة: «أتعيش هنا بمفردك؟»

فقال مجيباً: «ليس تماماً. وبالطبع لاحقاً...»

«عندما تتزوج.» خرج وفتح لها الباب. وقفت إلى جانبه تنظر إلى المنزل بجدرانه البيضاء ونوافذه الطويلة والتي تضيق كلما علت نحو السطح. كان الضوء ينبعث من الغرف في الطابق السفلي وفيما هي تنظر، فتح الباب ورأت الممر يتألق بنور مصباح خافت.

قالت وكأنها تكلم نفسها: «إنه آية في الكمال، ولائق تماماً.»

www.rewity.com/vb
Rewity Arabic Forum

الفصل السابع

لم يقل الطبيب شيئاً، لكنه ابتسم قليلاً وهو يدفعها إلى الداخل. فقال عندها: «اقدم لك فستر الذي يعتني بالمنزل مع زوجته تيسكه الطاهية، لولاهما لغرقت من دون أن أترك أي أثر.»

ابتسم فستر بحذر وصافح كريسيدا.

نظر الطبيب إلى ساعته، وقال مفسراً: «دعوت الآنسة بريس لشرب الشاي. وأمامنا متسع من الوقت فهل تودين مشاهدة المنطقة، يا كريسيدا؟»

«أجل، أرجوك.»

«لقد حلّ الظلام، لكن ضوء القمر، سيساعدنا على الرؤية. تعالي من هنا...»

قادها إلى جانب المنزل. فنزلا عدّة درجات وعبرا الخميلات حتى وصلا إلى بوابة فسألها: «هل تحبين الخيل؟»

«الخيل؟ أنا؟ أجل، أحبها. فقد اعتدت ركوب الخيل برفقة أبي عندما كان حيّاً، لكن زوجة أبي باعت فرسه ومهري.» انحنت تداعب أذان سيزار ومابيل الراكضين بقربها. فالذكرى ما تزال تؤلمها.

دعاها الطبيب بمرح، وهو يصفر: «انظري إلى ذلك.» ظهر حيوانان ضخمان يعدوان قرب البوابة وتبعهما حصان صغير وحمار.

«بحق السماء... ما هذا الحجم؟ إنها من فصيلة البرشرون، أليس كذلك؟ هل تستخدمهما للعمل؟»

«فقط في الفلاحة ونقل القش. إنهما مسنان... حصلت عليهما من أحد الدلالين... إذ يوجد هنا مكان واسع لهما وهما يستحقان سنتين من الراحة.»

ربتت على أنفيهما الكبيرين بلطف وقالت: «وماذا عن الحصان الصغير والحمار؟»

«وجدتهما هنا. فالحصان عجوز جداً. وقد تصادق مع الحمار بسرعة.» وأشار إلى آخر الحقل عبر البوابة وأضاف يقول: «إن الاسطبلات موجودة هناك. ولدي فرس امتطيها عندما أكون هنا... لقد أدخلت إلى الاسطبل الآن... وبعد قليل سيدخل الولد الأربعة الباقية.»

ناولها قطعاً من السكر فقالت كريسيدا: «آه، هل أستطيع...»

ناولها بقية السكر وخلعت قفازها لتقدّمها بدورها فسألته مستفسرة: «كيف تتحمل أن لا تقيم هنا؟»

ابتسم لها مجيباً: «حسناً، فلدي عملي. وهولندا بلد صغير ولدي سيارة.» وصمت عندما رأى فتى قوي البنية يتجه نحوهما فقال: «هذا ويغبالد.» ونادى الفتى الذي كلّمه بلهجة أهل الشمال، فردّ عليه الطبيب باللهجة نفسها قبل أن يستطرد قائلاً باللهجة العادية: «هذا ويغبالد، يا كريسيدا، إنه يعتني بالاسطبلات ويقوم بالحراثة وأعمال أخرى صعبة. سوف يصبح مزارعاً جيّداً عندما يكبر.»

عاد يكلّم ويغبالد الذي تقدّم نحوهما وصافحها من يدها الممدودة بقوة. فقالت كريسيدا مبتسمة: «يسعدني لقاؤك.» وأملت أن يفهم أنها مسرورة للقائه. ويبدو أنه فعل لأنه ألقى

خطاباً طويلاً لم تفهم منه كلمة واحدة. ثم ضرب الحيوانين بلطف على إردافهما الضخمة وعاد إلى الاسطبلات يتبعه المهر والحمار.

نظرت كريسيدا نحوه والحيوانات تتهادى بمشيتها بعظمة حتى وصلت إلى الاسطبل. فقالت: «اسم مضحك ويغبالد... كيف تتهجأه؟»

أجاب الطبيب: «إن أسماء أهل الشمال غريبة عن المعتاد ونحافظ عليها ضمن العائلة كما هي.» أخذ ذراعها معلقاً: «ستشعرين بالبرد وأنت واقفة هنا... إنها غلطتي. يمكننا أن نمشي حول الشجيرات عبر المرج وندخل من المطبخ.»

حل الظلام لكن السماء كانت صافية ومليئة بالنجوم. وفيما هي تخرج من بين الشجيرات، رأت البيت من الخلف بنوافذه المضاءة والتي تعكس نورها على المرج المخملي. فقالت من دون أن تفكر: «لا بدّ أن نيكولا حمقاء لتكره هذا... فهذا أجمل بيت رأيته في حياتي.» ثم توقفت فجأة وقالت: «آسفة، لم أقصد قول ذلك. أعتقد أن لاهاي مكان جميل. فالبعض يفضل المدينة، أليس كذلك؟ والمكان بعيد هنا.» وتابعت يائسة لأنه لم يعلق على كلامها: «مع أني أفترض أن لوفاردن ليست بعيدة جداً.»

«لا ضرورة لهذا الهذيان، يا كريسي.» بدا صوته لطيفاً ومستمتعاً. وصلا إلى باب ضخم ففتحه وعبرا ممراً مرصوفاً، جدرانه بيضاء اللون وعند نهاية كل منها باب آخر. كان المطبخ كبيراً أرضه مغطاة بحصيرة، وفيه صف من النوافذ قريبة من مستوى الطابق السفلي، وخزانة كبيرة محملة بآنية صينية تشغل أحد الجدران. وقبالة الباب خزانة خشبية، يجلس أمامها هرّ مقلم لا يأبه للكلبين. كانت تيسكه أمام الطاولة تحشو

دجاجة فنظرت إليهما وهما يدخلان، ثم قالت للطبيب شيئاً أضحكه. فقال: «تيسكه تقول لا بدّ أننا نشعر بالبرد لذا ستعد لنا الشاي في الحال.»

ما الذي يضحك في ذلك؟ فكّرت كريسيدا وهي تخرج من المطبخ عبر باب صغير إلى الردهة. كان الباب بمحاذاة سلّم عريض يصل حتى قرص الدرج قبل أن ينعطف يميناً إلى القاعة الكبيرة فوقه. وكان باب البيت أمامهما وفسحة من القرميد الأبيض والأسود مكسوّة جزئياً ببساط حريري. على طول أحد الجدران توجد طاولة جانبية من خشب الجوز محفورة بإتقان، وقد وضع عليها اصيص من الأقحوان وإلى جانبها كرسيان من كراسي الشيوخ الهولندية، مكللان بتاجين محفورين على شكل مشبك. وعلى الجدار المقابل يوجد موقد من الرخام تتأجج فيه نار نشطة، وتحيط به أرائك مجنحة، تلمع قوائمها من خشب الجوز في ضوء النار، ومنجدة بقماش حريري أحمر داكن. أما الجدران فكانت بيضاء ومغطاة باللوحات المذهبة الأطر. وتتدلّى من السقف ثريا نحاسيّة، كما تتفرّق قناديل مذهبة على الجدران. وتستقيم في الزاوية ساعة كبيرة تشير إلى الوقت.

وقفت ساكنة تتأمل كل شيء بامعان، ثم قالت: «إنه رائع.»

هزّ رأسه موافقاً. «معظم المفروشات أصليّة وقد جيء بها عند تشييد المنزل.»

«إن البيت قديم...»

«جزء منه شيّد في القرن السادس عشر. وقد زيد عليه من وقت لآخر. فباستثناء تمديدات التدفئة والكهرباء لم يتغير فيه شيء منذ مئتي عام.»

اجتازا بابين مقوسين إلى غرفة الجلوس. كان هناك نار متأججة أيضاً تحت مدخنة من الحجر. كانت غرفة كبيرة، لكنها مريحة وكان الأثاث مزيجاً من الخشب البرازيلي والحرير، مع أن خزانتي العرض الجوزيتين على جانبي الموقد كانتا من عصر سابق، ومليئتين بالفضيات، وأطقم الشاي الصينية، ومجموعة من الصحون والأصص.

شاهدت أريكتين إلى جانب النار، وعدداً من الكراسي المريحة، وقد أضيئت الغرفة بقناديل موضوعة على طاولات صغيرة. ولم تكن الثريا الزجاجية مضاءة، لكنها عكست ضوء القناديل وألسنة النار مما أضفى على الغرفة ومضة دافئة.

منح الطبيب لها الفرصة لتنظر حولها قبل أن يدعوها لتجلس قرب النار. وقال وهو يجلس قبالتها: «سنشرب الشاي هنا، ثم نعود فيجب ألا ندع شاريتي تنتظر.»

قالت كريسيدا: «لديك بيت جميل وهادىء وبعيد... أعرف أنه ليس أبعد مكان في هولندا، لكنه يبدو كذلك.»

«هل تحبين الريف؟»

«أجل، بالطبع. ومع أني أحببت لايدن فساكتشف هذا الجزء من هولندا...»

فقال ضاحكاً: «فريلاند.»

«حسناً، فريلاند.» وابتسمت له بخجل فيما دخل فستر يحمل الشاي. جاء الكلبان برفقته بعد أن أكلا في المطبخ وقد لحقت بهما الهرّة، فجلس الثلاثة قرب النار تتوسطهما الهرة.

فسألت كريسيدا: «ما اسمها؟»

«سمث! لجأت إلينا منذ حوالي السنة. فالكلبان مخلصان لها.»

وضع فستر آنية الشاي، وصحناً من الشطائر، وآخر فيه كعك على طاولة بينهما، وانصرف.

قال الطبيب: «كوني الضيفة وضعي لي قطعتين من السكر.»

كان لطيفاً فحاة وأحست بالراحة معه. فقد أدهشها سعة المنزل، لكنه كان مرتاحاً أيضاً مما جعلها تنسى خجلها. وكانت الأحاديث التي اثارها منتقاة بعناية كي تريح ذهنها. كالعناية بالحدائق والموسيقى والكتب وقسم من تاريخ فريلاند... شربا الشاي بانسجام تام. ونسيت كريسيدا نيكولا. أما الطبيب، إن لم ينسها، فقد أبعدها عن فكره كمسألة سيتعاطى معها في ما بعد.

خاب أمل كريسيدا لعدم رؤيتها المزيد من المنزل فالطبيب لم يعرض عليها ذلك، ولم ترد أن تطلب. فقد حان الوقت لكي يعودا. سألت إن كان باستطاعتها الدخول إلى المطبخ وتوديع تيسكه شاكرة: «لأنها اعدت لنا هذا الشاي اللذيذ.» ثم صافحت فستر الذي انحنى على يدها... وكأنني انسان مهم... فكّرت في نفسها من دون أن تلاحظ ابتسامة الطبيب. فعندما جاءت نيكولا إلى جانسلوم تجاهلت فستر، وأكلت الطعام اللذيذ الذي حضّرته لهما تيسكه من دون أن تعلّق.

لم يتكلما كثيراً في طريق العودة إلى منزل آل فان در برونز. فجلست كريسيدا ساكنة تشعر بأنفاس الكلبين، الجالسين على المقعد الخلفي، على عنقها عندما يميلان إلى الأمام. كانت سعيدة؛ فقد حصلت على يوم إجازة رائع وها هي تعود إلى عمل تستمتع به. فلم تكن تعلم أن نصف دزينة من الأطفال سيكونون ممتعين لهذه الدرجة على الرغم من العمل الشاق وانشغالها بهم طوال اليوم.

www.ewty.com/vb
RAWAHEEN

قرب المنزل، وبينما ساعدها الطبيب في الخروج من السيارة بذلت ما في وسعها لتشكره، فقالت: «لا أنكر متى حصلت على وقت رائع كاليوم. شكراً لك، فلا بدّ أنك كنت تنوي القيام بأشياء أخرى... فقلّما تحصل على وقت فراغ.»

فكّرت في نيكولا وتساءلت إذا كان يهمها أن يمضي الطبيب يوماً كاملاً بعيداً عنها.

قال لها: «أنا من يجب أن أشكرك. فأنا أسعدُ عندما أعود إلى بيتي، وقد زادت متعتي لكوني أريته لشخص آخر. أنا مسرور لأنه أعجبك.»

«بالفعل أعجبني، والخيل، وذلك المطبخ البهيّ، والكليان.» وتوقفت كي لا تضجره. ثم قالت بسرعة: «على كل حال، شكراً لك.»

كانا يقفان عند عتبة الباب وبرغم البرد القارس فقد أحست بالدفء. ورفعت نحوه وجهاً سعيداً فانحنى وعانقها.

أما شاريتي، والتي اتجهت نحو النافذة عندما رأت مصابيح السيارة تترامى على الباب، فقد قالت: «تيكو، إنه يعانقها...»

أخفض زوجها صحيفته وقال: «شيء طبيعي، يا حبيبتي.»

«أجل... لا، ليس طبيعياً. فمن المفترض أنه سيتزوج نيكولا...»

«لا أعتقد بأن ألدريك يتأثر بما يجب عليه أن يفعل. فقد عرفته منذ سنين... وهو يفعل ما يريد.»

ابتعدت شاريتي عن النافذة، وقالت: «هل نفترض...؟» توقف تيكو عن القراءة وقال: «يا عزيزتي، دعينا لا نفترض شيئاً بل ننتظر ونرى.»

قالت شاريتي: «أيها الرجال، إنكم تختلفون عنا.»

«إن هذا لشيء حسن، يا عزيزتي.» وشدّها نحوه وعانقها.

كان العشاء وجبة ممتعة. وسمح لتايل وليتيسيا أن تبقيا فكان الحديث مزيجاً من الثرثرة الصبيانية والأحاديث الخفيفة. ولم يذكر أحد نيكولا أو يعلّق على تجربتها السيئة في نوردويك آن زي. وبعد أن شربوا القهوة وذكرت كريسيدا شاريتي بأنه عليها العودة إلى آل تر بيمسترا نهض الطبيب أيضاً.

وعلّق قائلاً: «سأوصلك، فأنت على طريقي.» لم يكن ذلك صحيحاً، إلا أن كريسيدا لم تعرف ذلك لأنها ما تزال تجهل جغرافية المنطقة. فودّعتهم واعدةً شاريتي بالذهاب معها للتبضع في الأسبوع المقبل، ثم صعدت إلى البنتلي مجدّداً. لم يتكلم ألدريك طوال الرحلة إلى آل تر بيمسترا، والتي كانت قصيرة. رغبت كثيراً أن يعانقها لكنه لم يفعل. فرافقها إلى المنزل فقط وتبادل كلمات المجاملة مع آل تر بيمسترا. ثم صافحها وانصرف من دون أن يعبّر عن رغبة في رؤيتها ثانية.

فكرت كريسيدا وهي تجهّز نفسها للنوم، حسناً، ولم عليه ذلك؟ يمكنني القول إن هذا كان إحسانه لليوم.

ومع ذلك لم يكن من داعٍ لعناقها، وبالتأكيد ليس بهذا... وبحثت عن الكلمة... السرور. لقد تمتعت بذلك، مع أنها ذكّرت نفسها بحذر أنها قليلاً ما حظيت بالعناق، مما جعل ذلك يؤثر فيها أكثر من أي فتاة أخرى كنيكولا مثلاً. إنها فتاة مخيفة، فكّرت كريسيدا وهي تغمض عينيها، تتساءل: ماذا يفعل الآن؟ إنه بلا شك يتصل بها ليخبرها كم كان بعد الظهر مضجراً. فدفعت نفسها لتنام.

كان الطبيب في مكتبه مع مابيل وسيزار يحضّر لمحاضرة سيلقيها في لايدن خلال أيام. لم يخطر له أن يتصل بنيكولا، وعندما قاطعه اتصالها، عبس منزعجاً.

قالت نيكولا: «عزيزي، هل أنت بمفردك؟ وهل ستعود غداً؟ فهناك حفلة عشاء آل فان دوز... ألم تنسَ ذلك؟ سأذهب للعشاء مع صديق أو اثنين فأنا أشعر بالوحدة من دونك.» وعندما لم يجبها قالت: «ألدريك؟»

قال لها: «استمتعي، سأمر لأصطحبك غداً مساءً عند الساعة السابعة. فأنا لا أشعر بالوحدة ولديّ الكثير من العمل لأنجزه.»

قالت نيكولا: «آه، عمل. وماذا فعلت طوال النهار؟»

أخبرها باختصار.

قالت بنعومة: «أنا مسرورة لأن الفتاة المسكينة استقرّت أخيراً. فأنا آسفة لإقامتها السيئة عند العمّة كلوتيلد. فهذه غلطتي. فقد اعتقدت بأنها من طبقة العمال ومعتادة على الواجبات المنزلية. أنا مرتاحة لحصولها على عمل أنسب. وأجرؤ على القول إنها ستقابل أحداً من نوعيتها... فلاحاً أو موظف مصرف... أو ما شابه.»

فكّر الطبيب بعدّة أجوبة، لكنه لم يتفوّه بأي منها وقال: «تمتعي بمسائك، يا نيكولا، فسأراك غداً.»

كتب من دون انقطاع لفترة من الوقت ثم ذهب إلى غرفة الجلوس. بدت الغرفة جميلة تحت ضوء المصابيح والنار مرحبة به. فنظر إلى الكرسي الذي جلست عليه كريسيدا وتمنى لو أنها ما تزال هناك.

جلس قرب النار وهو يحيط بذراعه كتفي مابيل الضخمتين بينما تمدّد سيزار عند قدميه. وعندما دخل فستر طلب منه أن يقفل

الأبواب ويذهب إلى الفراش. كان البيت القديم هادئاً، وأمكنه أن يسمع الهواء وهو يصفر من بحر الشمال، لكنه يحب هذا الصوت. وفكر بأن كريسيدا ستحبه أيضاً. سيأتي بها إلى هنا ثانية ويأخذها إلى الشاطىء العريض لترى البحر الهائج وهو يتكسر على الحواجز الصخرية. واعتبر أنها ستحتاج لبعض الوقت قبل أن تثق به كلياً، فمن الضروري أن يحرّرها من فكرة زواجه من نيكولا. فهو لم يذكر الزواج لنيكولا مع أنه فكّر فيها كزوجة. فهي جميلة ومسلية تعرف كيف تتأنق وتدير منزلها، مع أنه يعي أن أحداً من مستخدميه لا يحبها. ولكن منذ أيام... وعدّل، بل من أسابيع... عرف أنه يريد كريسيدا زوجة له. فما بدأ شفقة أصبح أهم شيء في حياته. قد يحتاج للصبر والوقت، ولكنه انسان صبور. إنه متأكد من حبها له لكنّها تحذره، وليس ذلك مستغرباً بعد تجربتها التعيسة مع جونكفرو فان جرمرت.

يجب عليه أن يكلم نيكولا. فهو يعرف أنها تريد الزواج منه لكنه متأكد من أنها لا تحبه. فهي تستمتع برفقته... إلى جانب ذلك فهو ثري وقادر على تأمين جميع احتياجاتها... لكنه يعلم أيضاً أنها ستغرم بمطلق رجل يقدّم لها مستقبلاً مضموناً. لربما كانت زوجة مناسبة لكنه استغرب أن يكون فكر فيها وكأنها له. وقد أدرك أنها كانت ذكية بما فيه الكفاية لتتأقلم مع حياته ومثله، وبما أنه كان مشغولاً في عمله فقد سمح لفكرة الزواج منها أن تعشش في رأسه. «وهذا ما يجب علاجه.» تمتم وكأنه يحدث الكلبين اللذين أصغيا إليه من دون حراك.

مع اقتراب الميلاد أصبح منزل آل تر بيمسترا يعج بالنشاط والحركة كخلية النحل. وأخبرت السيدة تربيمسترا

كريسيدا بأن المنزل سيمتلىء بالعمّات والأعمام والأهل والإخوة والأخوات. وأضافت بلهجة معتذرة: «سيكون هناك أربعة أولاد إضافيين، ويصبح العدد حينئذٍ عشرة! فهل تستطيعين تدبر الأمر؟ مربية بيبي ستساعدك بالطبع، ونحن أيضاً.»

طمأنتها كريسيدا بأنها ستتدبر الأمر مخفية شكّها بذلك. وفي الحقيقة سيكون ذلك لعدّة أيام فقط، والأولاد سيلهون أنفسهم معظم الوقت. شغل تفكيرها موضوع إيقاظ عشرة أطفال ومساعدتهم على الاستحمام، وارتداء الملابس، وإعادتهم جميعهم كل ليلة إلى الفراش، لكن يجب عدم عبور الجسور قبل الوصول إليها.

انشغلت في الأسبوع التالي بتحضير الزينة وإرسال بطاقات المعايدة وتغليف الهدايا السريّة، فكانت أيامها ممتلئة. كان عليها أن تذهب في يوم إجازتها إلى شاريتي لتأخذها إلى لوفاردن للتبضع. وخطر لها أنها ستقابل ألدريك أو تعلم شيئاً عن أخباره، وإلا سيخيب أملها.

جاء تيكو بعد الإفطار ليأخذها قبل أن يذهب إلى لايدن طيلة النهار. وعندما وصلت إلى بيته ركبت الميني وشاريتي إلى جانبها وقادت السيارة إلى لوفاردن بحذر، غير مرتاحة لقيادة السيارة من جهة اليسار وعلى غير عادة الانكليز، وبناءً على توجيهات شاريتي، فقد أوقفت السيارة أمام فندق في وسط المدينة بينما حجزت شاريتي طاولة للغداء قبل أن تذهبا إلى المتاجر.

فكّرت كريسيدا قبل أن تخلد للنوم تلك الليلة. كم كان النهار رائعاً، وشاريتي محبّة. فقد تحدثتا عن كل شيء تحت

الشمس... ما عدا ألدريك... وقامتا بالتبضع حسب راحتهما مع أن محفظة كريسيدا كانت فارغة. كان تيكو ينتظرهما في البيت، جاهزاً لاخبارهما عن أحداث يومه في لايدن، ومن ثم رؤية الهدايا التي اشترتها شاريتي. وعادت تايل وليتيسيا فأخفى كل شيء عنهما، قبل موعد الشاي. أعادها تيكو إلى آل تر بيمسترا بعد العشاء، ودخل ليقضي معهم بعض الوقت، وعندما ذهب قال لها بلطف إنهم يرغبون في رؤيتها ثانية بعد عيد الميلاد. لم يذكر أحد ألدريك فاعتبرت أنه غادر إلى انكلترا.

أثلجت السماء قبل يومين من الميلاد. فبدت المنطقة بيضاء كبطاقة معايدة. وبدأت العطلة المدرسية فأمضت كريسيدا قسماً من الوقت تصنع رجال الثلج للأولاد، وترافقهم في نزهات نشيطة عندما يتوقف تساقط الثلج، وتسهر على أن يبذلوا أحذيتهم، ويجففوا معاطفهم، ويشربوا الكاكاو عندما يدخلون البيت. كانت حياة نشطة وحافلة وقد استمتعت برفقة الأطفال المرحة مما أكسب وجنتيها لوناً وعينيها بريقاً. وقد علمتهم أيضاً أغنية للعيد... الملك الصالح فنسيزلاس... وهي تجبرهم على لفظ الكلمات بدقة بينما تعزف على البيانو في غرفة اللعب. حتى أن لوسيا الصغيرة انضمت إليهم. وأملت كريسيدا في أن يبرهن ذلك عن مجهودها في تعليمهم اللغة الإنكليزية.

قاموا بتمرين نهائي، وأدخلت المرافقة لوسيا إلى فراشها بينما ساعدت كريسيدا الأولاد في تنظيف الغرفة. فإذا بالطبيب يفتح الباب ويدخل.

كانت تحيّة موجهة لكل من كان في الغرفة فقال: «مرحباً، لقد أرسلوني إلى هنا بمفردي، فالكل منهمك تحت.»

تحلّق الأولاد حوله وهم يتكلمون دفعة واحدة، فقد كان يعرف العائلة منذ سنوات.

نبّههم كريسيدا بصوت عال مسموع: «تكلموا بالإنكليزية.»

قال وليام: «سنتكلّم لهجة أهل الشمال لدقيقة فقط، أيتها العزيزة كريسي. إنه الميلاد، ولم نر العم ألدريك منذ وقت طويل.»

«حسناً، عشر دقائق فقط فأنا ذاهبة لأرى المربية في أمر ما.»

انسحبت من الغرفة دون أن تنظر إلى الطبيب. سرّت كثيراً لرؤيته؛ واعتبرت أن وصوله المفاجيء أثارها. تخيّلت أنه في انكلترا الآن. فربما لن يذهب. يظهر أن لدى نيكولا قدرة على الاقناع ولا شك.

وجدت آنا، مربية بيبي، في غرفة الحضانة الليلية، وقد نامت الصغيرة فانصرفت تنظف داخل الأدراج. لكنها رفعت نظرها عندما دخلت كريسيدا وابتسمت لها بتردد. لقد تعارفتا جيداً الآن، مع أن كريسيدا وجدت في البداية صعوبة لاقناع المربية بأنها لا تريد التدخل في شؤون اعتنائها بلوسيا. فهي تأتي كل يوم لتعلمها لمدة نصف ساعة الإنكليزية البسيطة بوجود آنا.

استغلت كريسيدا معرفتها البسيطة للغة الهولندية لتطلب الإذن في أن تسهر لوسيا لفترة أطول في ليلة الميلاد كي تتمكن من إنشاد أغاني الميلاد مع اخوتها وأخواتها. لزمها بضع دقائق لتشرح لها ما تريد، ودقائق أخرى لتبادل الملاحظات عن الطقس. بعد نيلها الموافقة، عادت كريسيدا إلى غرفة اللعب.

ما يزال الطبيب هناك فقال لها: «حسناً، يا كريسي هلا جئت معي إلى الأسفل؟ هناك ما أريد أن أعطيك إياه...»

سأل فريزو: «ربما يكون لنا، أليس كذلك؟»

«سوف تعرفونه صباح عيد الميلاد، فلا تحرجوا كريسي لكي تكشف عن ذلك، لأنها لن تبوح به.»

قبلته الفتاتان الصغيرتان وصافحه الصبية صارخين: «ميلاد سعيد!» فيما فتح الباب وخرج مع كريسيدا.

لم ينزل إلى الأسفل إنما وقف ينظر إليها.

ثم سألها: «ألا تتمنين المجيء معي إلى انكلترا؟»

لم تجبه فوراً ريثما تفكر بالأمر. ثم قالت: «حسناً، أحب أن أعود إلى بيتي لولا وجود زوجة أبي، فأنت تفهم ما أعني. كما أحب أن أرى موغي، لكنني بالفعل سعيدة هنا. شعرت بالغربة في لايدن، لكني أشعر هنا وكأني في بيتي وهذا مسلّ لأنني أحياناً لا أفهم كلمة مما يقال حولي.»

ضحك وقال: «لا يدهشني ذلك. فلغة أهل الشمال غريبة، والهولنديون لا يفهمونها أيضاً. هل ستكونين حرّة في الميلاد؟»

«بحق السماء، لا. فسيكون البيت ممتلئاً بأفراد العائلة، وسيأتي أربعة أطفال إضافيين.»

«سأعوض لك عندما أعود...»

«شكراً، فأنت لطيف جداً، لكن لا حاجة لذلك. أعني أنك فعلت الكثير من أجلي حتى الآن، وليس لديك الوقت الكافي، وإن توفّر فلا بدّ أن لك أصدقاء... وأشياء تقوم بها...»

سألها بلطف: «هل هذا زجرٌ لي؟»

«أزجرك!» صدمتها الفكرة فوضعت يدها على ذراعه.

وأضافت: «كيف يمكنني أن أزجرك؟ فأنا لا أعرف ما كنت سأفعل من دونك.»

حدّقت في وجهه مدركة فجأة أنها لا تعرف ما قد تفعل من دونه، وهي لا تحتمل التفكير بذلك. فقالت ببطء: «لا داعي لأن تقلق علي بعد الآن. أعني أنه يمكنك أن تنساني من دون أن تهتم. لا أعتقد بأنني أعبر بوضوح، لكن لديك حياتك وهي تختلف عن حياتي... آه، يا عزيزي، حقاً لا أستطيع أن أفسّر ذلك...»

نصحها بخفّة: «إذن لا تحاولي. تمتعي بالحياة هنا وامضي ميلاداً سعيداً.» وربّت على يدها بطريقة أخويّة، وأضاف: «تعالي معي إلى الردهة، واحضري العلب التي أحضرتها للأطفال. فما يزال علي أن أمرّ عند آل فان در برونزن، وأن أذهب إلى جانسلوم قبل أن أتجه نحو القطار.»

نزلت معه فأعطاها صندوقاً مغلقاً وقال: «أكون شاكراً لو خبأته عن الأولاد.» ودّعها وذهب يبحث عن بياتريس تربيمسترا، وبعد بضع دقائق انصرف.

صعدت كريسيدا بهدوء وخبأت الصندوق تحت السرير في غرفتها ثم عادت إلى الأولاد. كانوا يضجون هائجين مما ألزمها مدّة عشرين دقيقة لتهدئتهم والتأكد من نظافتهم واستعدادهم للعشاء. وجبة سيشارك فيها الجميع لأنهم منهمكون في التحضير لاستقبال ضيوف الغد. بعد العشاء وضعت كريسيدا الأولاد في الفراش، وذهبت إلى غرفة السيدة تر بيمسترا لتصلح لها ثوباً اكتشفت في اللحظة الأخيرة أنه طويل.

وقفت السيّدة تر بيمسترا بصبر بينما تشبك كريسيدا ثوبها.

وقد أدهشها قليلاً سكوت كريسيدا وشحوبها فسألتها باهتمام: «هل أنت بخير؟ أخبريني بما يزعجك؟ ألست سعيدة؟»

أكّدت لها كريسيدا بأنها لم تشعر بحال أحسن مما هي عليه الآن وأضافت بمرح: «أنا أنتظر الميلاد بفارغ الصبر، فسيكون ممتعاً مع الأولاد، أليس كذلك؟»

تابعت السيدة تر بيمسترا وقالت: «بالطبع، فقد جاء ألدريك ليراك. وأعتقد بأنك كنت تودين الذهاب معه إلى انكلترا؟ أليس كذلك؟ إنه رجل كريم فقد أحضر الهدايا للأولاد... فهو لا ينسى أبداً.»

لم تستطع كريسيدا الإجابة لأن فمها كان مليئاً بالدبابيس. لقد نسيها، ألم يفعل؟ وقد قال لها بفتور بأن تتمتع بالحياة. في تلك اللحظة أحسّت بأنها لن تتمتع بالحياة بعد الآن، وإذا كان هذا الشعور نابعاً من الوقوع في الحب، فمن الخير لها أن تتخلّص من هذا الحب بسرعة.

جلست على عقبيها لترى نتيجة عملها وبدأت محادثة نبيهة مع سيدتها أراحت ذهن تلك السيّدة اللطيفة. ثم أخذت الثوب إلى آنا التي حاكته بدقّة. وبما أن الوقت تأخر ذهبت كريسيدا إلى الفراش، وأراحت نفسها بالبكاء قبل أن تنام. نهضت في الصباح باكراً وهي تشعر بحساسية وصفاء ذهن تجاه ذلك الموضوع. من المؤسف أنها أغرمت بالطبيب، لكن ذلك يجب أن لا يؤثر على صداقة الطبيب لها. وبما أنها أوضحت له بأنها سعيدة في عملها فيمكنه إذن أن ينساها، ومع الوقت يتزوّج نيكولا. كان هذا مصيراً لا تريده له، لكن إذا كان يحب تلك المرأة فليس بيدها حيلة. وإن لم يكن مغرماً بها فقد قرّرت كريسيدا أن تفعل ما في وسعها لتمنع هذا الزواج. لم تكن تعرف كيف.

www.rewity.com

لكنها كانت فكرة مشجعة ساعدتها طوال صباح منهك. وصل الأولاد الأربعة قبل الغداء، وبما أن عددهم زاد فكان عليهم أن يأكلوا في غرفة اللعب تحت إشراف كريسيدا. يا لها من وليمة، فكرت وهي تناول صحون الحساء وتعمل كوسيط بين الصبية الكبار وأولاد أعمامهم. والفتيات كن متلهفات أيضاً. ارتاحت عندما انتهت الوجبة وساعدتهم في ارتداء قبعاتهم ومعاطفهم، وسمحت لهم بالخروج إلى الحديقة للتراشق بالثلج، وساعدتهم في صنع رجال الثلج.

كان الجو بارداً فادخلتهم سريعاً وحرصت على أن يشربوا الشاي، ثم أرسلتهم ليبحثوا عن الهدايا التي وزعها الأهل بجهد كبير. كان عليهم أن يضعوها تحت شجرة الميلاد تلك الليلة ويتسلمها الأولاد في الصباح، فامتلأ المكان، ذهاباً وإياباً، إلى أن رُتّبت كل الهدايا على الطاولة في الردهة بانتظار أن يضعها السيد تر بيمسترا تحت الشجرة لاحقاً تلك الليلة. ولأنه كان يوماً مميّزاً سمح للأولاد بأن يبقوا للعشاء، مما يعني أن يرتدوا أفضل ملابسهم وأن تسرّح الفتيات شعرهن. لم تكد كريسيدا تجد الوقت لترتدي فستانها الرمادي الذي سئمته، وتجميل وجهها وتسريح شعرها، قبل أن يدقّ جرس الطعام. فصفّت الأولاد لتنزلهم إلى غرفة الجلوس ولحقت بهم آنا ولوسيا الصغيرة.

كانت غرفة الجلوس كبيرة وتعجّ بالناس. فقد تعرّفت كريسيدا على كل الواصلين، لكنهم بدوا لها الآن متشابهين، إضافة إلى أن النساء كن يرتدين فساتين فاخرة وغالية الثمن. برزت كريسيدا مختلفة، لذلك تمنّت لو أن يكون لها بدلة مثل آنا. كانت فتاة حساسة، لكنها لا تنوي أن تتأثر من ملابسها غير

المناسبة. وجالت بصحبة الأولاد تصافح الجميع وتتبادل معهم الأحاديث. فوجدت نفسها فوراً تحمل كأساً من الشراب وتكلّم عجوزاً قاسياً ذكّرها بأنه والد السيدة تر بيمسترا. إنه يتكلّم، لكنه أصرّ على أن تختبر معلوماتها في الهولنديّة. فقال مزمجراً وهو يتأمل وجهها: «إذا كنت تودين البقاء فعليك تعلّم اللغة. سمعت أن الأولاد يتحسنون، فهل تحبين التعليم؟»

«أنا لا أعلّمهم بل أتكلّم معهم بالإنكليزية طوال الوقت، وألقنهم بعض الأشعار. إنهم أولاد لطفاء ويستوعبون بسرعة.»

انضمت إليهما سيدة عجوز، اعتبرت كريسيدا أنها إحدى العمّات، فسألتها إذا كانت تحب فريلاند، وبما أن انكليزيتها أفضل بقليل من هولندية كريسيدا فقد تمتع السيد العجوز بمساعدتهما على التفاهم إلى أن دقّ جرس الطعام ثانية وتجمعوا كلهم في غرفة الطعام.

بدا الجو احتفالياً من جراء الزينة والزخرفة وورود الميلاد التي تتوسطها. وإلى جانب مائدة الطعام الكبيرة وضعت مائدة أخرى صغيرة جلس إليها الأولاد برفقة كريسيدا وآنا.

كانت الوجبة خفيفة، وبوجود الأطفال لم تكن دسمة: حساء، ومعجنات محشوة بالسلمون المدخن وديك مشوي مع الكرافس المسلوق وأخيراً بوظة مكسوة بالكريما والبندق. ما أن انتهوا حتى كانت لوسيا شبه نائمة فأيقظها وليام وهو يذكرها بصوت مرتفع أنهم سيغنون أغنية عيد الميلاد. وبناءً على تدريبات كريسيدا، فقد طلب من الجميع أن يذهبوا إلى غرفة الجلوس ليرحبوا بالأطفال عندما يبدأون بانشاد اغنية الميلاد. أسرع الجميع ينفذون ما طلب إليهم وعندما جلسوا

www.rewity.com/vb
IRAQ ANFAL

لحق بهم الأولاد. عزفت كريسيدا اللحن على بيانو كبير، موجود في الغرفة، بينما أخذ الأولاد أمكنتهم. فأجادوا الغناء. كان التصفيق مدوياً فأعادوا الغناء قبل أن يعيدوا الكرة ويجولوا حول الكبار ليلقوا تحيّة المساء. وفيما هم يغادرون الغرفة قالت السيدة تر بيمسترا: «عودي يا كريسيدا إذا أحببت.» ثم نظرت إلى الساعة وأضافت: «لقد تأخر الوقت لكن إذا أردت...»

شكرتها كريسيدا موافقة على أن الوقت قد تأخر، ولم تضف أن هناك عشرة أولاد ينتظرون أن تضعهم في الفراش وأن هذا سيأخذ قسطاً من الوقت على الرغم من مساعدة آنا. حيّت جميع من في الغرفة وصعدت إلى حيث يجب أن تروّض أكثر الأولاد مشاكسة. راقبتهم وهم ينظفون أسنانهم ويأوون إلى اسرّتهم.

أوت إلى الفراش بدورها متعبة. فلم تفعل سوى التساؤل عما إذا كان ألدريك وصل إلى بيت جدّته بأمان، وإن كانت ستراه ثانية.

الفصل الثامن

مع نهاية يوم الميلاد كانت كريسيدا متعبة لدرجة رغبت معها في أن تنام بثيابها. لكنها قاومت هذه الفكرة وأجبرت نفسها على خلع ملابسها والاغتسال. ثم استلقت على الفراش تستعيد ما فعلته خلال النهار، فقد كان يوماً حافلاً استمتعت بكل لحظة من لحظاته. كان الأطفال عددهم كبيراً، فالحفاظ على الهدوء بين عشرة أطفال وهم يفتحون هداياهم خلال الفطور كان مهمة بطولية، وإلا، وكما أشارت السيدة تر بيمسترا، فلن يستطيعوا الذهاب إلى الكنيسة، خصوصاً أن الذهاب إلى كنيسة القرية صباح الميلاد تقليد يجب الحفاظ عليه. لم يتناولوا دجاجاً أو حلوى الميلاد على الغداء بل الملفوف الأحمر مع الأوز وحلوى فاخرة بالبوظة والكريما والأناناس الطازج، وقد كان ذلك بديلاً لذيذاً. كما تناول الكبار شراب الميلاد. لم يكن هناك قيلولة بعد الغداء، فقد ارتدى الأولاد بعاطفهم وخرجوا إلى الحديقة برعاية كريسيدا. وانهمكت في فترة بعد الظهر بمساعدة الصغار على ركوب الدراجات، ونصب الأهداف كي يطلق عليها الصبية من أسلحتهم الهوائية، وإحلال الهدوء بين الفتيات اللواتي يتشاجرن على لعبهن. بعدها شربوا الشاي في غرفة اللعب، ثم لعبوا لعبة خطوات الجدة وصيد الخف، وهي ألعاب لم يسمعوا بها من قبل ولكن كريسيدا تعلمتها في طفولتها، وقد ارهقتهم تماماً. ثم تناولوا العشاء في غرفة الجلوس

الصغيرة وانشغلوا لمدة ساعة في تنظيم وتجهيز أنفسهم لالقاء تحية المساء على الكبار في غرفة الجلوس، قبل أن يستحموا ويأووا إلى فراشهم. ظنت كريسيدا بأنها ستذهب مسرورة إلى السرير لكن آل تر بيمسترا شدّدوا عليها بأن تنضم إليهم إلى مائدة العشاء. فارتدت فستان الجرسيه الرمادي، وعادت إلى الأسفل حيث لاقت الترحيب من السيدة تر بيمسترا وصافحت ثانية جميع الأعمام والعمات وأبنائهم الذين شكروها على اعتنائها بالأطفال.

استمتعت بالأكل والشرب. ثم وجدت نفسها تجلس قرب قس، شاب وجهه قاس، يتكلم الانكليزية بطلاقة وقد اهتم بها. فتحدثت إليه بحرية، لكنها لم تخبره عن تجربتها السيئة مع جونكفرو فان جرمرت، انما حدثته عن الطبيب الذي لا يفارق ذهنها، ولا يكفيها التفكير به فقط. أصغى إليها القس بوقار وقال لها: «إنك محظوظة لأنك وجدت صديقاً لطيفاً وكريماً. ستكونين شاكرة له طوال حياتك.»

«أجل، أتوقع ذلك.» أجابته كريسيدا بهدوء، وقد حاول أن يظهر لها أن الطبيب كان حدثاً هاماً في حياتها يجب أن تتذكره بامتنان، ولكنه لن يتكرر.

ألقت تحية المساء وصعدت إلى غرفتها ومن ثم أوت إلى فراشها. كان يوماً سعيداً، تمتمت وهي تغفو. فقد تلقت الهدايا أيضاً، مناديل وورق رسائل وسواراً فضياً جميلاً. كان عليها أن تشعر بالسعادة، لكن الغريب أنها بكت حتى نامت.

استيقظت خلال الليل وقالت بأسى: «كان بامكانه أن يرسل لي بطاقة معايدة.» ثم نامت فوراً.

نهضت باكراً، وأيقظت الأولاد وساعدتهم على ارتداء

ملابسهم، وهي تفكر في الطبيب مع أنها استيقظت وهي مصممة على أن لا تفكر به أبداً.

لكن لم يكن بنية ألدريك فان درلينوس أن ينساها أبداً. فقد فكر فيها باستمرار، وأمام استفسار جدته الحذر أجاب بصراحة أنه ينوي الزواج من كريسيدا. تلقت جدته الخبر من دون أن تفاجأ. وقالت له: «إنها فتاة ناعمة وحساسة. هل لديها فكرة عن ذلك...؟»

«لا. أملت أن نصبح صديقين. فمن ناحية نحن كذلك. ومع أنها لا تلومني لتجربتها البائسة عند جونكفرو فان جرمرت، لكنها ما زالت تعتقد بانني سأتزوج نيكولا. لذا يجب أن أتصرف معها بحذر.»

«هل أوضحت هذه الأمور لنيكولا؟»

«أجل، إن كنت تقصدين أن لا تتوقع أن أتزوجها. فقد أكدت لي أنها لم تعتبرني الزوج المنتظر، وسرّت كثيراً لأنني وقعت في الحب أخيراً.»

لم تجب جدته، لكنها فكرت بصمت كم أن الرجال عميان. فكلما ازداد ذكاؤهم كلما بدوا جهلاء. فهي متأكدة من أن نيكولا كانت تنوي الزواج منه، فهو فرصة لا يمكن اضاعتها، قالت بمرح: «لا بد أنك ارتحت لأن كريسيدا سعيدة.»

«بالتأكيد، سأذهب لأراها بأسرع ما يمكن بعد عودتي إلى جانلسوم. لدي عدد من المرضى يجب أن أعودهم في لايدن، وقائمة أعمال صغيرة في المستشفى، لكني سأتمكن من تدبير يوم أو أثنين بعدها.»

أما كريسيدا، وهي غير المدركة لما يجري، فقد شغلت

نفسها بالأولاد ممتنة لذهاب الزوار الأربعة الصغار من البيت. وفكرت أن رعاية ستة أطفال أمر سهل التدبير أما عشرة فهذا صعب قليلاً.

مازال الطقس ممطراً، والرياح قارسة والثلج يتساقط، لكن الأولاد بدوا منيعين أمام ذلك. ارتدت كريسيدا معطفها القديم، وحذاء مستعاراً، وقبعة من الصوف تغطي أذنيها، وشالاً حول عنقها، ورافقتهم في جولات استكشافية حول القنوات والبحيرات الصغيرة حيث وضعوا مزاليجهم وأمضوا ساعات في التسابق ذهاباً وإياباً. وبما أنها أدركت، بعد اليوم الأول، أنها ستتجمد إن لم تفعل شيئاً، فقد أقنعت وليام بأن يعيرها مزلاجين قديمين، فقال لها بانكليزيته الحذرة بأنهما مزلاجان من صنع أهل الشمال، ومناسبان تماماً للمبتدئين، وبمساعدته وتشجيع الأولاد الآخرين جازفت بالانزلاق على الجليد. بالطبع، وقعت مراراً، وقد ساعدها على الوقوف وليام وجاكوب. لكن مع انتهاء اليوم الثاني تمكنت من القيام ببضع خطوات بمفردها ومرافقة الصبيان لمسافة قصيرة، وهم يحيطون بها ممسكين يديها قبل أن تفقد توازنها وتقع على الجليد.

مع نهاية الأسبوع أصبحت تتزلج بجرأة وبمفردها وبرغم أنها مازالت تقع مراراً وسط ضحك الأولاد إلا أنها كانت سعيدة بتقدمها.

قد أخبرت شاريتي بذلك عندما ذهبت لقضاء يوم إجازتها معها. واعترفت قائلة: «إني اتوجع وغطت جسمي البقع الزرقاء ولكن ذلك ممتع ويسلي الأولاد.»

«هل مازلت سعيدة؟ وآل تر بيمسترا ما زالوا لطفاء معك؟»

«أجل، وعندما يعود الأولاد إلى المدرسة سأجد متسعاً

من الوقت... يبدو أن الجميع متحمسون للسنة الجديدة...»

«فعلاً. سيكون ممتعاً جداً. هل سيقيم آل تربيمسترا حفلة منزلية؟ فإن عائلة تيكو ستأتي من جديد. عادة نذهب إليهم، لكنه لا يريدني أن أبتعد عن المنزل...»

أومأت كريسيدا وقالت: «إنه على حق أيضاً. أجل سيكون هناك حفلة جديدة. وسيسمح لوليام أن يسهر هذه السنة مما أغضب فريزو وجاكوب. والأولاد الأربعة لن يأتوا مع أن أمرهم يصبح سهلاً عندما أضعهم في الفراش.» وابتسمت مضيفة: «إنهم ظرفاء حتى عندما يشاغبون.»

نظرت إليها شاريتي باهتمام وسألتها: «ألست نادمة على وجودك هنا؟ ألم يكن ممكناً أن تجدي عملاً أفضل في انكلترا؟»

«أي عمل؟ فأنا لا أجيد عمل شيء كما تعلمين... سوى تدبير المنزل، وتنسيق الأزهار، والأخذ والرد... أما الأطفال فهم أكثر متعة. وهم يشغلونني تماماً.»

وصل الزوار في اليوم التالي: عمات وأعمام وأبناء عم وأصدقاء قدامى... وقد قابلت كريسيدا معظمهم في عيد الميلاد. حيوها بلطف، وعلّقوا بانكليزية سليمة على حسن تعاملها مع الأولاد، وتطلعهم إلى رؤيتها تلك الليلة على العشاء.

ارتدت كريسيدا ثوبها الرمادي... والذي تتمنى أن لا تراه أبداً... وفكرت بأن كل شيء يسير على ما يرام. فقد ذهب الأولاد إلى الفراش كالحملان وأصبح لديها الوقت لنفسها قبل أن تنزل إلى غرفة الجلوس. ذهبت إلى غرفة اللعب وجلست أمام إحدى النوافذ، تنظر إلى الليل الحالك. لقد توقف الثلج

وسيظهر القمر، لكن النجوم تلمع الآن. تاملتها وهي تتساءل أين الطبيب. إنه بالتأكيد في بيته الرائع برفقة نيكولا ومجموعة من الضيوف.

كادت تحيته: «مرحباً يا كريسيدا.» أن تشل قسماً من أفكارها، مما جعلها تحتاج لبعض الوقت كي تدرك أنه فعلاً معها في الغرفة، يستند إلى الباب مرتدياً معطفه، وجالباً معه نسمة من الليل البارد إلى الغرفة.

قالت كريسيدا: «إنها مفاجأة.» وشعرت بأن كلماتها ليست مرحبة أو ودية فاضافت بسرعة: «أعني أنه من الممتع أن أراك، أيها الطبيب.»

اقترب منها شاغلاً الغرفة بحجمه الضخم وعندما صمت ابتدأت الحديث: «لن تبقى هنا بالطبع... فأنت في طريقك إلى جانلسوم. أتوقع أن يأتيك العديد من الضيوف، لم يخطر لي أبداً أن رأس السنة مهم في هولندا...»

قال مصححاً لها وهو يبتسم: «فريلاند. إنه كذلك. فنحن نقطع أميالاً لنحتفل به، ونتمنى الخير لبعضنا بعضاً. ستكون شقيقاتي وأزواجهن وأولادهن في البيت بانتظاري...»

قالت كريسيدا بصوت خافت: «ومابيل وسيزار والخيل والحصان الصغير والحمار، فستر اللطيف وزوجته.» جلست... فهذا لن يجدي، ويجب ألا يشفق عليها. تابعت: «أعتقد بأنك أمضيت عيد ميلاد سعيداً؟ وأتمنى أن تكون الليدي ميريل بخير.»

«إنها بصحة ممتازة. ترسل لك حبها. فهل أنت سعيدة، يا كريسيدا؟»

لم تتوقع سؤاله فأجابت بسرعة: «آه، نعم إن الأولاد مسلون، والسيدة والسيد تر بيمسترا لطيفان. فقد قضينا وقتاً

ممتعاً في الميلاد.» واحمرّ وجهها لأنها بدت وكأنها تذكره بأنه تجاهلها كلياً، برغم عدم وجود سبب لديه ليفعل غير ذلك. وأسرعت باهتمام تبرهن له عن مدى سعادتها فقالت: «لقد علمني الأولاد كيفية التزلج. لا أقوم بذلك جيداً لكن بامكاني البقاء على قدمي لبعض الوقت. وقد كان الطقس بارداً هنا وانثلجت كثيراً.»

نظرت إلى عينيه فرأت فيهما بريقاً ظنت أنه مستمتع بما تقول فسكتت عن إكمال تلك المحادثة العارضة.

انحنى وأوقفها على قدميها واضعاً يده على كتفيها وقال: «جئت لأتمنى لك سنة سعيدة، يا كريسي، وتعلمين أنها ستكون كذلك. قبّل وجنتها بلطف ونظر إليها بوقار، وقال: «لقد فكرت فيك حين كنت في انكلترا.»

غضبت فجأة وقالت بنكد: «آه، هل فعلت؟ لماذا إذن لم ترسل لي بطاقة معايدة؟ فقد أرسلت لي الليدي ميريل واحدة وكذلك فعلت موغي وشقيقتها والسيد تيمز.» والتقطت أنفاسها كطفل، وأضافت: «آسفة، لم أقصد ذلك، فعلاً لم أفعل. فقد كنت كريماً معي وسأكون دائماً شاكرة لك. ربما لأنني متعبة.» وابتسمت مرتجفة: «أتمنى لك عيد رأس سنة رائعاً، والعديد من المرضى وكل ما قد تتمناه.»

«حسناً، ليس الكثير من المرضى.» وضحك قليلاً وأضاف: «أنوي أن أحصل على كل ما أتمنى. فهل تعلمين ما أتمنى، يا كريسي؟»

فُتح الباب ودخل وليام. فرفع الطبيب يديه عن كتفي كريسيدا وقال بسهولة: «مرحباً، يا وليام، هل تريد كريسي؟»

«أجل، فأنا لا أستطيع العثور على ربطة العنق التي حصلت

عليها في عيد الميلاد... الخضراء... أريد أن أضعها.»
وأضاف بأهمية: «سابقى على العشاء.»

«رائع.» لم يبد الطبيب منزعجاً من المقاطعة. وفكرت كريسيدا بأن الأمر ليس مهماً. فلربما أراد أن يخبرها عن نيته بالزواج من نيكولا، وبأنهما سويا خلافاتهما. إنها امرأة ذكية وستقنعه بأنها كانت تعمل لمصلحة كريسيدا عندما أرسلتها إلى عمتها، فيسامحها.

قال الطبيب بنعومة: «لا تحاولي أن تخمني، وانتظري حتى أقول لك.» ثم أتجه نحو الباب مضيفاً: «يجب أن أذهب وإلا وصلت إلى البيت بعد منتصف الليل وهذا لا يجوز أبداً. أتمنى لكما سنة سعيدة وأترككما لتبحثا عن ربطة العنق.»

عندما خرج سمعت كريسيدا ضحكاً في الردهة، ثم صوت إقفال الباب الأمامي.

قالت لوليام: «هيا نبحث عنها.»

كان العشاء متقناً ومناسب للاحتفال، وبعد الانتهاء منه ذهب الجميع إلى غرفة الجلوس حيث تناولوا شراباً وأكلوا حلوى صغيرة. لقد أحبت كريسيدا هذه المعجنات الصغيرة المغلفة بورق يحمي ثياب الزائرين من السمن والسكر. وقد امتلأت كؤوسهم بالشراب وما أن أعلنت ساعة الحائط المعلقة في الزاوية حلول منتصف الليل حتى شربوا نخب السنة الجديدة وجالوا في ما بينهم يتبادلون القبل ويتصافحون. أدار أحدهم الموسيقى ورقص البعض وأعطيت الإشارة لكريسيدا لكي تأخذ وليام المتردد إلى الفراش بعد أن ألقى تحية المساء على الجميع. لم تعد إلى الأسفل، فقد كانت ليلة رائعة، وأجمل ما فيها زيارة ألدريك. مع أنها فكرت وهي متعبة أنه من المؤسف

أن دخل عليهما وليام في تلك اللحظة. بالتأكيد فهي تعرف أن الطبيب سيتزوج نيكولا عاجلاً أم آجلاً. إنها تليق جداً بطبيب مشهور. لكنها كانت تفضل أن يخبرها بنفسه فهذا يقفل الموضوع. إنها تجد صعوبة في التخطيط لمستقبلها، وفكرت بارتياح بأن الأمر يصبح أسهل عندما يتزوج.

بعد صخب رأس السنة أصبحت الأيام كئيبة. لكن الأولاد عادوا إلى المدرسة مما جدّد نمط أيامها. ما زالت مشغولة تماماً لكنها تجد نفسها حرة لساعة أو ساعيتن خلال النهار تقضيهما في استكشاف القرية والمنطقة المحيطة. ذهبت في اليوم الثاني وقابلت القس من جديد فدعاها لمشاهدة الكنيسة. لقد أعجبت به وكانت متلهفة لتعرف ما استطاعت عن فريلاند وأهلها، وقد بدا سعيداً باخبارها كل ما يعرف. خيبت الكنيسة أملها، إذ كانت فارغة وبيضاء مع أن المذبح كان جميلاً. إلا أن لها تاريخاً طويلاً وشيقاً استمعت إليه برضا. وقبل أن ترحل دعاها للعودة ثانية لترى سجلات الكنيسة فقبلت بسرور. إنه لأمر حسن ايجاد صديق، شاريتي ستلد عما قريب مما قد يضع نهاية لجولاتهما الشرائية على الأقل في الوقت الحاضر. وقد أخبرت السيدة تر بيمسترا عن ذلك عندما عادت فأومأت تلك موافقة. فالقسيس ستيلسترا رجل رزين، لم يعد شاباً لكنه محبوب من الجميع. وقد خطر لها أن فكرة زواجه ليست سيئة فكريسيدا زوجة مناسبة له... وقالت بلطف: «إن القس ستيلسترا رجل مهم. فهو يعرف الكثير عن تاريخنا، ويصرف وقتاً طويلاً في دراسة التقاليد القديمة.»

ظل الطقس بارداً والبحيرات متجلدة برغم أن الشمس تسطع من وقت لآخر. وبعد يومين من زيارة كريسيدا للكنيسة اكفهرت

السماء واشتدت حدة الهواء. ومع ذلك فقد لفت آنا نفسها ولوسيا بدثار وفر الدفء وأعلنت عن رغبتها في زيارة شقيقتها التي تسكن في الطرف الآخر من القرية. فقد كانت السيدة تر بيمسترا في لوفاردن عند المزين، ولم تجد كريسيدا الكلمات المناسبة لتقنع آنا بعدم الذهاب. أجابت آنا على تلوي كريسيدا القلق، نحو السماء المتلبدة بالغيوم مكتفية آنا بالابتسام والتربيت على كتفها تطمئنها، قائلة: «حسناً.»

بحثت كريسيدا عن الكلمات الصحيحة لتطلب من آنا أن تعود في موعد شرب الشاي في غرفة اللعب، فأجابتها آنا بحديث طويل لم تفهمه كريسيدا وبالتالي لم يطمئنها. رأتهما تذهبان وهي تشعر بأن عليها أن تمنعها، لكن من ناحية أخرى لا بد أنها متسرعة، فآنا عاشت في فريلاند طيلة حياتها، ولا بد أنها تعرف الطقس كباطن يدها.

لم تخرج كريسيدا. فقد كانت سبكه وغالسكه في البيت مريضتين. فأجلستهما قرب المدفأة في غرفة اللعب، وزوّدتهما بالمناديل وألعابهما المفضلة، وانصرفت للخياطة، فرتقت مزقاً في أحد قمصان فريزو. حل الظلام في فترة بعد الظهر بسرعة، فسحبت الستائر وأضاءت النور وهي تصغي بقلق لصفير الرياح في الحقول الفارغة. نزلت فوراً لترى إذا عادت آنا ولوسيا، لكنها لم تجد أثراً لهما. ومع أن وجه الطاهي غير القلق طمأنها، إلا أنها تمنت أن تكون السيدة تر بيمسترا في المنزل.

شربوا الشاي، ولم يظهر أي أثر بعدلهما. وما إن سمعت صوت سيارة تتوقف خارج المنزل حتى أسرعت في النزول وهي تنوي إخبار السيد تر بيمسترا. لكن عندما وصلت إلى الباب الأمامي

رأت السيارة تختفي ثانية فأخبرها وليام أن والده أوصلهم من المدرسة وعاد إلى المكتب وسألها: «لماذا تريدينه؟»

«آه، يسعني أن أقول إن كل شيء على ما يرام، لكن آنا ولوسيا ما زالتا في الخارج، لقد توقعت عودتهما في موعد الشاي. ستعود والدتك في الحال وتعرف ما يجب القيام به. اصعدوا الآن فثلاثتكم مبتلون وتشعرون بالبرد. هل الطقس سيئ في الخارج؟»

قال وليام: «سيئ جداً وينذر بالعاصفة. أرجو أن تأخذ والدتي حذرها.»

قالت كريسيدا بمرح: «إنها سائقة ممتازة.» وحاولت أن تتجاهل عاصفة هوائية تصفر حول المنزل.

تحلق الصبية حول الطاولة يتناولون الشاي عندما وصلت السيدة تر بيمسترا. سمعت صوتها في الممر فنزلت لتقابلها.

قالت السيدة تر بيمسترا: «إن الطقس سيئ، والقيادة صعبة. فهل الأطفال في المنزل بأمان؟»

«إن آنا ولوسيا قد خرجتا بعد الغداء ولم تعودا بعد. نزلت لأخبر السيد تربيمسترا عندما أحضر الأولاد، لكنه لم يتوقف وابتعد في الحال. لقد قالت آنا إنها ذاهبة عند شقيقتها؛ لربما ما زالت هناك؟»

بدت السيدة تر بيمسترا قلقة وقالت: «لن تبقى إذا رأت أن الطقس يزداد سوءاً. أخشى أن تكون قد سلكت الطريق المختصرة عبر الحقول... فمسافتها قصيرة، وربما فكرت أن باستطاعتها الوصول قبل العاصفة... لقد أنذرنا برياح قاسية، يجب أن أذهب وأرى...»

فقالت كريسيدا: «سأذهب بنفسي. إنه الطريق عند نهاية الحديقة خلف المنزل، أليس كذلك؟ لقد أشار لي وليام إلى الكوخ ذات يوم، وأنا أكيدة من أنني سأجده. وإن كان معي مصباح فلن يكون الأمر صعباً.»

كلمات بطولية. كانت تخشى الخروج في الظلمة، لكن ربما أنا ولوسيا تختبئان في مكان ما على الطريق، مكان قريب، خائفتان من المتابعة من غير ضوء.

«سأنتعل حذائي... لو يمكنني الحصول على مصباح قوي.»

جهزت نفسها للخروج في غضون خمس دقائق. وقد رافقتها السيدة تر بيمسترا إلى باب المطبخ وقالت لها: «لا تقلقي إن لم أعد سريعاً. فإذا وجدت أنا قرب كوخ شقيقتها سأعيدهما إلى هناك حتى تنقضي العاصفة. فهل يمكن الوصول إليه عبر القرية؟»

«بالسيارة لا، فقط رانج روفر يمكنه الوصول إلى مسافة قصيرة من الكوخ، لكن هناك قناة...»

بدت السيدة تر بيمسترا على وشك البكاء، فقالت كريسيدا بسرعة: «لا تقلقي فلا يمكن أن تبتعدا. من الجائز أنهما ما زالتا عند شقيقة آنا. فإن وجدتهما هناك سأعود وأخبرك.»

أضاءت المصباح. وبدأت العبور مطمئنة إلى قوة النور الذي قادها إلى نهاية الأراضي خلف المنزل. للتأكد من قوة نوره، وعبرت بسرعة الممر المؤدي إلى نهاية الأراضي خلف المنزل.

كان الهواء رهيباً يمزق ثيابها والمنديل الذي يلف رأسها. أما المطر فكان بارداً كالثلج، والأرض تحت قدميها خطرة بسبب الجليد. أضاءت المصباح أمامها حتى وصلت إلى

الطريق فسلكته ببطء لأنها كانت تمشي باتجاه الهواء وما تكاد تستطيع الوقوف على قدميها. وكلما تقدمت بضع خطوات، تقف مضيئة المصباح وتبحث حولها علها ترى آنا ولوسيا. بدا لها وجود المخابىء غير محتمل إذ لم يكن هناك سوى أقنية متجمدة بين الحقول، ضيقة ما يكفي لتقفز فوقها. كان أمامها قناة أعرض وكانت تعرف بوجودها وبوجود جسر هزيل فوقها. فشعرت بالخوف وهي تفكر بأن عليها عبور ذلك الجسر. لكن الكوخ يبعد مسافة قريبة فقط ولا يوجد طريق آخر. وصلت إليه فعاينته بخوف وما أن وضعت يدها على حافته الخشبية الواهنة حتى سمعت صوتاً. وحين سكن هدير الهواء سمعته ثانية. أدارت المصباح في كل الاتجاهات مضيئة الحقول حولها، ثم وجهته نحو القناة. فوجدت آنا قابعة على الضفة تحمي لوسيا بجسمها.

صرخت كريسيدا بصوت متقطع واتجهت نحوها في الوقت نفسه الذي تحول فيه المطر إلى ثلج. ضرب كل شيء حولها بدورانه السريع مدفوعاً من الهواء. تأكدت من أنها لم تتحرك منذ أن رأت آنا ثم تقدمت بحذر وهي تصلي أن لا تدور ضمن دائرة، وارتاحت عندما رأتهما على بضع خطوات منها.

انحنت بقربهما، فلاحظت أن وجه آنا شاحب جداً. نسيت الهولندية ولم يمكنها أن تفكر سوى بكلمة. «لا بأس!» على الأقل كانت بداية، فأومأت آنا برأسها وأشارت إلى ساقها.

تمتمت: «إنها مكسورة.» وبسرعة أضافت: «أين لوسيا؟» كانت الصغيرة نائمة من البرد ونبضها ضعيف. كما تأكدت كريسيدا أن الفتاة لم تصب. وإن المسكينة آنا بحاجة للمساعدة السريعة. وفكرت كريسيدا أنها، على التأكيد،

www.rewity.com

متألمة، وهي متمدّدة بغرابة لتحمي جسد الفتاة الصغيرة بجسدها.

قالت كريسيدا: «سأجلب المساعدة.» وأشارت بيدها علّ أنا تفهم بأنها ستغيب لمدة خمس دقائق. هذا هراء بالطبع، فهي لن تعود خلال خمس دقائق لكن الأمر يساعد نفسياً.

وقفت على قدميها المخدرتين من البرد، وربتت على كتف آنا ثم عادت أدراجها. أملت أن يرى أحدهم مصباحها من المنزل ويأتي لملاقاتها. لم تعرف كم من الوقت مضى على وجودهما هناك، لكن لوسيا بدت شبه نائمة على الرغم من بكائها، وآنا تكاد تتجمد من البرد. جعلتها الفكرة تنطلق مسرعة عبر الطريق، فهوت على الأرض في الحال. كانت الأرض قاسية كالحديد وكان عليها أن تزحف بالم قبل أن تقف على قدميها وتتابع بحذر.

قالت كريسيدا في نفسها غاضبة، باندفاع أكبر وسرعة أقل. وشعرت بخوف من الهواء والثلج، والوحدة في عالم غريب عنها. وقد أسقطت المصباح أيضاً. ولحسن الحظ لم ينكسر. فالتقطته وأضاءته أمامها، فأعماها نور مصباح آخر. فصرخت «هذا كثير.» وفي الحال طوّقتها ذراع الطبيب الضخمة.

فصرخ في أذنها: «أيتها الغبية، هذا أنا.»

اعتبرت أنه يجد الكلمات المناسبة حتى في المواقف الحرجة، فانفجرت بالبكاء.

وصرخ في الهواء يسألها: «أين هما؟»

أشارت خلفها وقالت: «آنا كسرت ساقها... عدت لأجلب المساعدة. أعتقد أن لوسيا بخير.»

قال في أذنها: «كفي عن البكاء. أين هما بالتحديد؟»

فكرت لحظة، غير أبهة، ثم استجمعت نفسها وقالت: «إلى يسار القناة...»

«أبقي هنا، ولا تتحركي.» ثم عانقها وذهب وهي متجمدة في مكانها لا يدفئها سوى أثر العناق.

عاد بأسرع مما توقعت وهو يحمل لوسيا. اعطى الطفلة لكريسيدا وأوصاها بأن لا تتحرك من مكانها قبل أن يختفي في الظلمة من جديد.

تأخر قليلاً هذه المرة. وهذا ليس مستغرباً فآنا امرأة ضخمة وفاقدة الوعي الآن... إذ أصبحت ثقيلة الوزن.

قال وهو يأمر كريسيدا: «اتبعيني ولا تتقاعسي.» ولم تكن تنوي ذلك. فلازمته بقدر استطاعتها وهي تضم لوسيا التي كانت تبكي وتطلب والدتها.

مر الوقت بطيئاً قبل أن يصلوا إلى نهاية الطريق ويروا النور يشع من المنزل، واتجه نحوهم لفيف من الأشخاص آتين من بين الثلج. أحدهم... قدرت أنه السيد تر بيمسترا... أخذ لوسيا منها، فمدت ذراعيها المتشنجتين وأبطأت سيرها. كانت متعبة والطبيب يتقدمها تخفيه كرات الثلج المنهمرة. أغلق المنزل الآن. فتنهدت بارتياح وتعثرت بقدمها المخدرة فوقعت من جديد.

وجدت صعوبة في النهوض. فمكثت حيث هي مدركة بأن ما تفعله ضرب من الحماية، لكنها لم تعد تستطيع الحراك. كانت باردة لدرجة لم يعد يهمها شيء. فأغمضت عينيها... واستمتعت بالنوم.

عمّت الفوضى المنظمة المنزل. فكان الطبيب يصدر الأوامر بهدوء. أعطيت لوسيا إلى والدتها لتغير ثيابها

وتدفئها داخل الفراش بعد حمام دافىء، كما أعطيت بعض الحليب الساخن وبقيت معهم حتى يتمكن من معاينتها. مدّت آنا على طاولة المطبخ وقد خلعوا ثيابها ولفوها بالشراشف وعاينها أيضاً.

كانت ساقها مكسورة وقد علم ذلك... إنه كسر فوق الكاحل. ما زالت فاقدة الوعي فتمكن بمساعدة السيد تر بيمسترا من تقويم العظام المكسورة، وتجبيرها مؤقتاً. ما أن انتهى حتى سأل: «أين كريسيدا؟ من المستحسن أن ألقي عليها نظرة... فهي بحاجة للراحة والدفء...»

لم يعثر عليها. فترك ألدريك آنا التي تحسنت قليلاً بعناية الطاهي وارتدى معطفه وهو متجهم ثم حمل مصباحه في يده، وخرج في الظلمة. وجدها بسرعة، فقد وقعت على بعد مسافة قصيرة. جثم بجانبها ووجه المصباح إلى وجهها وتنهد بقوة. إنها نائمة، لكنها باردة جداً ونبضها ضعيف وبطيء. فحملها بحذر وعاد بها إلى المنزل وأدخلها إلى المطبخ الدافىء حيث وجد كوك والسيد تر بيمسترا برفقة آنا.

«هلا نقلتهن إلى المستشفى في لوفاردن، يا ديرك؟ فيجب أن تخضع آنا ولوسيا للمعاينة في أسرع وقت ممكن، وكريسيدا أيضاً.»

أجلسها على كرسي كوك الكبير وخلع حذاءها وقفازيها وساعدته الخادمة في نزع معطفها ووشاح رأسها. فطلب من الفتاة قائلاً: «احضري بعض البطانيات من فضلك.» ثم عاين آنا وقد استعادت وعيها، وصعد ليرى لوسيا التي عادت إلى وعيها.

عاد إلى المطبخ ليجد كريسيدا مستيقظة. –

«كيف وصلت إلى هنا؟» أرادت أن تعرف، وأضافت: «عليك أن تفعل شيئاً آخر غير السفر في هذا الطقس.»

كان يجس نبضها الذي أصبح عادياً. فقال: «كنت في طريقي إلى جانسلوم... ومررت لأطمئن عليك.»

ناولها الحليب الساخن الذي أحضرته كوك وقال لها بلطف، وهي ترشفه: «ستذهبين إلى لوفاردن للمعاينة. أظن أنك بصحة ممتازة، ومع ذلك يجب أن تخضعي للفحص. وستذهب لوسيا وآنا أيضاً.»

«الآن؟»

«أجل، في سيارتي. إن آنا ولوسيا ستذهبان في سيارة ديرك تربيمسترا، لكن يجب أن ننتظر انحسار العاصفة.»

أجبرها على شرب بقية الحليب، وكلمها مشيراً إلى الخادمة.

«ستصعدين لتأخذي حماماً دافئاً وتبدّلي ثيابك. وسترافقك سيرو.» وأشار إلى الخادمة فنهضت كريسيدا ورمقته من خلال شرنقتها المصنوعة من البطانيات.

«لِمَ عانقتني بهذه الطريقة؟» أرادت أن تعرف. لم يدهشه سؤالها فابتسم قليلاً وأجاب: «هل نعتبر أنها مصادفة سعيدة؟ اسرعي الآن وافعلي ما قلته لك.»

عادت بعد نصف ساعة ترتدي أحد معاطف السيدة تر بيمسترا. كان كبيراً جداً عليها، له قبعة، لكنه دافىء جداً. لقد بادرتها تلك السيدة عندما ذهبت لترى كيف حال لوسيا. فقالت لها وهي ترتجف: «لن أتمكن من شكرك كما يجب، يا كريسيدا، فقد كنت شجاعة جداً. ولو لم يأتِ ألدريك ما الذي كان جرى؟»

قالت كريسيدا بقوة: «حسناً، لقد أتى، وجرى كل شيء على

ما يرام. المسكينة آنا... لقد كانت شجاعة وهي تحاول حماية بيبي على الرغم من الآلام في ساقها.»

نزلنا إلى الأسفل فوجدنا ألدريك وديرك تربيمسترا ينقلان آنا إلى سيارة ديرك. منع الأولاد من مغادرة غرفة اللعب لحين تستقر الأمور. فجلسوا على قرص الدرج وراحوا ينظرون من خلال أعمدة حاجز السلم.

ناداها وليام: «عودي يا كريسيدا، سنشتاق إليك.»

لوّحت لهم كريسيدا مجيبة بالهولندية: «أراكم قريباً.»

لم تكن لوفاردن بعيدة. لكن الرحلة، وعلى الرغم من مهارة الرجلين في القيادة ومعرفتهما التامة بالطريق، مرت كالكابوس. جلست في السيارة قرب ألدريك ملتفة بالبطانيات وأنفاس الكلبين تدفىء رقبتها، تجفل كلما انزلقت السيارة. هدأ الثلج والهواء، لكنها لم تكن ليلة لقيادة سيارة.

قاد الطبيب سيارته بثبات من دون مخاوف. وحافظ على استمرارية الحديث بينهما كي يبعد عن ذهنها فكرة الانزلاق في قناة أو الارتطام بالثلج. ومع ذلك فلم تتمكن من أن تسأله إن كانا قد وصلا.

«لا تخافي يا كريسي فلن أدع شيئاً يؤذيك.»

كان هدوؤه مطمئناً، فشعرت بالخجل من مخاوفها وتمتمت: «أعلم، أعلم، فأنا أكيدة... من أنني لست على طبيعتي وإلا لما كنت بهذا الجبن.»

«إن الجبناء، يا كريسي، لا يخرجون في العاصفة مزوّدين بمصباح فقط وحماية الملاك الحارس.» ضحك ثم انعطف بسيارته البنتلي عن منزلق وتابع سيره.

أوصلهن إلى المستشفى حيث استبقوها تلك الليلة. وأبقوا لوسيا أيضاً. أما آنا فكان يجب أن تبقى ليوم أو يومين لتجبر ساقها وتتعلّم كيف تستعمل العكازين. كان عدم إصابتها بذات الرئة معجزة. أخذت كريسيدا بسرعة للمعاينة، ثم وضعت في الفراش. فلم تتح لها الفرصة سوى لإلقاء تحية المساء على ألدريك. وقد أملت أن يصل إلى بيته بأمان في هذا الطقس المروّع.

عاد ديرك تر بيمسترا في اليوم التالي ليصطحبها هي ولوسيا إلى البيت. انحسرت العاصفة وأشرقت الشمس وأزاحت الجرافات الثلج عن الطرق. عاد كل شيء إلى طبيعته في فترة وجيزة، ما عدا قلب كريسيدا التي كانت متأكدة من عدم عودته إلى طبيعته. لم تسمع شيئاً عن ألدريك سوى ملاحظة ديرك تر بيمسترا بأن الطبيب وصل إلى بيته بأمان. وخجلت أن تسأل عنه أكثر. إلى جانب ذلك فقد عمّت الفوضى المنزل لعدّة أيام، وقامت بأعمال آنا مؤقتاً فوجدت أكثر مما يكفي ليشغل أيامها وأفكارها.

أنقضى أسبوع وعادت آنا مزودة بتدليل السيدة تر بيمسترا لها. فتنقلت بثقل على عكازيها، وتخلّت فقط عن لوسيا لتهتم بها كريسيدا أثناء جولتها اليومية، لكنها في أحد الأيام أخذت بيد كريسيدا وألقت عليها حديثاً طويلاً لم تفهم منه كريسيدا شيئاً، ثم صافحتها بنشاط. ففكرت كريسيدا بفرح، صديقتان مدى العمر. فعلت ما في وسعها حتى لا تفكر بألدريك، وبمرور الأيام قرّرت بحزن أنها لن تراه ثانية. فقد دخل حياتها ثم ذهب ثانية وليس بيدها حيلة في الأمر.

ذهبت لزيارة شاريتي في أول إجازة لها. إنهما

تنتظران الطفل في أي لحظة الآن وهذا كل ما تكلمتا به. قد وصلت المربية إلى البيت والبنتان متحمستان للأمر. عاد تيكو إلى البيت، فشعرت كريسيدا، وهي موجودة، بالغيرة بسبب الاهتمام الذي يوليه لزوجته. أن تحب بهذه الطريقة...

لم يذكر أحد ألدريك. ربما أنها لم تعد تحتمل ذلك فقد سألت عنه بطريقة أملت أن تبدو عارضة.

قالت شاريتي: «ألدريك؟ آه إنه في البرازيل... أو أعني الأرجنتين!... في جولة محاضرات. لن يعود قريباً. لكنه سيعود في الوقت المناسب ليحضر عمادة الطفل.» رمت شاريتي كريسيدا بنظرة سريعة وأضافت: «من حسن الحظ أنه عرج إلى آل تر بيمسترا ووجدك. هل خفت؟»

«ارتعبت، لكن آنا هي التي عانت وبجبي.»

قالت شاريتي بصوتٍ قاسٍ ورصين: «ما كان يجب على آنا أن تخرجها.» مما أضحك كريسيدا وانضمت إليها شاريتي.

وفيما كانت تجلس ذلك المساء إلى العشاء مع آل تر بيمسترا، وجدت كريسيدا نفسها تستمع لأحاديثهم. فكانوا يعتذرون منها بين الحين والآخر ليتكلموا بلغتهم. ولم يزعجها ذلك، لكنها كانت تفهم الآن بعضاً مما يقولون.

أوضحت سيدة البيت تقول: «إنها لا تناسبه.» وبما أن اللغة الهولندية تصبح سهلة الفهم عندما لا تحكى بسرعة وتنطق صحيحة، فقد فهمت كريسيدا ذلك. ثم أضافت سيدة البيت «لكنه بالطبع رجل ثري ومعروف، وهي ساحرة. فقد سمعت أنهما سيتزوجان عما قريب.»

ابتسمت لكريسيدا عبر الطاولة، وأضافت: «اعذرينا فنحن

نثرثر، يا كريسيدا. إننا نتكلم عن نيكولا فان جرمرت التي ستتزوج عما قريب. وإني آسف لزوجها.» أضافت بغضب. «لنغير الموضوع... كيف حال شاريتي؟ إنهما يأملان بولادة صبي على ما أعتقد؟»

أجابت كريسيدا مؤكدة، فهي تفكر بأنهما يفعلان. وبما أن شاريتي قررت انجاب أربعة أولاد على الأقل فإن الأمر سيان. وقد استحسنت السيدة تر بيمسترا الأمر، وهي الفخورة بكونها أماً لستة أولاد.

قلقت كريسيدا معظم الليل. تمنت لو أنها تفهم الهولندية بطلاقة حتى يتسنى لها أن تعرف أكثر عن نيكولا. كما تمنت أن تتجرأ وتسأل ممن ستتزوج، اضافة إلى أنها تريد أن يعود ألدريك ثانية. فإذا كان يريد الزواج من نيكولا فهي تريد أن تراه ولو لمرة واحدة. نامت أخيراً واستيقظت ورأسها يؤلمها. وتأملت في أن الحب ليس أبداً كما يقال عنه.

الفصل التاسع

خلال الأيام التالية فكّرت كريسيدا في طريقة لتعرف المزيد عن نيكولا و ألدريك. فمن المؤكد أنه الشخص الذي نوهت به السيدة تر بيمسترا من دون أن تسميه. لقد ذكرت أنه أفضل مما تستحق نيكولا، وغني أيضاً. وافترضت بأنه لا بد أن يكون الطبيب غنياً ليمتلك بيتاً كبيته في جانسلوم وآخر في لايدن... كان من المستحيل أن تسأل مباشرة، خوفاً من أن تتعرّض لصدّ مهذّب أو أن تثير تساؤلهم. فقرّرت أن تنتظر إلى حين تقابل شاريتي.

اتصل تيكو مساءً قبل موعد عطلتها بيوم وأخبرها بأن شاريتي وضعت طفلاً ذلك الصباح. وأمكنها أن تشعر بسعادته وفخره من نبرة صوته وهو يقول لها: «سأتي كما اتفقنا في الصباح، فشاريتي بخير وتريد رؤيتك، فإنها متحمسة لتريك تيكو الصغير. وتمكثي على الغداء وتساعديني في الاعتناء بالفتاتين فإنهما ثائرتان. والآن هلا أعطيتني بياتريس؟ فمن الأفضل أن أعلمها بالأمر.»

قضت كريسيدا يومها تتأمل الطفل وتصغي لشاريتي السعيدة وهي تتمدد على السرير في غرفتها مرتدية أجمل جلباب رأته كريسيدا. نزلت بعدها إلى الأسفل لتجالس الفتاتين ريثما ينفرد تيكو بزوجته. كانت الغرف مليئة بالورود لم يتوقف الهاتف عن الرنين طوال النهار، مما جعل كريسيدا تشعر بالتعب ذلك المساء، ولكنها مغمورة بجو السعادة المحيط بها.

قال لها تيكو وهو يعيدها إلى المنزل بعد موعد الشاي: «لا أدري ما كنا سنفعل من دونك. فلم يكن ذلك يوم عطلة لك.»

قالت كريسيدا وقد عنت كل كلمة: «لقد أحببت المولود وشاريتي تبدو رائعة... ولا بدّ أن ولادة الطفل في بيتكما أروع من ولادته في المستشفى.»

كتم تيكو ضحكة، وقال: «إن هذه إحدى فوائد الزواج من طبيب.»

فيما كانت تستعد للنوم لاحقاً، تمنّت لو أنها سألته بسرعة عن ألدريك ونيكولا؛ فقد كان من السهل أن تقول، بالمناسبة، وبما أننا نذكر الأطباء، فكيف حال ألدريك؟

تمتمت مستاءة: «لن أعرف أبداً، فليس هناك من يخبرني.»

لكن أحدهم أخبرها مباشرة في اليوم التالي.

عادت مع الفتيات الثلاث بعد نزهة نشطة، وفيما كانت تصعد إلى غرفة اللعب، حيث تنتظرها آنا على كرسيها، لتهتم بالأولاد ريثما تجد كريسيدا بعض الوقت لنفسها، خرجت السيدة تر بيمسترا من غرفة الجلوس.

«لديك زائر، يا كريسيدا. فانزلي حالما تنتهين من الأولاد.»

وبدت، على الرغم من ابتسامتها، مستاءة، فتساءلت كريسيدا عن السبب. فمن بحق السماء يريد أن يراها؟ فلو كان الزائر تيكو لكانت أخبرتها فوراً، وبالطبع لم يكن ألدريك. خفق قلبها للفكرة. وقد بدا لها أن تلبية حاجات الأولاد، والتأكد من أن لديهم ما يلهيهم لمدّة ساعة، استغرقا وقتاً أكثر من المعتاد، كما أن آنا أرادت التحدث ولم تقاطعها كريسيدا لأنها طيبة القلب. وانقضى ربع ساعة ريثما سرحت شعرها ورتبت وجهها. فأملت أن لا يكون الزائر مستعجلاً. وتذكرت القسيس وهي تنزل إلى الأسفل. ففتحت باب غرفة الجلوس وهي تبتسم.

كانت نيكولا تجلس متململة على أريكة قرب المدفأة والسيدة

تر بيمسترا في الجهة المقابلة، فاستدارت عندما دخلت كريسيدا.

«ها أنت، يا كريسيدا. إن نيكولا تنتظرك، فقد خطر لها أن تمر وتسأل عنك. سأترككما لكي تتحدثا.» وسألت نيكولا: «ستبقين لشرب الشاي، أليس كذلك؟»

«لا، لا... يجب أن أعود... فأمامي الكثير لأنجزه. أعرف أنك ستعذرينني.»

بدت السيدة تر بيمسترا مرتاحة وهي خارجة.

نظرت نيكولا حولها وقالت: «من حسن الحظ أنك استقررت هنا. والأولاد ما زالوا صغاراً، لذا يمكنك أن تراهني على البقاء طويلاً. فهذا يخفف عنا.»

«عنا؟» سألت كريسيدا بسرعة.

«ألدريك وأنا، بالطبع. فمن غيرنا؟ نحن قلقان عليك...»

«يا للطف، فمتى ستتزوجان؟»

نظرت إليها نيكولا، وهي تبلع لعابها، بعينين تخفيان نشوة النصر، فقد أوحى أحدهم لكريسيدا بأنها ستتزوج من ألدريك، حسناً، فهي لن توضح لها الأمر. فقد جاءت لتزرع الشقاق، لكن لا داعي لذلك. فلتدع تلك الفتاة السخيفة تعتقد بأنها ستتزوج ألدريك... فهذا يخدم مخططاتها. فهي لا تريد ألدريك الآن، لكنها غضبت منه عندما أوضح لها أنه لا يريد الزواج منها، وأن فكرة الزواج كانت من طرف واحد وهو لم يشجعها عليها. إن كبرياءها هي التي جُرحت وليس قلبها، لأنها كانت تنوي الزواج منذ زمن برجل ثري له نفس نمطها في الحياة. وقد حقدت على ألدريك لأنه لم يتجاوب معها، فوجدت الفرصة مناسبة لتنتقم منه وتضلل الفتاة البسيطة الجالسة أمامها.

قالت بعذوبة: «في القريب العاجل.» وأدارت خاتم الماس

الذي في إصبعها وهي تبتسم. فسألتها كريسيدا: «بعد أن يعود من جولة المحاضرات؟»

أجابتها نيكولا، وهي منشغلة بابتكار الأكاذيب المناسبة: «في اليوم التالي لرجوعه. لقد طلب مني أن أزورك، فهو يعتقد بأنك أصبحت متعلّقة به قليلاً.»

رأت أن وجنتي كريسيدا احمرّتا فأخفت ابتسامتها وقالت: «بالطبع فقد قلت له إن هذا هراء إذ لا شيء مشتركاً بينكما، أليس كذلك؟»

لم تجبها كريسيدا على سؤالها، بل قالت بهدوء: «آمل أن تكوني سعيدة فجانسلوم بيت رائع...»

«جانسلوم؟ إني أكره المكان.» ورأت نيكولا نظرة كريسيدا المندهشة، فعدلت كلامها بسرعة: «أنا أحب بيته في لايدن، وعلى كل حال فهو يعمل هناك أغلب الوقت. وهو يسافر أيضاً من وقت لآخر فلا بد أني سأذهب معه.»

سألتها كريسيدا بتهذيب: «أظن أنك تعرفين الليدي ميريل؟»

إن نيكولا تعرفها. فقد قابلتها مرّة واحدة عندما جاءت الليدي ميريل إلى جانسلوم. وقد شعرتا عندها بنفور متبادل. لكنها قالت بغرور: «إنها عجوز ساحرة، وقد اتفقنا جداً.»

كانت ذكية جداً لتعرف عند أي حد يجب أن تنهي الحديث، فقالت: «يجب أن أرحل. فإن ألدريك سيتساءل إلى أين ذهبت... فهو يتصل هاتفياً كل مساء، من حسن الحظ أن جانسلوم ليست بعيدة والطرق سالكة.»

نهضت كريسيدا، قائلة: «سأحضر السيدة تر بيمسترا فقد تريدين توديعها...»

«لا، لا تزعجيها فهي تعرف أنني جئت لرؤيتك.»

www.rewity.com
RAYAHEEN

رافقتها كريسيدا إلى الباب، وهي تخفي مشاعرها المتأججة خلف ستار من التهذيب البارد. فودعتها وانتظرتها حتى صعدت إلى السيارة وابتعدت. فمدت عندها لسانها معبّرة عن شعورها بطريقة طفولية.

علّقت السيدة تر بيمسترا لاحقاً في ذلك النهار: «لم أعرف أنك صديقة لنيكولا.»

«لست كذلك، يا سيدتي. فقد أتت لزيارتي لأن أحداً ما طلب منها ذلك.»

قالت السيدة تر بيمسترا بكآبة: «أنا لا أهتم لها. فهي لا تحب الأولاد.»

أجابتها كريسيدا موافقة: «وأنا لا أحبها أيضاً.» ثم ذهبت إلى غرفة اللعب لتساعد الصبيان في دروس الإنكليزية.

لم يتسنَ لها التفكير بأمورها حتى دخلت غرفتها وأخذت تتحضر للنوم. فكرت بما قالته نيكولا محاولة بذلك أن تتذكر كل كلمة. فهي لم تحدد متى سيعود ألدريك، لكنها أوحت لها بأن عودته قريبة. وصعدت الحرارة إلى وجنتيها وهي تتذكر ما قالته نيكولا... بأنه يخشى أن تكون قد أغرمت به. إنها لن تراه ثانية، فقد اعتبرت خطأ شفقته صداقة وإعجاباً، أشعرها ذلك بالمرارة. يجب أن تعود إلى انكلترا بأي طريقة. لكن قول ذلك أسهل من تنفيذه، فهي في الحقيقة لا تعرف كيف ستفعل ذلك. قال تر بيمسترا الطفاء معها، يدفعون لها بسخاء ويعتبرونها فرداً من أفراد الأسرة، وهي شاكرة لهم. ففكرة تركهم غير واردة... وحتى مستحيلة.

كانت تجلس في صباح اليوم التالي مع التوأمين، وهي تريهما بصبر خريطة العالم وتردد معهما أسماء البلدان بالإنكليزية، عندما دخلت والدتهما إلى الغرفة.

«أحب أن أكلمك، يا كريسيدا... فهلا استطاعت سبكه وغالسكه تسلية نفسيهما لبعض الوقت؟»

«سأحضر دفاتر الرسم لهما. هل تريدينني أن أنزل إلى الطابق السفلي؟»

«أرجوك.» ثم خرجت تاركة كريسيدا تتساءل عما سوف تتحدثان عنه، ربما أن الصغيرتين ستذهبان إلى المدرسة، أو أن الصبية لم يجيدوا الإنكليزية في المدرسة كما يتوقع والدهم. جلبت لهما الألوان ودفاتر الرسم وطلبت منهما أن تتصرفا جيداً، ثم هرعت إلى الأسفل.

كانت السيدة تر بيمسترا جالسة في غرفة الاستقبال تحيك كنزة لأحد الأولاد. فقالت بلطف: «اجلسي، يا كريسيدا. فيما كنت في الخارج مع الأولاد اتصلت بك الآنسة موغفورد. فهي ترغب بأن تكلمك بسرعة. وقد أخبرتها بأنك ستعودين قريباً، فطلبت بأن تتصلي بها بعد الساعة الحادية عشرة والنصف...»

هتفت كريسيدا: «موغي! لكن ليس لديها هاتف... كانت مديرة منزلنا قبل وفاة والدي... وقد تقاعدت الآن.»

«كانت تتصل من مقصورة للهاتف، أليس كذلك؟ لذا حددت لي الوقت الذي يجب أن تتصلي به. إن الساعة الآن هي الحادية عشرة والربع. فعندما يحين الوقت اذهبي إلى المكتبة... إنها غرفة هادئة... واستفسري عن الأمر. أرجو أن لا تكون أخبار أسيئة...»

«هل بدت مضطربة؟»

«أعتقد بأنها كانت تبكي. فقد وجدت صعوبة في فهمها...»

«حسناً، إنها قروية، ولا تتكلم كأهل لندن أو المدن الكبرى.»

«فهمت. إنها مثل أنا. أنت مولعة بها، يا كريسيدا.»

«لقد جاءت إلى بيت والدي عندما تزوجا.» وأحست

كريسيدا بغصة في حلقها، وهي تتذكر وجه موغي وأضافت: «أنا مولعة بها جداً.»

قالت السيدة تر بيمسترا: «سنشرب القهوة ريثما يحين موعد الإتصال. فإن كان الأمر مهماً يجب أن تعودي وتساعديها وأرجو أن لا يكون وإلا فسنقدم لك العون.»

شكرتها كريسيدا ثم وضعت فنجان القهوة واتجهت نحو المكتبة، حيث لا يسمح للأولاد بأن يدخلوا إلاّ إذا استدعاهم والدهم. وطلبت الرقم الذي دوّنته السيدة تر بيمسترا، فسمعت بعد لحظات صوت موغي الناعم:

«آنسة كريسي؟ آسفة لازعاجك لكنني لا أعلم ماذا أفعل. فأنا محتارة ولا أجد أحداً لأساله. فقد حصل كل شيء فجأة، وأنا أكيدة من أن شقيقتي لم تقصد ذلك...»

كلمتها كريسيدا مشجعة: «يا عزيزتي موغي، إن الأمور على ما يرام، لكن أخبريني فقط ما جرى وسأساعدك فهل شقيقتك مريضة؟»

«لقد ماتت. آه، يا آنسة كريسي، ماذا أفعل؟ لقد اتفقنا على أن تغيّر الوصية وتترك الكوخ لي، لكنها ماتت فجأة وسيرثه ابن أخ زوجها الذي قال إنه يجب علي أن أترك الكوخ في نهاية الشهر، ولدي هرّتان لا يريدهما. لكن من سيقبل بهرّتين؟ فلن أتركهما.»

«نهاية الشهر، إنها بعد أسبوعين. سأعود، يا موغي... وسأقابل المحامي لأرى ما يمكن أن يفعله. والآن لا تقلقي فالسيدة تر بيمسترا قالت إنه يمكنني الذهاب إلى انكلترا إذا كنت بحاجة لي. سأكون معك في غضون أيام، ابقي حيث أنت، يا موغي، ولا توقعي على أي أوراق، وإن أزعجك أحدٌ فسأتعامل معه عند عودتي.»

«وعملك، يا آنسة كريسي؟...»

«أنا متأكدة من أنه يمكنني العودة، يا موغي.» وأدركت وهي

تتكلّم بأن الفرصة قد سنحت لها لتترك فريلاند. لتبتعد أبعد ما يمكن عن ألدريك. ولكن الغريب أنها ترددت بعد أن سنحت لها الفرصة. فقد تبخّرت كل قراراتها أمام شوقها لرؤية ألدريك ولو لمرّة واحدة. كان ذلك فقط للحظات، ثم قاطع صوت موغي أفكارها.

«هل ستأتين، يا آنسة كريسي؟»

«أجل، يا موغي، بأسرع ما يمكنني... يومان أو ثلاثة فقط...»

ودعتها وذهبت لتخبر السيدة تر بيمسترا بالأمر.

«بالطبع ستذهبين، يا كريسيدا. فسنحجز لك مكاناً على متن الطائرة ونأخذك إلى المطار، ستبقين هناك ما يلزم من الوقت. سنفتقدك كثيراً لكن هذا واجب عليك. فهل ترغبين بالذهاب فوراً؟»

«لقد شرحت للآنسة موغفورد بأني سأحاول الحضور في خلال يومين أو ثلاثة، وهي مسرورة لذلك. فهل يمكنني الذهاب بعد غد. سأكلّم آنا وأشرح الوضع للأولاد ثم أحزم أمتعتي. أرجوك هل يمكن أن أتصل بشاريتي؟»

«أفضل أن تذهبي وتريها. غداً صباحاً سنرسل سبكه وغالسكه إلى المدرسة لمدّة ساعة أو ساعتين. وستعتني آنا بيبيبي بينما لن يكون الصبية هنا، إذن ستكونين حرّة. خذي السيارة الصغيرة واذهبي إلى آل فان در برونز.»

قالت كريسيدا بوقار: «أنت لطيفة جداً، ساتركك في وقت محرج.»

«وقت محرج؟ أي وقت محرج هذا؟» وعندما شرحت لها كريسيدا، أضافت: «لا تفكري بذلك. فنحن مدينون لك. وسندبر كل شيء.»

كانت شاريتي في غرفة الحضانة حيث توقعتها كريسيدا أن تكون. فقد ذهبت بواسطة سيارة الميني واستقبلها جوللي وأرشدها من دون مقدمات إلى الطابق العلوي.

كانت شاريتي تجلس على كرسي صغير، تلبس رضيعها الصغير ثيابه وفرحت عندما رأت كريسيدا.

«هذا رائع... فقد وصلت في موعد القهوة.» هدهدت طفلها ثم قبلته من فروة رأسه الصغير ووضعته في مهده. «إن الحضانة في الغرفة الثانية...» توقفت قليلاً، عندما دخلت إلى الغرفة شخصية دافئة وسمينة ترتدي مئزراً أبيض وجلست قرب النافذة تحيك الصوف، ثم سحبت كريسيدا من ذراعها.

عندما أصبحتا في غرفة الاستقبال الصغيرة السفلى الواقعة في الجهة الخلفية للمنزل، قالت شاريتي: «أنت لا تأتين عادة فجأة... ماذا جرى، يا كريسي؟»

أخبرتها كريسيدا وهما تشربان القهوة، وختمت تقول: «لذا يجب أن أعود إلى تمبلكومب، ولست أكيدة إن كان باستطاعتي العودة.»

سألتها شاريتي: «هل تريدين ذلك؟ هناك سبب آخر، أليس كذلك؟ لن أتدخل في ما لا يعنيني.» وشغلت نفسها في إملاء الفنجانين. «هل رأيت نيكولا عندما أتت؟ الله يعلم لِمَ جاءت تهنئنا، فهي لا تهتم بهذه الأمور. وقد فاجأني أنها ذهبت لترى آل تر بيمسترا... فهم ما يكادون أن يعرفوا بعضهم البعض.»

«أتت لتراني.»

قدمت شاريتي لها البسكويت وانتظرت.

«إنها ستتزوج. جاءت تقول لي بأن ألدريك طلب منها أن تقابلني.»

«لكنه ليس في هولندا.»

«لا، لكنه سيعود قريباً وسيتزوجان فور عودته. أريد أن أذهب قبل أن يصل.» نظرت كريسيدا إلى صديقتها بتعاسة، وأضافت: «وقالت أيضاً إنه أرسلها لأنه يخشى أن أكون قد أغرمت به.»

«وهل أنت كذلك، يا كريسي؟»

«أجل، ولكني لم أعتقد أن هذا ظاهر للعيان. فقد كنت حذرة، واعتبرت أننا صديقان فقط. أشعر بالغباء، ولن أستطيع مقابلته ثانية. كنت أتساءل عما يجب أن أفعل عندما اتصلت موغي.»

قالت شاريتي: «لا أعتقد بأنهما سيتزوجان. في الحقيقة...» وصمتت؛ فقد تكون مخطئة لأنها لم تهتم في الآونة الأخيرة إلا بعالمها السعيد. قد يكون تيكو على علم بالأمر أما إذا لم يكن لديه معلومات عن هذا الموضوع، فسيستفسر ويقول لها ماذا تفعل. وسألت عوضاً عن ذلك: «متى تنوين الرحيل؟»

«غداً، فالسيد تر بيمسترا سيقلني إلى مطار سيفول. لقد كانا لطيفين جداً. سأصل إلى تمبلكومب في المساء.»

«ألديك ما يكفي من المال؟»

«أجل، شكراً لك. فإنهما سيدفعان بدل رحلتي، وإن لم أعد سأعيد ثمنها إليهما.»

«لا تفعلي ذلك، يا كريسي، فهما يريدان أن يدفعا لك لقاء ما قمت به عندما خرجت للبحث عن آنا وبيبي.» ترددت ثم قالت: «أيمكن أن أفعل لك شيئاً؟ رسائل أو ما شابه.»

نهضت كريسيدا وهي تقول: «لا، يا عزيزتي شاريتي. سأسافر غداً، لكن ودعي تيكو عني وشكراً لكما، إذ كنتما لطيفين معي. فقد كنت سعيدة جداً هنا. وأنا مسرورة لأنني كنت هنا عند ولادة تيكو الصغير. آه، كم أحب الفتاتين الصغيرتين.»

رافقتها شاريتي إلى الباب وشاهدتها تصعد إلى سيارة

الميني. إن تيكو موجود في المستشفى في لوفاردن، ومن السهل أن تتصل به هاتفياً. لكنه سيعود عند موعد الشاي، وسيعرف ما يجب القيام به. لوحت لها مودّعة ثم دخلت إلى المنزل راغبة في أن ينتهي النهار ليعود تيكو ويطمئنها.

كانت كريسيدا تريد توديع شخص آخر... وهو القس. كان في مكتبه، في البيت الصغير قرب الكنيسة، يكتب عظة. سرّ لرؤيتها لكن وجهه أكفهر عندما أخبرته عن سبب مجيئها.

قال لها: «كنت آمل أن تبقي معنا. أعتقد بأنه كان من الممكن أن نصبح صديقين.»

أجابته كريسيدا: «حسناً، أتمنى أن نكون قد أصبحنا صديقين الآن. لقد كنت سعيدة جداً هنا ولن أنسى أحداً منكم. فربما سنتقابل ثانية.»

«ألا تنوين العودة؟»

«لا أدري؟ فهذا يعتمد على الآنسة موغفورد فأنا، كما تعلم، لا أستطيع تركها هكذا... فقد كانت مع العائلة منذ سنين ولم يعد لديها عائلة بعد موت شقيقتها ولا مال أيضاً.»

«هذا محزن، ستفتقدينا، إذن؟»

«بالتأكيد سأفعل.»

«لكني أعتقد بأن هناك سبباً آخر يدعوك للرحيل عن فريلاند وعدم العودة إليها.» تأمل وجهها باحثاً عن دوافع الرحيل، وسألها: «ألا تودين التحدث عن الأمر؟ سأحترم ثقتك.»

«أعرف بأنك ستفعل. فأنت على حق لأن هناك سبباً يدعوني للرحيل. وحتى لو لم تتصل الآنسة موغفورد أعتقد بأنني كنت سأرحل في أي حال؛ السبب الوحيد الذي كان سيمنعني هو انزعاج السيدة تر بيمسترا.»

ودعته فوراً وعادت إلى البيت. حزمت أمتعتها وذهبت للتحدث إلى آنا، بمزيج غريب من الإنكليزية والهولندية، كانتا تستعملانه معاً. وعندما عادت السيدة تر بيمسترا مع التوأمين كان عليها أن توضح لهما الأمر وتقوم بترتيبات اللحظة الأخيرة مع والدتهما.

كان الرحيل صعباً. فهي لم تمضِ كم تأقلمت مع الحياة في فريلاند وها هي الآن تشعر بأنها تتخلى عن جزء من نفسها. كانت سعيدة هنا، حيث نما حبها لألدريك، وقدرت أنها تتخلى ليس فقط عن جزء من نفسها بل عن قلبها بأكمله. وبما أن ليس بيدها حيلة فإنها ستفعل ما بوسعها لتنساه وتبدأ حياة جديدة في انكلترا. لكن عليها أولاً أن تساعد موغي برغم أن ليس لديها فكرة واضحة حتى الآن عما ستفعل. لكنها على الأقل ستذهب إلى السيد تيمز أو تكتب له طالبة نصيحته. فإن كان ابن الأخ لا يريد السكنى في الكوخ، فربما يوافق على أن يؤجرها إياه بسعر معقول. وربما كان أيضاً كريماً وزاد تقاعدها. وقد تجد لنفسها عملاً فتستقرّ في البيت مع موغي، وتشارك في النفقات كما كان يحدث في الماضي...

شاهدت ساحل هولندا العريض يختفي تحت جناحي الطائرة، وهي تقاوم دموعها. فالجميع كانوا لطفاء. وقد انزعج الأولاد وآل تر بيمسترا أيضاً. وهي بالفعل ستفتقد لشاريتي وتيكو.

ابتلعت دموعها مع القهوة وركزت تفكيرها على مسألة تأمين المأوى للمسكينة موغي.

وصلت إلى تمبلكومب قبيل موعد الشاي. وكان الكوخ قريباً من المحطة. قصدته سيراً على القدمين وهي تحمل حقيبتها الثقيلة، وكيساً بلاستيكياً فيه هدايا من الأطفال، وبعض العلب من شاريتي والسيدة تر بيمسترا، إضافة إلى باقة من الورد

www.rewity.com
RAHEEN

اشترتها في مطار سيفول لموغي، كما اشترت زجاجة شراب أيضاً. فقد يساعدهما في أن تخططا معاً.

صدمتها رؤية موغي وقد شاخت، في غضون الأشهر القليلة المنصرمة، عن آخر مرّة شاهدتها فيها. لكن استقبالها كان دافئاً جداً.

بكت موغي التي من عادتها أن لا تبكي أبداً، وتمتمت على كتف كريسيدا المتعاطفة معها: «أنا عجوز أنانية لكني حائرة، فأمامي فقط أسبوعان لأجد مكاناً أذهب إليه. وقد ذهبت إلى مكتب العمل في يوفيل، لكن السيدة أخبرتني أنه من الصعب إيجاد عمل لي... لأني مسنّة جداً.»

قالت كريسيدا: «اصمتي، أيتها العزيزة موغي. سأكتب للسيد تيمز وأرى إن كان باستطاعته المساعدة، وإلا سأذهب إلى زوجة أبي وأسألها أن تساعدنا. بعدها سأجد عملاً وأعيد لها المال. وسأرى من ينصح ابن الأخ...»

«إنه سنايد وسنايد في يوفيل... فابن شقيق زوج أختي يقيم في ليبدز.»

تركتا كل شيء في القاعة الصغيرة وذهبتا للجلوس في المطبخ حيث حضّرت موغي الشاي.

«أتعنين أنه سيأتي للاقامة هنا؟»

هزّت موغي رأسها: «هذا كلّ ما في الأمر... إنه سيبيع المكان بكل ما فيه... وقد جاء مشتريان حتى الآن؟»

«هل هو رجل فقير؟»

أجابتها موغي: «لديه مؤسسة صغيرة، لابأس بها. وليس عنده أطفال إنما زوجته تعمل خارج البيت.»

شربت كريسيدا الشاي، وقالت: «حسناً، لا تقلقي بعد

الآن، يا موغي، فأنا متأكدة من وجود حل ما لهذه المشكلة.»

تكلمت معها باطمئنان، إنما كان لديها شكوكها التي لا تستطيع مشاركة موغي بها، لشدة انزعاجها.

ذهبت أولاً إلى سنايد وسنايد حيث انتظرت نصف ساعة كاملة قبل أن يقابلها محام متدرج، والذي قرّر ما أن رآها بمظهرها العادي وصوتها الناعم، بأنها لا تستحق انتباهه الكامل. وقد أخبرها بأن موكله يشدّد على أن تترك الآنسة موغي الكوخ لأنه ينوي بيعه.

سألته كريسيدا: «وكم يريد ثمناً له؟»

ذكر لها مبلغاً اعتبرته مبالغاً فيه. على كل حال لا يمكنها تدبر مبلغ كهذا إن لم تساعدها زوجة أبيها.

ذهبت فوراً، سعيدة لخروجها فهي لم تحب المحامي سنايد الصغير وهي متأكدة بأنه يبادلها الشعور نفسه. حاولت بعدها مع السيد تيمز وأرسلت له رسالة منمّقة، واستلمت منه جواباً بالبريد يخبرها بأنه لا يستطيع مساعدتها إلا إذا كانت قادرة على شراء الكوخ. لكنه وعدها بأن يراجع القضية لعله يجد مخرجاً.

خفت عزيمة كريسيدا، لكنها لم تكن تنوي الاستسلام. وعلى الرغم من اعتراضات موغي فقد ذهبت إلى بيتها.

عرفت الفتاة، التي فتحت الباب، كريسيدا فقالت لها: «آنسة كريسيدا... هل عدت إلى البيت؟ من الممتع أن أراك...»

«جئت فقط لأقابل زوجة أبي، يا ماري، هلا أخبرتها بأني هنا؟»

نظرت زوجة أبيها إليها من كرسيها، وهي تدخل.

«كريسيدا... أنت آخر انسان أتوقّع رؤيته. لِمَ جئت؟ لم تتوقعي أن أرحب بك، أليس كذلك؟»

«لا. فلم آتِ من أجلي، إنما لأكلمك بشأن الآنسة موغفورد.»
وجلست كريسيدا من دون إذن. «هلا أصغيت.» شرعت تفسر لها باختصار: «أتساءل إن كنت تقرضينا المال لنشتري الكوخ؟ وسأدفع لك حالما أحصل على عمل بالتقسيط كل شهر.»

ضحكت زوجة أبيها بغضب: «كم أنت غبية، يا كريسيدا. أتعتقدين فعلاً بأني سأساعدكما أنت أو الآنسة موغفورد؟ لقد أضعت ثمن تذكرة الحافلة هباء، يا عزيزتي. اذهبي الآن ولا تعودي أبداً، فلن أستقبلك في المرّة القادمة.»

لم يكن أمامها سوى أن تعود إلى موغي وتخبرها عن زيارتها لزوجة أبيها، وأنه ما زال أمامها أسبوعان، وقالت لها كريسيدا مشجعة: «فقد يحصل ما لم يكن في الحسبان.» قول أبهج موغي، لكنه لم يرفع معنويات كريسيدا المتدنية.

عاد الطبيب إلى هولندا بعد مضي ثلاثة أيام على عودة كريسيدا إلى انكلترا. كانت رحلته ناجحة وإن كانت متعبة. تابع عمله كممتحن لطلبة الطب في العديد من الكليات التي زارها بمهارة مُدح عليها. لكن لم يكترث لذلك. ففي طريق عودته انكب يفكر بإيجاد أسرع طريقة لرؤية كريسيدا. فقد انسابت تحت جلده، واحتلت قلبه، وقد أدرك أنه أغرم بها منذ المرة الأولى التي وقع نظره عليها عندما كانت تجلس على العشب مع سيزار. واعتبر بأنها المرأة الوحيدة في العالم التي تناسبه وسيخبرها بذلك حالما يراها. لكن قبل ذلك فهو مرتبط بالتزامات لا يمكنه تجاهلها. عندما حطّت الطائرة في مطار سيفول كان قد خطط لبرنامج عمل اختصره في ثلاثة أيام من العمل الدؤوب في لايدن. إن هذا لطويل جداً لكنها ستكون بانتظاره...

كان فستر في انتظاره في سيارة البنتلي والكلبان جالسان

في الخلف، يلهثان فرحاً لرؤيته. اتجها فوراً نحو لايدن. كان الصباح ما يزال باكراً، فتوقف الطبيب فقط للاغتسال وتناول الإفطار. ثم ذهب إلى المستشفى حيث اجتمع مع مدوّن السجلات وزار مرضاه، واستقبل بعد الظهر المرضى في عيادته.

قال له فستر بقسوة عندما عاد إلى البيت: «إنك تعمل كثيراً، أيها الطبيب.» وقد وافقته مايز بقولها: «وكل هذه المسافة التي قطعتها بتلك الطائرة المخيفة، فأنت متعب جداً فلا تنكر ذلك.»

نظر الطبيب مداورةً إلى صديقيه القديمين المخلصين وأجاب: «أجل، إني متعب لكني أريد أن أذهب إلى جانسلوم بأسرع ما يمكن وهذا يعني إنهاء بعض الأعمال.»

ولم يقل لماذا يريد الذهاب لكنهما أومآ برأسيهما، وعندما ذهب إلى مكتبه قالت مايز: «لا بد أنها تلك الإنكليزية اللطيفة التي جاء بها إلى هنا...»

أومأ فستر قائلاً: «لقد أخذها إلى جانسلوم. إنها شابة كفوّة.»

عاد الطبيب إلى بيته منتصف ليل اليوم الثالث مسروراً لأنه أنجز كل ما خطط له. لقد أصبح الآن حرّاً ليذهب إلى فريلاند. قدّر أن الوقت قد تأخر الليلة، لكنه سيذهب في الصباح الباكر...

انطلق مع فستر والكلبين قبل أن يبزغ الفجر. وفي منتصف الطريق قال: «اتصل بتسكه لو سمحت، يا فستر، واطلب منها أن تحضر لنا طعام الفطور بعد حوالي الساعة.»

كان صباحاً بارداً، وقد أمطرت السماء رذاذاً. ولم يتحسن الجو بعد الفطور. خرج الطبيب مع كلبيه بنزهة نشطة ثم ركب سيارته وقادها بعيداً إلى منزل آل تر بيمسترا. إنه منتصف الصباح، فقدّر أنه سيجد كريسيدا.

لكن بياتريس تر بيمسترا هي التي استقبلته. «من الرائع أن نراك، هل كانت سفرتك موفّقة؟ لقد طالت غيبتك، فهل كانت المحاضرات ناجحة؟»

كان ألدريك رجلاً صبوراً، حتى أنه أمضى بعض الوقت، يتحدث عن الطقس ويستفسر عن الأولاد وساق آنا، قبل أن يطلب رؤية كريسيدا.

«إنها ليست هنا... ألم تعرف بذلك؟ لا، بالطبع لم تعرف. فقد عادت إلى انكلترا منذ ستة أيام. لقد اتصلت مدبّرة منزلها القديمة... كانت تعاني من مشكلة مما حمل كريسيدا على الذهاب لمساعدتها.» ورمقت بياتريس الخيبة الهادئة وجهه وأضافت: «أعتقد بأنها كانت مسرورة بذهابها... وبالفعل، فقد قالت إنه عليها الذهاب. لم تقل لماذا ولم أسألها. إنها فتاة طيبة، وما كانت لتفعل ذلك لو لم يكن السبب مهماً.»

«ألديك عنوانها؟»

«كلاّ... فكما تعلم ذهبت بسرعة، وكان علينا ترتيب عدة أمور. لكن شاريتي تعرف عنوانها. إننا نفتقدها... فهي فتاة لطيفة.»

مكث الطبيب قليلاً يحادثها بتهذيب، ثم استقلّ سيارته البنتلي واتجه نحو منزل شاريتي.

لم يظهر تكلفاً فعانقها بصداقة وقبلت وجنته ثم ابتعدت تنظر إليه.

«قبل أن أريك الطفل، أخبرك أن كريسي موجودة إما مع الآنسة موغفورد أو مع زوجة أبيها. سأخبرك عن الأمر لتعرف ما ستفعل. لكن أولاً أرجوك تعال وشاهد الطفل تيكو، بعدها نشرب القهوة وأخبرك بكل ما أعرف.»

كان الطفل نائماً. فاقتربت شاريتي من المهد وقالت بفخر:

«إنه نسخة طبق الأصل عن والده، ربما يكون مستيقظاً عندما تأتي في المرّة القادمة.»

«إنه رائع وأنت على حق، فهو يشبه تيكو تماماً. فهل تحبه الفتاتان؟»

«عندما تكونان في البيت أكافح للوصول إليه... فكلتا سعداء به...» توقفت واحمر وجهها: «لكن أنت لست سعيداً، أليس كذلك؟ لكنك ستصبح سعيداً. هلمّ نعُد إلى الأسفل، ونتكلّم؟»

بينما شربا القهوة، أخبرته عن زيارة نيكولا: «أعرف أن الأمر ليس جدياً، ولكن نيكولا جعلته يبدو كذلك. إن كذبها على كريسيدا بشأن خوفك من أن تكون كريسيدا مغرمة بك أمر لا يغتفر. فلا عجب في أن تسرع في العودة إلى انكلترا. فمتاعب الآنسة موغفورد المسكينة جاءت في الوقت المناسب.»

نظرت خلسة إلى وجه ألدريك فبدا لها متجهماً. قال على الفور: «يمكنني أن ألحق بقطار الليل، وأكون هناك في الصباح. فهل لديك عنوان الآنسة موغفورد؟»

«أجل لقد سجلته لك، لكن يمكن أن تكون عند زوجة أبيها. أنصحك بأن تذهب إلى هناك أولاً. هل ستمرّ على الليدي ميريل؟»

أومأ برأسه: «سأمر على منزل كريسي في طريقي.» ونهض قائلاً: «لقد كنت صديقة مخلصة، يا عزيزتي.» وانحنى يقبلها مضيفاً: «قولي لتيكو بأنني سأراه عندما نعود فاطمئني واعتني بطفلكما.»

عندما عاد إلى البيت طلب من فستر أن يحزم حقيبته، ويحجز له سريراً على متن القطار الليلي المنطلق إلى الهوك. ثم أخذ الكلبين في نزهة طويلة. عليه أن يملأ الوقت الباقي قبل موعد رحيله إلى انكلترا.

www.rewity.com/vb RAYAHEENA

قاد عربته بعيداً عن هارفيك في صباح يوم كئيب. وتناول الإفطار على متن المركب. وهو لا ينوي التوقف حتى يصل إلى بيت كريسيدا. تفحص الخريطة وشق طريقه عبر هاتفيلد وواتفورد وسلو قاطعاً لندن بأكملها ليصل إلى الطريق م٣، ومن ثم إلى أ ٣ - ٣. قاد بحزم ملتزماً بالسرعة القصوى. وكلما تقدّم نحو الغرب تحسّن الطقس، إلى أن انتهت رحلته أمام بيت كريسيدا حيث أشرقت الشمس.

نزلت السيدة بريس إلى الأسفل بينما استقبلته الخادمة. عرفته فوراً وتقدمت مبتسمة بمكر: «أيها الطبيب... من الممتع أن نراك ثانية، لابد أنك في طريقك لرؤية الليدي ميريل؟ إن الوقت متأخر للقهوة، لكن أتشرب شيئاً آخر وتحدثني عن أخبارك.»

«هذا لطف منك لكني لا أستطيع البقاء. فقد جئت أسأل إن كانت كريسيدا هنا.»

رسخت ابتسامتها، وأجابت: «بالطبع لا. فقد خرجت من هذا المنزل ويمكنها أن تبقى خارجه.»

«ولكن هل جاءت مؤخراً؟»

«ولم تريد أن تعرف؟» وعندما التزم الصمت واستمر ينظر إليها فقط، قالت: «جاءت منذ يومين إن كنت مصراً على أن تعرف.» وأضافت عابسة: «أرادت أن تقترض المال لشراء كوخ شقيقة الآنسة موغفورد، لكني طردتها.»

«عادت إلى الآنسة موغفورد؟» كان صوت الطبيب هادئاً.

«وكيف لي أن أعرف؟ على كل حال فقد نالت العجوز ما تستحق لأنها تركتني في مأزق. فمن المستحيل الحصول على الخدم في هذه الأيام.»

قال الطبيب بلطف: «آسف، إذ أزعجتك في هذا الصباح.» ثم

ودّعها. وفكر بصغيرته المسكينة كريسيدا وهو يستقل سيارته ذاهباً إلى منزل جدّته. فيما كان عند السيدة بريس فكّر بأن أفضل حل هو الاتصال بالسيّد تيمز. فلن ينفعه أن يرى كريسيدا قبل أن يعرف مجريات الأمور.

سرّت الليدي ميريل لرؤيته. فقالت له بحيوية: «الغداء! فأنت مرهق. ولِمَ أنت هنا؟ لا بدّ إن الأمر يتعلّق بكريسيدا.»

أخبرها كل شيء على الغداء، وأضاف: «أعتقد بأنه علي الاتصال بالسيد تيمز فوراً.»

بسّط السيد تيمز الأمور بتعابير جافة. فسأله الطبيب: «هل يمكنني أن أشتري المكان؟ فهل يبيعه ذلك الرجل؟»

«أجل، إذا كان السعر مغرياً.»

«هلا اتصلت به، وسألته عن السعر الذي يريده واشتريته منه.»

ضمّ السيد تيمز وقال: «عزيزي ألدريك، ألست متسرّعاً قليلاً؟ فبعض المساومة...»

«هلا أسرعت واتصلت به الآن، ثم خابرني ثانية؟ سأكون هنا لساعة أخرى.»

«حسناً. إذا أردت أن ترمي المال سدى...»

أقفل السيد تيمز الخط وطلب رقماً آخر. كان معجباً بهدوء ألدريك وحسن تصرّفه، لكنه بدا له الآن غريباً. فاتصل بعد نصف ساعة بمنزل الليدي ميريل.

قال للطبيب: «حسناً، لقد حصلت على كوخك ودفعت ضعف ثمنه.» بدا غير موافق لكن ألدريك لم يلاحظ ذلك وقال: «رائع. شكراً لك. والآن ما زال هناك شيء آخر...» ابتدأ يتكلّم بينما أصغى السيد تيمز إليه وهو يبتسم.

كانت كريسيدا تجهّز الشاي، الذي تحب موغي شربه عند الساعة

الرابعة. فقرع الباب وناولها فتىً صغير مغلفاً باسمها. فقلبته من دون أن تعرف ما يحتوي، فيما كان ينتظرها. ونبهها تململه فتناولت محفظتها وأعطته عشرين بنساً، ثم عادت إلى المطبخ حيث فتحت المغلف. إنه من السيد تيمز الذي يطلب منها أن تحضر إلى مكتبه. فإن ذهبت إلى موقف براون فإن سيارة ستقلّها. وهو ينتظرها بعد نصف ساعة. قرأت كريسيدا الرسالة مرتين، ثم أيقظت موغي من قيلولتها وقرأتها لها قبل أن تستعدّ للخروج. وصرّحت قائلة: «إن ابن أخي زوج أختك قد غيّر رأيه. أستطيع القول إنه في مكتب السيد تيمز الآن. لكنني أتساءل لما يريدني أنا فقط؟»

قالت موغي: «أعتقد بأنك تفهمين أكثر مني ما قد يقال. لا تضيعي الوقت، يا آنسة كريسي، فما كان يحجز لك سيارة أجرة لو لم يكن الأمر مهماً.»

كان مكتب السيد تيمز يقع في شارع جانبي، نوافذه تغطيها الستائر، ومطرقة الباب تلمع. دقت كريسيدا على الباب فاستقبلها موظف وطلب منها أن تصعد إلى مكتب السيد تيمز. وأخذت عند الباب نفساً عميقاً ثم قرعت فطلب منها أن تدخل.

كان السيد تيمز يجلس وراء مكتبه بينما يتكىء الطبيب على النافذة وقد حجب جسمه الضخم نور النهار الخافت.

«آه.» هتفت كريسيدا بدهشة وفرح، وقد ساعدها ذلك في التقاط أنفاسها.

قال الطبيب: «مرحباً، يا كريسي.» وكان صوته حنوناً لدرجة أفقدتها أنفاسها من جديد. فاستغل السيد تيمز الفرصة ليتكلم.

«طلبت منك أن تأتي بناءً على طلب الدكتور فان درلينوس. لقد اشترى الكوخ حيث تسكن الآنسة موغفورد، وأصبح باستطاعتها أن تبقى طوال حياتها.»

رمقهما، فبدا له أنهما لا يسمعانه فقد كانا ينظران إلى بعضهما بعضاً بطريقة أوحت له بأنهما لا يشعران بوجوده.

قال بصوته الجاف: «إن الطبيب سيفسر لك.» وخرج من الغرفة.

قال ألدريك: «سأشرح لاحقاً.» وعبر الغرفة بخطوتين وطوّق كريسي بذراعيه الضخمين، مضيفاً: «لن يتكرر هذا بعد اليوم. ستتزوجينني، وسأعرف مكانك وماذا تفعلين. لقد اربكتِ حياتي، فأنا لم أقابل أبداً فتاة مثلك.»

عانقها بشوق ثم قال مبتسماً: «أيتها الفتاة الحبيبة المتعبة، هل تتزوجينني؟»

ابتسمت، فبدا وجهها العادي فجأة جميلاً. «حسناً، أجل، أحب ذلك، إنما يجب أن تشرح لي أولاً. أليس كذلك؟»

قال الطبيب بانزعاج: «مضيعة للوقت فهناك أشياء أخرى أهم.»

«إن كنت تقول ذلك، يا عزيزي ألدريك.» بدت وديعة لكنّ عيناها كانتا تبرقان.

تفحص الطبيب وجهها برضى وقال: «يا فتاتي الجميلة.» وانحنى يعانقها من جديد.

اعتبرت كريسيدا أنه من اللطف أن تدعى جميلة وهي تعانقه بدورها. وعلى الرغم من أن ذلك ليس صحيحاً، فقد شعرت بأنها جميلة. فقالت لاهثة: «ألدريك...»

«بحق السماء، اصمتي ودعيني أحبك.»

الطبيب يعني كل كلمة يقولها، مردداً رجاء جون دون القديم، قدم الزمن، ويتوافق تماماً مع هذه المناسبة.

تمت